مجموعة من الكتاب

ترجمة : صلاح حاتم



القارب والصنوبرة

قصص لليافعين

الإشراف الفني : زهير الحمو

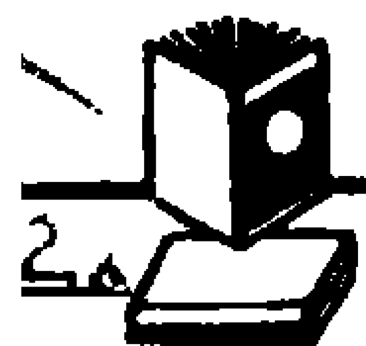
القارب والصنوبرة

مجموعة من الكتاب

القارب والصنوبرة

قصص لليافعين

ترجمة : صلاح حاتم



منشـــورات وزارة الثقـــافة
في الجمهورية العربية السورية
دمشق ١٩٦٤

العنوان الأصلي للكتــاب :

« DICHTER ERZÄHLEN KINDERN »

dtv = Deutscher Taschenbuch Verlag

München 1969

القارب والصنوبرة: قصص للاطفال = Dichter erzahlen kindern/

مجموعــة من الكتاب ؛ ترجمــة صــلاح حاتم . ــ دمشق : وزارة الثقافة ،

١٩٩٤ . ــ ٢٠٦ ص ؛ ٢٤ سـم .

١ ــ ٨٣٢٫٠٠٨ ط ح ا ت ق   ٢ ــ العنــوان   ٣ ــ العنــوان

المــوازي   ٤ ــ حاتم

مكتبــة الأســد

الايــداع القانوني : ع ــ ١٩٩٤/٣/٢١١٨

كريستوف ميكيل (*)

حكاية الحكايات

جلس شيخ وصبي على صندوق وأرسلا النظر في الصيف من فوق تلال خضراء ممتدة. ومر على السماء عصر أبيض مروراً بطيئاً. وما من شيء حولهما كان مسموعاً إلا هدير ضعيف لسيارات بعيدة وطنين خافت لجماعات من النحل ثم صخب ناء لديوك تتصايح .

كان حذاءاهما غارقين في الرمل. وكان ظهرهما مسندين إلى حائط خشبي لسقيفة أدوات مقفلة . كان الشيخ يدخن لفافة غليظة . فمنظر الصيف عند العصر جعل عينيه تشعان وداعة ورضى . تململ الصبي في مقعده على الصندوق .

(*) كريستوف ميكيل (Christo – ph Meckel) من مواليد عام ١٩٣٥ . ولد في برلين ونشأ وترعرع في مدينة فرايبورغ في برايسغاو في مقاطعة بادين فور يتسمبرغ . درس فن التصوير والرسم والحفر . يكتب في الشعر والنثر . نشر قصائده في ثلاثة داوين فضلا عن مؤلفاته الاخرى في ميدان القصة . من مؤلفاته الشعرية : « فندق للسائرين في النوم » / ١٩٥٨ / ومن مؤلفاته النثرية : « بيان الموتى) / ١٩٦١ / .

قال الصبي للشيخ متوسلا : إحك لي حكاية .

سأل الشيخ : أية حكاية ، ثم أدار رأسه في تراخ وكسل .

ناشده الصبي قائلا : حكايتنا القديمة .... إحكها مرة أخرى .

أجاب الشيخ : لاأدري أية حكاية تقصد .

قال الصبي : بل إنك تدري . إنها الحكاية التي قصصناها مراراً .

قال الشيخ وهو ينظر إلى لفافته : هكذا إذن . الحكاية نفسها ، الحكاية القديمة .

وأومأ الصبي موافقاً .

فسأل الشيخ : أتقصد حكاية الغراب أم حكاية الفيل الأبيض ؟

ربما تقصد حكاية الحجر الفارع أو حكاية راعي الأحجار ؟

قال الصبي : بل حكاية الغراب .

أخذ الشيخ يضحك في صمت . لكنه تناول السيجارة من فمه لكي يستطيع أن يضحك جيداً . وضاقت حجرتا عينيه من التأمل والبهجة .

قال الشيخ : حكاية الغراب هذه رويناها مراراً وتكراراً . والحق أنها حكاية جيدة . ويصلح البدء بالغراب . ثم دوّر السيجارة بين أصابعه وبصق .

قال الصبي : إذاً . . . كان ثمة غراب . . . .

وأكد الشيخ : نعم كان غراب . . . كان هنالك غراب ، والحكاية على علم بذلك . تصور ، إذاً : كان ثمة غراب . . . . .

وأكد الصبي قائلا : كان ثمة غراب ما . . . .

وتابع الشيخ: وكان غراباً كبيراً ضخماً فاحم السواد . كان غراب براري وقفار ، غراب سهوب جوعان وكان له جناحان اغبران وعينان ذكيتان صغيرتان وحادتان تشبهان ثقب المفتاح . . وكان غراباً عصرياً جواب آفاق : وكان رب الغربان قد خلقه خلقة حسنة عظيمة باقية على الزمن . لكن الغراب كان أيضاً لصاً وكان النهب من طبعه !

وكان شديد النهم بحيث إنه ابتلع حجارة الحقول فأصيب بالتخمة ولم يستطع الطيران من على الأرض . أجل ، لقد كان غراباً عجيباً غريب الأطوار . وكان أخاً كبيرا لأحد الغربان ، كان غراباً ملكياً . . .

قال الصبي : غراب ببغاوي . أو غراب القراص والنباتات الضارة ، غراب ساحر من السحرة العظام !

قال الشيخ : نعم ، وتعيس جموح وحزين منحوس ، ومن الطيور الضخمة والأبقار الليلية الفاحمة السواد ذات المناقير الطويلة ، وكان برميل خمر . . . .

وأومأ الصبي بالإيجاب .

وكان جميل الطلعة . ثم رفع الشيخ حاجبيه ونظر إلى الصبي نظرات قاسية ذات مغزى.جميلا كان هو وكان له رجلان رفيعتان حمراوان مثل..

وهتف الصبي : مثل خيوط العنكبوت أو أعواد الثقاب .

وكانت مخالبه مدببة كرؤوس الإبر وقاطعة كشفرات الحلاقة وكان منخراه مثل حبتي البسلى .

وسأل الصبي : أكانا صغيرين مثل حبتي البسلى ؟

قال الشيخ : على أية حال كانا كنواة الكرز وكثقب الغربال أو حبة القهوة أو أظافر قدم القزم أو مثل بؤبؤ السمكة وعيون الصراصير أو ذرات الرمل .

قال الصبي : وحين كان ينعق كان صوته كصوت البوق يوقظ النائم من نومه على مسافة عشرة كيلو مترات .

وأومأ الشيخ بالإيجاب ، وصمت كل منهما . — .

ثم استأنف الشيخ الكلام وهو ينظر إلى الصبي : على أن الغراب .... الحق أنه لم يكن غراباً ، كما نظن ، لقد كان في الحقيقة . . . .

واستغرق الشيخ في التفكير .

قال الصبي بسرعة : لقد كان جبلا . . . .

وأكد الشيخ قائلا : نعم . لقد كان جبلا . وطبيعي أنه كان جبلا أحدب وكان كبيراً وعظيماً وبين سبع هضاب نبت فوقها العشب طويلا كأشعة الشمس وصلباً وطرياً كقشور البيض وكان جبلا مليئاً بنباتات الوزال الشائكة والأعشاب الضارة فتمزقت على شوكها طيور ميتة وسحائب تحمل حب الغمام وأقمار ربيعية صغيرة زرقاء تقطرت ضوءاً ندياً على الأحجار . وكان ثمة أشجار مزهرة مهيبة سمقت في مهب ريح سماوية وفاحت الأزاهير وتأرجت . . . .

قال الصبي . وكانت رائحة الفلفل والمداد .

قال الشيخ : لعلها كانت رائحة الفلفل والمداد . وربما كانت أيضاً رائحة الكرز وبعر الفئران . وتنقل بين الحجارة ألف ألف سمندر

بعيون من زجاج وشرر . وإنا لنعرف هذا . وكان هناك حلزون بأحجام ضخمة كزجاجات الخمر وأرغفة الخبز .

وقال الصبي : أوكثمرة القرع أو براميل المطر وأحواض الإغتسال .

وقال الشيخ مزهواً : وكان ثمة حطام جبل رئيسي مهيب تكوم الثلج فوق ذراه تلالا تلالا . وكان ثلجاً أبيض وناعماً ودقيقاً وكان له طعم السكر .

وهتف الصبي : وكان مالحاً كطعم الملح .

كان جبلا . وياله من جبل . لقد غصّ بالحجارة الحازجة المنشدة وقد حط عليها ملائكة الجبال ذوو الأعين الثلاث ، عين نظروا بها إلى الكون نظرات بشوشة مرحة وأخرى خبيثة شريرة وثالثة مستهترة . ومن بين أقدامهم تفجرت الينابيع من تحت ركام حجارة الجبل العظيم .

وقال الصبي : وكان الماء أخضر . . كان ماء مشعشاً لزجاً .

وجاءت الأسماك تقفز من عيون الينابيع إذ أنه كان هناك في الجبل الكثير من البحار العظيمة والمحيطات إلى حد الفيض والطفوح . وفي الليل أسود الثلج وصار كالقار وماء المستنقع وكـ . . . كالفحم بل أشد سوادا من الحبر بعشرة أمثال !

قال الشيخ : كالفحم أو القار ؟ كلا ، كان أسود كالتبغ وكعين الإله الخلفية ، وكان أسود كدم الغراب اللزج الدبق وكباطن الشمس . وكان الجبل شاهقاً كغيوم تساعية الطوابق . . . وكان عالياً كبرج المراقبة في الجنة . لكن . . . . .

قال الصبي : لكن . . . . .

وأومأ العجوز في تواضع واكتئاب وجاءت نبرة صوته عميقة خفيضة : وحين أقول لك إن الجبل جميل . فصدقني أنه كان جميلا ....

قال الصبي : لعله كان بيتاً أو ربما كان سطل غسيل ؟

سطل غسيل ؟ هزّ الشيخ رأسه . لربما كان بيتاً . إنك على حق ، فالجبل العظيم كان بيتاً . كلا . صحح بسرعة وأضاف قائلا : الحق أن الجبل لم يكن بيتاً ، مع أنه كان بالإمكان أن يكون بيتاً . على أنه كان .... نعم لقد كان نهراً . وإني لعلى علم بذلك .

قال الصبي مؤكداً : نعم لقد كان نهراً .

كان نهراً طويلا وعريضاً وكان يخترق غابات كثيرة ، ولم يكن بالمستطاع رؤية صفافه لمن كان يركب عرصه على ظهر سمكة . فتياره وقور وكهل وبطيء وكان عامراً بمراكب تجارية وأرماث كان فيها ناس غرباء وآخرون معروفون . وكان ثمة سفن للموسيقى من أجل الدلافين وزوارق جرارة منتفخة بطيئة هدرت بأبواق الضباب الجهنمية المخيفة حين كان الضباب يتصاعد من النهر في المساء . وكان فيه مراكب ملونه بألوان حمراء وأحجار عائمة اعتلت ظهرها الطيور المخضرمة التي انهكها الشتاء فسافرت إلى الربيع . وكان في عرض التيار غرقى كثيرون جاء بهم النهر إلى البحر إلى سمك المنشار والسفن المهترئة العفنة والأجراس الغريقة وبيوت ملوك البحر . . . .

قال الصبي وكان ثمة أسماك طائرة . وفي الحقيقة كانت هذه حميراً وصقورا .

وكان في عرض التيار خشب مجرور مسود جلس عليه الملائكة

المسافرون لقضاء عطلتهم ونعبوا الورق وهم في معاطفهم الواقية من المطر وأحذيتهم الطويلة العنق المصنوعة من اللباد وقبعاتهم الاسطوانية الحريرية .

قال الصبي : وكان النهر يزخر بمياه الأمطار والثلوج وكانت الأمواج والأكوام الملحية مرقمة .

قال الشيخ : آه ، الحق انه كان نهراً ، وياله من نهر . وكان ثمة فنادق بيضاء على الضفة وطواحين خشبية . كما كان هناك أيضاً حاملات كهربائية عائمة سابحة وحقول واسعة من القصب والأسل تصطفق في الريح جيئة وذهابا . وكان فيها بط رائع . وكان يضع عند الفجر بيضاً رباعيّ الأحرف ذهبي اللون صغير الحجم وكان الماء يسحبه من تحته ويحمله إلى البحر . . . . إلى البحر . . . . .

واستغرق كلاهما ، الصبي والشيخ في تأملهما . لقد كان للنهر العظيم هدير في رأسيهما .

وبعد هنيهة قال الشيخ : على أن النهر كان في الحقيقة كتاباً . نعم لقد كان حقاً كتاباً ورقه أصفر كشهد العسل ، وكان في سماكته وضخامته يوازي عشرة أناجيل بعهديها القديم والجديد ، وكان في الكتاب قصائد وحكايات بلغات كثيرة . . . .

قال الصبي باللغات كلها .

بكل اللغات ، وإنك لعلى صواب . وفضلا ، عن ذلك فهي باللغة الروسية والصينية واللغات الشرقية والأوربية وبلغة الساطورن الإفريقية واللغة السانسكريتية . . . . .

واضاف الصبي : قائلاً وبلغة فيروزية .

وقال الشيخ : وبلغة كلاسيكية قديمة . وبلغة عشاق الكتب والنساء . نعم ، لقد كان كتاباً شاملاً نفيساً وكانت فيه قصائد ، ويالها من قصائد ، أقول لك ، يالها من قصائد . فليس هناك من إنسان أو سمكة أو طائر قرأ مثلي هذه القصائد من قبل . فهي قصائد طويلة وقصيرة ، نثرية حرة وموزونة مقفاة لشعراء نكاد لانعرفهم . إنها قصائد لتاتي ، قصائد لاؤكولي وفود سني وماتاتشي ، لسابنتشي ، وساوبانتشي وكل الشعراء الآخرين (١) .

قال الشيخ للشعراء كلهم . وعلى ذلك ، واذا ما أمعنا النظر ، فالكتاب كان حديقة . . . ولك أن تصدق أو لاتصدق . لكني أعرف أن هذا الكتاب كان حديقة . ومن ذا الذي يعرف أفضل مما أعرفه أنا ؟

وروى الصبي قليلاً : وكان في الحديقة شجر تفاح تدلت ثماره الكبيرة كرؤوس العمالقة أو المناطيد الهوائية . وكان في الحديقة طواويس ودببة صغيرة تسرح وتمرح ، وغير ذلك مما هبّ ودبّ . . . . . .

قال الشيخ : وكانت حديقة برية واسعة شاسعة . وفيها نما الخوخ الثلجي والإجاص البارد وقامت في العشب بيوت النحل إلى جانب قصور خشبية وقف على مداخلها بوابون من النحل في ستراتهم الخطافية المجنحة

(*) نود أن نلفت انتباه القارىء إلى أن الكاتب حرف اسماء بعض الشعراء الاوربيين عمداً . وانه، بهذا ، يجردها من طابعها المحلي ويضفي عليها طابعاً انسانياً جديداً وتكتسب واقعاً جديداً يكون في مضمونه الانساني اكثر عمقاً وشمولا ، حتى إن هذه الاسماء لتبرز امامنا وكأنها وليدة خيال الطفل وذهنه .

الصعيرة ذات للون البني ، كما تدلت من الغصون زجاجات السكر وقد غصت بالدبابير الغريقة .

وهنا توهج نوار الربيع . وفي الليل كانت تظهر فيها بنات عرس وثعالب كأشباح . وتكدس فيها ورق الشجر الأسود والأحمر على علو عشرة أمتار . وكان من السهل على السائر فيها أن يضل طريقه ، اذ أنه لم تكن في الحديقة دروب ، بل كان فيها صراصير وصافرو الليل .

قال الصبي : وكان فيها شاربو خل ونفانق وبوم بحري جميل وطيور جارحة وسناجب وقنافذ مائية . . . .

قال الشيخ : نعم . كما أن ريحاً كثيمة بيضاء كانت تهب على الحديقة وكان تحت كل شجرة جوز حانة .

وروى الشيخ قليلا ثم قال . لكن الحديقة كانت . . .

ونظر الصبي إلى الشيخ متسائلا .

قال الشيخ : كانت الحديقة ، وهذا مالا تستطيع أن تنكره ، كانت شخصاً ضخماً بديناً . كانت سفاحاً ونهاباً ومصاص دماء وكانت صبياً جزويتياً قذراً يركب على الحمار ، وكانت مشعل حرائق ....و.... والتقط الشيخ أنفاسه .

وهتف الصبي : وكان ارجليه رائحه كريهة ، أما عيناه فكانتا عمشاوين خضراوين ناتئتين جاحظتين وكانت الأذنان نافرتين .

وقال الشيخ غاضباً : وكان أصلع الرأس وكان له فرجة بين الأسنان وكان مهدل البطن وله ذقن معزى وساقان مقوستان عظامهما من خشب . كان روسياً أجرب . وكان حداد ملاعق أعوج .

وهتف الصبي : كان سلحفاة مقرفة .

وقال الشيخ حابساً أنفاسه : وكان ثائراً غبياً يتجشأ وكان معجباً بالشعر المستعار . وكان لصاً نهاباً .

وهمس الصبي : أجل لقد كان من أكلة لحوم البشر .
وهمس الشيخ : وكان داهية محتالا .

جلس كلاهما من دون حراك ونظر كل منهما إلى الآخر مشدوهاً .
وهمس الشيخ : لقد كان رجلا عادياً قذراً .

جلسا على الصندوق صامتين حزينين ولم يجرؤا على النهوض. ثم أخرج الشيخ من جيب المعطف لفافتين غليظتين وتفحصهما ملياً ثم أعاد أسوأهما إلى الجيب وأشعل اللفافة المنتقاة ثم حرك ذراعيه حركة بليدة خاملة .

قال الشيخ : وماذا سنفعل بمثل هذا النوع من الرجال ؟ لاشيء فالحكاية لاتعجبني .

قال الصبي : وأنا أيضاً لا تعجبني الحكاية .

قال الشيخ : ومالعمل ، إذاً ، مادامت هذه النتيجة ، ولا حيلة لنا في تغييرها .

قال الصبي : ناشدتك الله أن تحكي لنا حكاية أخرى .

قال الشيخ : ولكن الحكايات لاتبعث في نفسي أية بهجة حين تنتهي نهاية كهذه . فلو كنا عرفنا هذا لما كنا حكيناها .

ثم نهض الشيخ وتمشى أمام الصبي جيئة وذهاباً .

قال الصبي متوسلا : بالله عليك قص لنا حكاية اخرى .

وهز الشيخ رأسه . ثم سأل الصبي متردداً بعض الشيء .

حكاية الفيل ؟ أو ربما حكاية المطر الأسود أو حكاية البرغوث في المملحة ؟ ولم يرد الشيخ جواباً .

قال الصبي : أو حكاية محطات القطارات المتنقلة .

ودمدم الشيخ : لابأس . ثم جلس ثانية على الصندوق الذي غاص في الرمل إلى وسطه .

قال الشيخ : الحق أني قادر على أن أقص عليك كل حكايات الدنيا .

وأحسبني أعرف معظم هذه الحكايات . ولسوف تدهشك الواحدة تلو الأخرى ، على أنها لن يكون لها نهاية أبداً . وحتى لو كان لها نهاية فلن تكون نهاية طيبة مبهجة أو قد تكون نهاية رهيبة . كما أن خاتمة مزعجة سيئة ليست بمستحبة . فليس لنا بعد الطاقة على مثل هذه النهايات السيئة . أليس كذلك ؟ ولكن لنرى إن كنا نعرف شيئاً يبعث فينا البهجة والسرور .

قال الصبي : ولكني أعرف أن آكل لحوم البشر هذا في الحقيقة كان في الحقيقة حوتاً . وكان هذا الحوت كهلا تقياً ورعاً .

نظر الشيخ إلى الصبي في رضى وارتياح وقال : حوت ! طبيعي أنه كان حوتاً . وفجأة استعاد بهجته فراح يضرب بقبضته على ركبته . ها قد وجدناها ! طبيعي أنه كان حوتاً وكان يجري من بحر إلى بحر ويجر

بطنه الواسع الذي كان يقطر دهناً على حين كان جوفه مليئاً بيونسيين (١) يهللون ويعزفون وينشدون . وكان ذنبه مثل باقه من السرو القديم الأزل . وكان يضرب به الماء فيزبد وراءه زبداً عظيماً . وكانت عيناه معرقتين من بروق زرقاء مبهرة لا حصر لها ، كما علاهما الإخضلال الأبيض وعكس مامر أمام عينيه من ماء وسماء ومن سماء وماء . . .

قال الصبي : وانبثقت من ظهره نافورة ماء ساخن ولامست السماء وبللت أقدام الملائكة فصبوا شتائمهم على الحوت . . . .

وأومأ الشيخ مغتبطاً مسروراً .

قال الصبي : وكان جلده سميكاً حتى إن قذائف المدفع بقيت مغروزة فيه . كما أنه زحزح الجبال الجلدية برأسه وأتلف جذور الجزائر وابتلعها فأصبحت سائبة متنقلة تعوم هنا وهناك في البحار .

قال الشيخ : فياله من حوت ! لكن الحوت . . .

وسأل الصبي وماذا عن الحوت ؟

قال الشيخ : طبيعي أنه كان حوتاً ، ولكنه كان أيضاً ملكاً . كان مسافراً أعمى البصر وكان مقبرة ومزيتة وبيت سبيل . لكنه كان ، في المقام الأول ، حانوت بقال . هذا ماكان الحوت . كان مخزن بقال كبيراً . وهناك تدلى اللحم المقدد من السقف في كتل كبيرة بنية مربوطة ، هناك كانت كلاليب فخذ الخنزير وسلاسل النقانق وقد عرقت في الشمس ، وكان أيضاً خبزٌ بالزبيب وكعكة الزنجبيل وخبز أسمر وهاج

(*) اشارة الى النبي « يونس » الذي ابتلعه الحوت والكاتب يستعمل صيغة الجمع .

وجبال من الزبدة وجلاميد من الجبنة الصفراء تحت أغطية زجاجية ضخمة كالموقد وأوعية قرنية الشكل مليئة بالشوكولاة إلى جانب زجاجات الكونياك وعلب الكافيار وبراميل البيرة ولفائف غليظة كثيرة إلى حد دوار الرأس ؛ وكان ثمة موز وخوخ .

وأومأ الصبي بالإيجاب .

وفي المقام الأول كان هناك حانوتيّ وكان ساحراً عجيباً وملاكاً بديناً ضحوكاً ولوعاً بالشراب والتهام الحلوى وكان مضيافاً لطيفاً وبطيناً أكولا . فكل مايمكن أن تشتهيه نفسه يقدم لك مجاناً .

وسأل الصبي : لك ولي ؟

قال الشيخ : لنا كلينا . وهذا أمر مؤكد . فلقد كان خير إنسان يمكنك أن تتصوره . كان أبداً باسم المحيا . كانت عيناه تشعان سروراً وغبطة .

قال الصبي : ياله من إنسان !

قال الشيخ : كان محبوباً وكان بطلا .

وهمس الصبي : محبوب وبطل .

وبعد برهة قال الشيخ : هو كذلك . ثم نهض ،

وفعل الصبي مثله وأفرغ حذاءه من الرمل .

ابتعدا وهما يمران بالعشب الندي . كان الظلام قد حل . وكان الطريق الذي وصلا إليه مظلماً وخالياً .

كان يطرق أسماعهما صوت خشخشة الحيوانات وأشجار بين التلال . وسارا على الطريق وغاصا في قاع الليل النحاسي الذي هبط وراءهما في دفء وسكون .

* * *

بيتر هاكس (*)

الدب في حفلة حراس الغابات

مشى الدب مترنحاً في الغابة . وكان الوقت شتاءً . كان ذاهباً إلى الحفلة التنكرية . وكان في حالة نفسية طيبة . كان قد جرع سطلين من مشروب الدببة المستحضر من مزيج العسل والفودكا وبهارات دقيقة . كان قناع الدب مضحكاً جداً . إذ إرتدى سترة طويلة خضراء ولبس جزمة رائعة بديعة وتنكب بندقية . وها أنتم تلاحظون أن هذا الزي هو زي حارس الغابة .

ثم التقى عبر الثلج المصرصر بشخص لبس أيضاً سترة طويلة خضراء وجزمة غريبة عجيبة وتنكب أيضاً بندقية . وها أنتم تلاحظون أن هذا الشخص لم يكن إلا حارس الغابة .

(*) بيتر هاكس (peter Hachs) ولد عام ١٩٢٨ في مدينة بريسلاو على نهر الاودر لأب يعمل في المحاماة درس علم الاجتماع والفلسفة والأدب الألماني والمسرح في ميونيخ ، ويعيش منذ عام ١٩٥٥ في برلين عاصمة ألمانيا الديمقراطية ، وهو عضو أكاديمية العلوم والآداب في مدينة ماينتز وأكاديمية اللغة والادب في دار مشتاد وعضو اتحاد الكتاب الالمان . وهو ممثل المسرح التقدمي . كتب في المسرح والنقد وألف كتباً للأطفال وتمثيليات للاذاعتين : المسموعة والمرئية .

وحيا حارس الغابة بصوت جهير عميق : مساء الخير أيها الزميل ، أأنت ذاهب أيضاً إلى حفلة حراس الغابات ؟ .

قال الدب : « بروم » ، وكان جهيره عميقاً عمق الهاوية التي تهوي فيها السيارات الكبيرة .

قال حارس الغابة مذعوراً : « العفو والمغفرة ، لم أكن أعلم أنك كبير حراس الغابات » .

أجاب الدب بلطف ودماثة : « حسناً لا عليك من هذا » — ثم تأبط ذراع حارس الغابة لكي يتكيء عليه . وسارا معاً وهما يترنحان في طريقهما إلى الحانة عند النهاية الثانية عشرة حيث أقيمت حفلة حراس الغابات .

كان حراس الغابات قد اجتمعوا كلهم . وبعضهم كان له قرون وعول بارزة ، وآخرون كان معهم قرون نفخوا فيها . وكان لهم لحى طويلة وشوارب مفتوحة ؛ على أن الدب تميز منهم بوفرة الشعر في الوجه . وصاح حراس الغابات : « يوهو » ، ورفعوا الدب بقوة على الظهر .

أجاب الدب : « ياللدعابة والظرف » ، ورفع الحراس على الظهر ؛ فكان مثل هذا كمثل صخور متساقطة .

قال حراس الغابات مرعوبين : « العفو والمغفرة ، فلم نكن نعلم أنك كبير حراس الغابات » .

قال الدب : « هيا تابعوا ولا تتوقفوا » . ثم رقصوا وشربوا وضحكوا . وغنوا بأن عطشاً شديداً أصابهم في الغابة الخضراء . ولست أدري

إن كنتم عشتم ورأيتم من قبل في أية حال يصبح المرء حين يرقص كثيراً ويشرب كثيراً ويضحك ويغني كثيراً. فقد استولى على حراس الغابات حب المغامرة ورغبة في العمل وفعل الدب مثلهم .

قال الدب : « فلنذهب الآن ونقتل الدب » .

وعلى هذا لبس حراس الغابات قفازات الفرو وتمنطقوا بالأحزمة الجلدية وخرجوا زرافات في الليل البارد ومشوا بخطى متثاقلة بين الأشجار وأخذوا يطلقون عياراتهم النارية في الهواء . ورفعوا أصواتهم بالنداء « هوسا ، هالي ، هالو ، هالا لي » . على أن هذا النداء لم يكن يعني شيئاً . ولكن هذه هي حياة الصيادين . وامترش الدب حفنة من الزعرور البري في أثناء مروره به وجرشه . وصاح حراس الغابات : انظروا إلى كبير حراس الغابات ، هذا الوغد الخبيث . ثم أكلوا الزعرور البري أيضاً وبالغوا في المزاح والتهريج . ولكنهم لاحظوا بعد برهة من الزمن أنهم لم يعثروا على الدب .

قال الدب : « ولماذا لانجده ؟ إنه في وجاره أيها الأغبياء . » .

ومضى إلى وجار الدب وتبعه حراس الغابات . وأخرج المفتاح من فرائه وفتح الغطاء ونزل إلى تحت وحراس الغابات في أعقابه .

قال الدب مشمشماً : « لقد خرج الدب لتوه ولا يمكن أن يكون قد مضى على خروجه زمن طويل ، فالمكان لايزال يفوح برائحته بشدة » .

وعاد مترنحاً إلى الحانة عند النهاية الثانية عشرة وسار حراس الغابات في أعقابه . وشربوا كثيراً بعد هذا التعب ؛ على أن الكمية التي شربها الدب كانت بقدر مياه الثلوج التي تجرف االسور معها .

وقال حراس الغابات خائفين مذعورين : « عفوك ومغفرتك ! الحق أنك الكبير حراس الغابات ولا نظير لك » .

قال الدب : « ولما كان الدب لا يختبيء في الغابة ولا يختبيء في وجاره فإن هناك احتمالا واحداً فقط وهو أن الدب حاضر موجود بيننا وأنه تزيا بزي حارس الغابة » .

وصاح حراس الغابات : « الحق أن هذا هو عين الصواب » ، وحدجوا بعضهم بعضاً بنظرات شزراء مريبة .

وكان من بين الحاضرين حارس غابة شاب . وكانت له لحية صغيرة وبعض القرون وكان أضعف الحاضرين وأكثرهم حياء على الإطلاق .

وقر قرارهم على أنه هو الدب . وزحفوا بمشقة وصعوبة على المقاعد واسندوا ذقونهم إلى المنضدات ومدوا إيديهم إلى الحائط .

وسأل حارس الغابة الشاب : « ماذا تريدون ؟ وعم تبحثون ؟ » .

وأجاب حراس الغابات : « نريد بنادقنا ولكنها ، لسوء الحظ ، معلقة على الكلاب » .

وقال حارس الغابة الشاب : « ولمَ البنادق ؟ » .

أجاب حراس الغابات : « من أجل قتلك . فما أنت إلا الدب ! » .

قال الدب : « أنتم لاتفهمون شيئاً عن الدببه . يجب أن تفحصوا ماإذا كان له ذيل أو كان لكفه براثن » .

وقال حراس الغابات : « ولكن ليس لهذا ذيل ولا مخالب ، تباً لك ،

أنت نفسك لك ذيل ولك براثن على الكف ، أيها السيد ، ياكبير حراس الغابات » .

وظهرت انثى الدب في الباب وكانت حانقة ساخطة .

وصاحت انثى الدب : « ياللشيطان . ما هذه المجالس وما هذه الحفلات التي تتسكع فيها وتضيّع الوقت » .

وعضّت الدب في رقبته لكي يصحو قليلا . وغادرت المكان معه .

وقال لها الدب في الغابة : « ليتك تأخرت قليلا ، كنا على وشك أن نعثر على الدب . على أية حال فلا بأس في ذلك . وسيكون لنا في المرة القادمة يوم آخر أيضاً » .

* * *

هانز كارل أرتمان (*)

فأر في المنزل
حكاية للقراءة

أريد أن أحكي لكم حكاية « أومبول » وسأقول لكم كيف طرد الفئران من المنزل لأنها سرقت منه شحم الخنزير الجيد والجبنة والبسكويت وأكلت هذا كله .

ولكن من هو « أومبول » ؟ وطبيعي أنكم لاتعرفون . ومن السهل تصور ذلك لأن أومبول لايسكن عندنا هنا . بل يسكن في مكان بعيد جداً يقع تحت في أمريكا قرب بلاد النار . ويحكى أن شجر الغابات هناك كثيف جداً . وقد لاتصدقون أننا نستطيع أن نتنزه فوق رؤوس الشجر من دون أن نسقط على الأرض . فيالها من غابات كثيفة ! وأومبول هو عجل بحر صغير ذو شاربين شائكين مضحكين وكان فيما مضى ، بحاراً. وإن مهنة كهذه تناسب عجل بحرٍ مرحاً. لكنه،مع الأيام،مل من

(*) هانز كارل أرتمان (Hans Carl Artmann) نمساوي الأصل ومن مواليد ١٩٢١. كاتب غزير الانتاج في حقل الشعر والقصة والمسرحية والترجمة من الاسبانية والبروفنسالية والايطالية القديمة .

رتابة العمل على ظهر السفن ، ولا سيما من ربان خبيث يدعى كونزالو الذي كان بحاراً بلحمه ودمه عتيقاً متمرساً وعنيفاً رهيباً . وعلى هذا ترك مهنة البحارة وحياة البحر وانتقل إلى مدينة صغيرة على ساحل البحر . وكما قلت لكم فالمدينة تقع بالقرب من بلاد النار . فهو الآن خفير فنار هناك ينظف المصابيح حين يمر الزمن مروراً بطيئاً .

ويشعل الأضواء ليلا لكي لاتضل السفن طريقها وتجنح . وبهذا فهو لايزال مرتبطاً بمهنته السابقة ولا بد من ذلك . إذ أنه لم يرغب أبداً في أن يكون راعي بقر أو دليلا في الجبال . كلا وألف كلا .

ولقد آن الأوان لأن أبدأ حكايتي . وما عليكم ، إذاً ،إلا أن تتصوروا عجل بحر كهذا . ولا شك في أنكم رأيتم أحد عجول البحر إما في حديقة الحيوانات أو مصنوعاً من احدى مواد اللعب . وعجل البحر حيوان له عينان صغيرتان ودقيقتان كرأس الإبرة وله زعانف مضحكة .

وفي أحد الأيام يعود أومبول إلى فناره بعد أن تسوق في المدينة المجاورة . فهو يلبس قبعة بحار عتيقة ويربط حول عنقه منديلا صوفياً سميكاً مخططاً بخطوط بيضاء وحمراء . ويصعد سلم الفنار زحفاً ويضع المفتاح في القفل ويديره ؛ فإذا الباب مفتوح .

ويدخل ويضع حقيبة المشتريات في زاوية الحجرة . فالصالون في الفنار مكانه أبداً تحت عند المدخل مباشرة . أما المكتب فمكانه فوق في الطابق العلوي عند المصابيح الكشافة . ولما كان الظلام لم يحل بعد فليس ثمة مايشغل أومبول فوق ، في الطابق العلوي ، لذا فإنه يجلس في كرسيه الهزاز ويتناول غليونه ويدخن ، ثم يقرأ في الصحيفة ما جد من أخبار .

ويقول لنفسه : لا ، لا ، ! ليست وظيفة رائد فضاء مناسبة لي . وحين أتصور أني رائد فضاء فلا شك في أن هذا شيء رائع . . . .

رائع أن تنظر من على الكواكب إلى البحار والجبال . . . ولكنني أستطيع أن أنظر إلى البحر أيضاً وأنا في فناري وحسبي هذا . . . . .
وبينما هو جالس في كرسيه الهزاز يهزه بهدوء وارتياح يسمع فجأة شيئاً ما يصيء في مكان ما .

قال أومبول : ياإلهي ! ماهذا الذي يصيء في مثل هذا الوقت المبكر من الصباح . نأمل ألا يكون فأراً . ثم إنه يلقي نظرة سريعة على حقيبة المشتريات . فقد كان فيها شحم الخنزير الجيد والجبنة والبسكويت ويعود ليتابع القراءة في الجريدة .

قال أومبول : وماذا عن السينما ؟ لا شي ء يمنع من الذهاب اليها مرة أخرى ولكن من أين لي أن أفعل ذلك ؟ فهذه العروض السخيفة تبدأ في المساء وفي وقت متأخر جداً وذلك حين أكون ملزماً بأن أدير المصابيح الكشافة .

فلماذا لم تقتن بعد مصابيح كشافة تعمل اليأ ؟ الحق أننا هنا متخلفون جداً . فنحن في آخر الدنيا . . . في بلاد النار . ومن هو الذي يقبل أو يرضى بأن يكون حارس فنار في هذه البلاد . بلاد النار ؟ أنا ولا أحد غيري . على أنني رجل بارع . وحتى طيور البطارقة في القطب الجنوبي لن تستطيع بكل ماهي عليه من وجاهة ، أن تشاهد أبداً دونالد دوك . فأنا ، أنا السعيد . عندي حجرتي الدافئة و . . . . صوت يصيء ويصيء .

– أعوذ بالله . ثمة شي ء يصيء من جديد .

وفي هذه المرة يضع أومبول الجريدة جانباً وينزلق من كرسيه الهزاز بأقصى ما يستطيع من سرعة .

– أظن أنه من الأوفق لي أن أضع الأشياء هذه في الخزانة . إذ يبدو لي أن ثمة فأراً في المنزل ! ويصيء الصوت مرة أخرى . ويدرج أومبول إلى حقيبة المشتريات .

– ليكن مكانك الآن في الخزانة في أعلى الرفوف ! هاهو شحم الخنزير الجيد ، وها هو البسكويت وتلك هي الجبنة الممتازة !

ويحمل أومبول عشاءه إلى الخزانة ويفتح الباب العلوي ثم يضع الأشياء بعناية وترتيب ، وفجأة . . . .

– ماذا يحدث هنا بالذات ؟ أين المفتاح ؟ إني لا أراه في مكانه ، لعلني أخذته معي إلى المصابيح الكشافة وأنا شارد الفكر . إذاً لن أصعد الآن إلى فوق .

ويعود إلى كرسيه الهزاز ليتابع القراءة .

ويتمتم : ياسلام أي شأن لي بالدراجات النارية التي يقتنيها شباب هذا العصر كلهم . إن هذا شيء بديع . وفي إمكاني الذهاب إلى المدينة بكثير من السرعة . والحق أني لم أكن قط راجلا ممتازاً . فأنا بطيء جداً بزعانفي هذه . ولكنني حين أتذكر هذه الدراجة النارية مكلفة جداً فضلا عن الوقود والزيت ! لا ، لا ، وبمرتبي هذا . . . ويصيء الصوت

ويكاد أومبول أن يسقط هذه المرة من كرسيه . فباب الخزانة مفتوح على مصراعيه .

– إنتظر لأريك . لن تفلت مني هذه المرة ! ياللوقاحة ! وبسلم حقيقي مصنوع من الحبال توصل هذا الحيوان اللعين إلى الشحم والجبن والبسكويت .

وفي الحقيقة تدلى من الخزانة المفتوحة سلم صغير جداً مصنوع من الحبال . .

وقبل أن يغادر أومبول مكانه يهبط فأر صغير ويتسلل بسرعة خاطفة من فوق ألواح خشبية ثم يختفي عن الأنظار .

لاشيء يريد إلاشحم الخنزير !

ويتنهد أومبول : أجل ، هي تلك المفاجأة البغيضة ! والحق أن هذا الفأر الوقح صنع فجوة في الجبنة . الويل لك مني ! فإذا ما أمسكت بك سأقذف بك من النافذة في العشب لكي لا تؤلمك السقطة أو تؤذيك !

ليت المفتاح الملعون كان معي ... على أنه اختفى وصار أثراً بعد عين!

– هل أخفاد هذا الفأر ؟ وأحسبه قادراً على أن يفعل ذلك . فمن يسرق الجبن لا يسلم منه المفتاح ، كما يقول المثل القديم . ولكن ما جدوى هذا ؟ الأفضل هو أن أبعد هذا السلم المغيظ من مكانه . وليكن مكانه في الخزانة .

على أن أومبول الكسول يتلطف بالصعود إلى حجرة المصابيح الكشافة ويجر نفسه ببطء على السلم الحلزوني . لكنه لايجد المفتاح هناك .

– لقد صدق ظني بالفأر . إذاً فهو الذي أخذ المفتاح .

ويدمدم مستاءً . وينظر إلى البحر . وفي هذه اللحظة تمر باخرة فخمة

ويهتف أومبول في حماسة : ياإلهي ، كم هي كبيرة . إنها صخمة جدا؟ بحيث إنها لن تجد المكان المناسب لها في مينائنا الصغير .

وأنسته الدهشة الفأر اللص في البيت .

وفي تلك الأثناء كان الفأر قد خرج من جحره وأحضر سلماً آخر ، اذ أن لديه مخزناً مليئاً بالسلالم العملية . وكان له عم غني في نيويورك فأرسل إليه هذه الأشياء كلها . إذاً فلن يعاني من أية ضائقة . وما على السيد أومبول إلا أن يأخذ بعض هذه السلالم ، فلديه مايفيض عن حاجته . ويرمي السلم الصغير الرفيع ويتعلق كلابان صغيران بنتوء ، ولم يبق إلا أن يتسلق !

الحق كل الحق أنها جبنة طيبة لذيذة . فالسيد خفير الفنار لايشتري إلاأجود الأشياء ! ويقضم قطعة أخرى لاباس بها من الجبنة الجيدة الصنع .

وما إن غابت السفينة الضخمة عن الأنظار حتى لاحظ أومبول أن الظلام قد حل .

وقال في ذات نفسه : من الخير لي أن أبقى هنا . هل يبغي علي أن أهبط وأصعد هذا السلم الطويل مرتين . فلقد أبعدت سلم الحبال ، وعلى هذا فإن الشحم والجبن والبسكويت في أمان . وحسبي هذا . سأشعل مصابيحي الكشافة فالوقت قد حان على أية حال !

ويشعل المصابيح الكشافة .

أما الفأر الذي كان يصول ويجول تحت في الصالون فيقول لنفسه : « الحق أني بخيل بكل مافي الكلمة من معنى . فلقد قضمت الكثير الكثير . على حين يعاني إخوتي وأخواتي المساكين العوز والحرمان في أثناء ذلك .

فلم جهاز الهاتف هذا الموجود عند السيد حارس الفنار ؟ أريد أن أصنع جميلا .

وبقفزة واحدة كان الفأر على المنضدة ، ويتناول السماعة ويدير القرص برجله ويطلب الرقم (٣١٨٧٥) مثله مثل الفئران البيضاء على الدراجة الهوائية .

– ألو ؟ هل الآنسة ذات القواضم الصغيرة موجودة ، إنني أخوك العزيز !

وعلى هذا يخابر الفأر الصغير أهله وذويه كلهم، واحداً تلو الآخر . وفضلا عن ذلك يجب على المسكين أومبول أن يسدد أيضاً أجور المخابرة .

على أنه مازال لايعرف شيئاً عن سوء حظه هذاوتعسه . وعلى حين كان الثلاثون فأراً يأتون بسياراتهم الصغيرة كان أومبول يوجه مصابيحه الكشافة في هدوء وارتياح نحو البحر ويدخن تبغه .

وماذا كان يجري في الصالون ؟ أقول لكم إن الفئران كانت تصيء طوال الوقت وتقضم بلا توقف . وسرعان ما أتت على عشاء أومبول كله . حتى إنها نظفت القشور وأكياس حفظ المأكولات وعلب البسكويت وبعدها يجلس الفأر الصغير في كرسي أومبول الهزاز وبيده مفتاح الخزانة . أجل ، إنه يجلس هناك ويتفرج بعين الشيطان المسرور على المشهد المضحك .

ويقول أومبول لنفسه : أما الآن فسأترك مصابيحي الكشافة لمدة خمس عشرة دقيقة . وفضلا عن ذلك فلا أثر لأية باخرة قادمة عن قرب فانا أحس بالجوع وسأعد لنفسي سندويشة من الجبنة اللذيذة .

أجل سندويشة جبنة وشاي مع الليمون الحامض ، هذا ماكان يحبه أومبول في حياته .

ولكن أية أصوات طرقت سمعه حين وصل إلى باب الحجرة ؟ صيء ، صيء ، صيء ، !

كأن الدنيا كلها لم يعد فيها إلا فئران صغيرة .

ونظر في حذر من ثقب المفتاح إلى داخل الغرفة . . . .

وصاح مشدوهاً : ياإلهي ، ياإلهي ، ياويلتاه ! حسبت أنه لايوجد في البيت إلا فأر واحد . فإذا بي قد صار في تلك الأثناء أكثر من مائة فأر .

إنه يبالغ بعض الشيء . على أن الدهشة تملكته في تلك اللحظة فرأى كل شيء ضعف ماهو عليه ، بل ثلاثة أضعاف .

وقال في ذات نفسه في كآبة وحسرة : أسفي أنني لن أقبض عليها أبداً . فأنا بطيء جداً . وستقفز الفئران من أمامي ومن فوقي إذا ما حاولت الإمساك بها ، كما أنها ستهزأ مني . فما العمل إذاً ؟ .

ويرقص إخوة الفأر الصغير وأخواته ويغنون بروح عالية أغنية تقول :

لاتهتزوا ، لاترتعشوا
إنا نسرق من أومبول
جبنته والبسكوت والشحم الممتلىء
كل هذا نقضمه
أومبول مغفل
إذ أن أومبول لايستطيع الإمساك بنا

ويرد أومبول من وراء ثقب المفتاح قائلا : أنا لست مغفلا . ولكنني بطيء بعض الشيء .

ولقد وصل الأمر بالعم العجوز (ماوس هوفر) إلى أنه أحضر معه قيثارته . أيضاً . وكان الفار الصغير يجلس في الكرسي الهزاز ويصفّر بالمفتاح . أجل ، لقد كان في حيرة من أمره ! على أن الله فتح على أومبول في وقت الشدة والمحنة : فهو ليس بأبله مغفل كما تزعم الفئران .

فعجل البحر (ايغور) زميل أومبول وسنفه ، كان سيداً مرحاً ضحوكاً. ولم يكن يسره شيء إلا أن يذهب إلى حفلات الكرنفال التنكرية.

— لعل بعض الأزياء القديمة لاتزا ل في مخزن العفش . وفي وسعي أن أرتدي أحد الأزياء وألقي ، وأنا متنكر ، رعباً شافياً في قلوب هولاء اللصوص الوقحين .

وعلى حين كانت الفئران الفرحة المرحة تغني وترقص كان أومبول يتوجه إلى مخزن العفش . وماذا يجد هناك ؟ لكم أن تحزروا ثلاث مرات . وحري بي أن أقول على الفور إنه عثر على زي تنكري يمثل قطاً كبيراً ، كما عثر أيضاً على رأس لهذا القط كي يوضع على الرأس . وكم ناسبه هذا الزي ! حتى إن أومبول نفسه لم يعرف نفسه في المرآة . . . .

ويجر نفسه جراً بطيئاً ويغادر البيت من الباب الخلفي وكان تحت النافذة مقعد أخضر اللون ، فيصعد عليه أومبول المتنكر ويخربش خربشة خفيفة على زجاج النافذة ويموء . أما الفئران فلا تزال آذانها صماء. فهي تضج وتصخب . على أن أومبول يعيد الكرة ويخربش بصوت أعلى ويموء . ثم إن العم العجوز ماوس هوفر ليس بثقيل السمع . إنه يرهف سمعه و . . . .

ــ وحق السماء ، إنه فأر ! الويل لي ، ماذا أقول ؟ إنه قط كبير .

ويقفز من الرعب فيدوس على قيثارته المطروحة أرضاً .

ــ أهو قط ؟

ويخربش أومبول بصوت أعلى ويموء ويموء . إنه يخربش على نحو مخيف ببراثنه المستعارة فيريج زجاج النافذة . وكان القمر يسطع ايضاً .

وا أسفاه ! كان عليكم أن تشاهدوا بانفسكم ما حدث .

فالفأر الصغير يجعل المفتاح يكون مفتاحاً ، ويقفز من الكرسي الهزاز قفزة رأسية فإذا هو عند الباب . هيا لبخرج الفأر من البيت ، ليس غير . ومن ورائه العشيرة كلها ومعها العم العجوز ماوس هوفر الذي لم يعد في حاجة إلى قيثارته لأنه حطمها وهو في حالةمن الذعر والإضطراب. وتنطلق جماعة الفئران مسرعة كالريح في سياراتها الصغيرة . متجهة نحو المدينة . . . . .

وماذا عن أومبول ؟ نعم ، هاهو يخلع ثياب القط في رضى وسعادة ويعلقها في خزانة الثياب جاهزة لكل طارىء . فالمرء لايعرف أبداً ما يجيء له المساء من مفاجآت في بعض الأحيان. وإن كان بطيئاً بعض الشيء.

ويقول : كلا ، كلا . أنا لست مغفلا أبداً .

وينهض ليشوي تفاحتين لذيذتين على قرص المدفأة المعدني .

* * *

كريستياني شيفر

الحصان الأخير

كان في قديم الزمان حصان وكان آخر مابقي من أحصنة ، إذ أن الأحصنة الأخرى كانت قد انقرضت كلها . وكان الحصان الأخير وحيداً جداً . فأنا توجه لم يكن يرى أبداً إلا أحصنة التماثيل التذكارية .

لقد التقى بالحصان الحجري على الجسر وكان على ظهره القديس مارتين . والتقى بالحصان البرونزي على سور المدينة وكان على ظهره ملاك والتقى بأحصنة كثيرة حملت على ظهورها جنرالات .

وشاهد في المتحف حصاناً مجنحاً لم يحرك ساكناً ، ولم يطر من النافذة إلى الشارع حيث انتصبت شجرة كستناء ، لا ، ولم يطر أيضاً في السماء الزرقاء .

كانت هذه الأحصنة كلها جماداً ولم تحي قط .

على أن الحصان الأخير كان مفعماً بالحيوية والنشاط . عاش في مرج صغير وسط المدينة ولم يكن للمرج سياج أراد الناس أن يمنحوه كل شيء لأنه كان آخر حصان . فكان حراً في أن يذهب أنّى شاء .

لكنه لم يتنزه كثيراً . كان المرج أحب مكان إلى نفسه وكان البستاني يأتي بالزهور بانتظام . وكان لابد للسيارات من أن تمر بالمرج في منعطف كبير . وكانت ثمّة مسافات تفصل بين الأبراج والبيوت الشاهقة ،ولهذا كان في الإمكان رؤية جانب من السماء الزرقاء .

أحب الحصان الأخير السماء الزرقاء لأنها وهبته كل ماأحب . جعلت العشب رطباً ولونت أزهار الجريس باللون الأزرق وجعلت نواقيس الكنيسة تقرع . ولهت مع الغيوم البيضاء ولعبت معها لعبة الإستخفاء ، وبعثت في نفس الحصان الأخير الفرح والسعادة . الفرح والسعادة . ولكنها عجزت عن شيء واحد فقط ذلك أنها لم تستطع أن تبعث الحياة في أحصنة التماثيل التذكارية .

في أحد الأيام جاء صبي صغير أسمه بيم وكان معه خبزٌ أبيض وقوالب سكر .

قال الصبي : يعتقد حصاني الهزاز أن الأماني سرعان ماتتحقق إذا ما تمناها المرء بحرارة .

وحصاني الهزاز خشبي لكنه يستطيع الطيران في الليل .

هز الحصان الأخير رأسه ونفخ ليبعد الشعرات البيضاء عن عينيه . لكنه لم يقدر على الكلام .

فلم يكن حصاناً سحرياً . وكان قد سكن ذات مرة في أحد الإصطبلات.

قال الصبي الصغير : أنت تشعر بالسأم والملل . فلو كنت مكانك اتمنيت أن أكون تمثالا . فهناك الكثير من أحصنة التماثيل التذكارية . عندها لن تكون وحيداً أبداً .

فكر الحصان الأخير ملياً .

وقال في نفسه : والمرج ؟ ماذا سيكون مصيره ؟ وأي مصير ينتظر زهور الجريس والخشخاش والأقحوان التي زرعها البستاني في الحديقة .

سرعان ما عرف سكان المدينة كلهم أن الحصان الأخير كان حزيناً . فأحضروا عربة كبيرة مليئة بالقت .

على أن الحصان الأخير لم يأكل شيئاً منها . وغرسوا في وسط المدينة غابة صغيرة بأشجار الحور . على أن الحصان لم يمضي ليتنزه فيها . وزينوا عدته بأجراس ذهبية صغيرة . ولكن الحصان الأخير رفض أن يضحك

وظل على هذه الحال إلى أن تمنى لنفسه شيئاً خاصاً به . فقد تمنى أن يكون المرج غطاء له وأن تكون للغطاء أهداب عشبية وأن ينثروا فوقه زهور الخشخاش وزهور الربيع وزهور الجريس الزرقاء ، وأن يكون له تاج من ورد وأن يكون له أزهار في الذيل .

ثم جاء البستاني ولوح بيده كما يفعل شرطي . فتوقفت السيارات كلها . وجاء شرطي المرور أيضاً في هيئة بستاني يحمل زهوراً .

خيم السكون على المدينة .

ونفخ البستاني ملء فيه ، فهبت الريح . ولوح شرطي المرور بيده فهوت الريح عندئذ فوق المرج .

ثم استحال الحصان الأخير إلى تمثال غطى ظهره غطاءٌ من العشب . كان شعره من عشب . وفي ذيله نبتت أزهار . على أن الحصان لم يكن من حجر . لقد كان من خشب . ولم يكن من البرونز . ولم يكن له

جناحان . كان مصنوعاً من أمان زرقاء ، زرقتها كزرقة السماء وكانت أزهاره كلها حقيقية تزهر في الصيف وتذبل في الخريف وتزاحمها الطحالب في الشتاء ؛ على أنها كانت تتجدد في الربيع في ألوان مختلفة : زرقاء وحمراء وبيضاء وخضراء .

أما الأطفال فقد سمعوا الحصان الأخير يخب ليلا في الشوارع ويصهل . وسمعه أيضاً الصبي الصغير المدعو بيم .

جرى الحصان الأخير عدواً أمام أبواب المدينة حيث كانت تقوم أحصنة التماثيل التذكارية في صف واحد ، ملوكها وجنرالاتها وملائكتها وقديسيها .

رمى الحصان الأخير مرجه عن ظهره ونفض الزهور من عرفه ونادى أشجار الكستناء فتقدمت نحوه وصحبتها المراعي .

على أن العشب نما واستطال حتى بلغ السماء ، ولم يستطع أحد أن يرى ما حل بالسيوف والحراب والأجنحة وتيجان الملوك والأساقفة .

في صباح اليوم التالي كانت أحصنة التماثيل التذكارية تقف في أماكنها من جديد ، ماعدا الحصان الأخير . كان يقف حالماً صامتاً ، تارة أمام المتحف وتارة أمام فناء المدرسة . وطوراً في وسط ساحة وقوف السيارات أو على طريق السيارات العريض .

أما بيم ، الصبي الصغير ، فقد كان يذهب من حين إلى حين ليقطف من قدام بوابات المدينة باقة من زهور الزنبق والسوسن والأعشاب والنباتات تضم شتى الألوان : الأزرق والأبيض والأحمر والأخضر .

* * *

أرنست كرويدر

نصيحة الغراب للحيوانات

في صبيحة يوم من الأيام حط غراب تقدّم به العمر على غصن بلوطة كثير العقد بعد أن قذفته من جبال الألب الأمامية إلى غابة تويتوبورغ (**) عواصف هبت أياماً. ونظر إلى عملية الصيد العنيفة في بطن الوادي. حين عاد الصيادون في المساء يحملون الحيوانات البرية الصريعة كان بينها المئات من الغزلان والأرانب والخنازير والديوك البرية. عندها قرر الغراب، وهو في حزن وغم شديدين، أن يقدم نصيحة للحيوانات، وكلف الحمام البري بمهمة نقل رسالته. في إحدى الليالي المقمرة اجتمعت الحيوانات في شعب من شعاب الغابة لتستمع إلى الغراب.

(*) ارنست كرويدر Ernst Kreuder (١٩٠٣ - ١٩٧٢) قاص وروائي وناقد. من مؤلفاته: ليل الأسير (١٩٣٩) ألبيت والشجرات الثلاث (١٩٤٤) المختفون (١٩٤٨) وانفاق الظن، (١٩٦٦) تعكس مؤلفاته الاحتجاج الانساني الضعيف ضد النظام الاجتماعي الرأسمالي.

(**) غابة تويتوبورغ: هي سلسلة جبلية في منطقة الفيزر في شمال غرب ألمانيا.

وصف الإتحاد الألماني للصيد نتائج هذا التشاور الليلي فيما بعد بأنها تصرف لم يكن في الحسان . وتكلم مجلس الصيد العالمي في باريس عن تطور مذهل .

أوضح الغراب للحيوانات أن الشيء الذي ساقهم إلى التهلكة لم يكن إلا فرط وجلهم وذعرهم .

وقال بصوت خشن : « ما من صياد في هذه المنطقة يطلق النار عليكم لأن معدته تقرقر . بل إنه يطلق النار لأنكم تهربون . فهو يريد أن يصيبكم بعياره الناري . العملية،إذاً ، هي عملية صيد وقنص دامية . وفي الإمكان علاج الأمر . فاسمعوا نصيحتي » .

أصغت الحيوانات باندهاش . ولما أنهى الغراب كلامه طلب وعل الكلمة . فثغا بصوت مبحوح مؤكداً أن الخوف يتخذ مكانه في قوائمهم ، ليس غير ؛لذلك . فهم لا يسيطرون على هذه القوائم الصغيرة . انضم إليهم قنفذ فأبدى ملاحظته متلمظاً بأن ثمة عشبة برية نادرة الوجود ، لكنها ذات مفعول عظيم ضد الخوف الكامن في الأرجل . غاب في أحد الخنادق،وعاد بعد نصف ساعة حاملا على أشواكه عشبة ناعمة خضراء .

شكر الغراب القنفذ وحث الحيوانات على البحث عن هذه العشبة والتزود بها وأكل بعض أوراقها في الصباح والمساء . ولما حل وقت الصيد الكبير حدث مالم يكن في الحسبان . هبط السادة من عرباتهم ودخلوا منطقة الصيد ومعهم معاونوهم . لكن المشهد الذي رأوه أمامهم على مرج هادىء جعلهم ينسون انتزاع بنادقهم المنقوشة المزخرفة من على مناكبهم المبطنة بالقطن كان على حافة الغابة مئات من الوعول والغزلان والأرانب

والخنازير والديوك البرية ، بعضها واقف رابض وعلى قمة الشجرة كان غراب مسن .

بدا للضيوف الصيادين والمطاردين أن الحيوانات كانت تنظر اليهم نظرات الدهشة والإستغراب والملامة . أراد دبلوماسي كندي أن يخيفها فأطلق عياراً نارياً في الهواء . لكن الحيوانات لم تتحرك ساكناً ، وذهل الصيادون وحاروا في أمرهم .

قال سيد فنلندي: محال أن نطلق النار على حيوان رابض لاينهض ناهيك من أنه لايهرب . . . . .

وقال غواتيمالي : مثل هذه الإهانه لاتحتمل . . . .

وخنخن ملحق عسكري : هذا تحد صريح لانقابله إلا بالمثل . . . وسدد بندقيته الثنائية المواسير واطلق النار على خنزير بري فسقط الخنزير البري على جنبه وفتح خرطومه الدامي ثم مات .

نظرت بقية الحيوانات إلى المسلحين بالسلاح الخطير دون أن تبدي حراكاً . غير أن الصيادين قد فقدوا كل لذة في الصيد .

عاشت الحيوانات حيناً من الدهر حرة آمنة مطمئنة في الغابات والحقول لأنها لم تعد تهرب ولأنها أفسدت على الصيادين متعة الصيد بوداعتها المسالمة .

ذات يوم كانت الحيوانات قد التهمت آخر نبتة في العشبة التي تحرر من الخوف ، واستهلكت كل ما ادخرته من مؤونه . ولما كانت العشبة تنمو نمواً بطيئاً أخذت الحيوانات تهرب من الإنسان في حين شرع هذا يقتلها بحماسة متزايدة وهمة كبيرة .

* * *

مارتين غريغور ديلين (*)

حين يأتي القديسون

هل ينبغي علي أن أحكي حكاية ؟ حسن ، إذاً ، ساحكي حكاية . وها أنا ذا أحكي من جديد عن مارتين الصغير . ويبدو أن هذا يعجبك أيما اعجاب ، سواء حكايتي عن سريره الأبيض المزين باكليل من الزهور وفيه بدا كأنه أمير ،أم الحكاية عن غيظه الشديد من هيلما البدينه التي كانت تجهل كل شيء عن عالمه الصغير .

فهي لم تستطع قط أن تعتاد على زيارة السيدات اللواتي كن يلتقين معاً في الموعد المحدد ، كل يوم خميس . كن يأتين لتناول القهوة ومناقشة المسائل المتعلقة بتربية بناتهن . كن يقرعن الباب ، وكان مارتين وحده يسمع القرع ، فكان يفتح الباب لهن فيدخلن مارات بهيلما التي كانت

(*) مارتين غريغور ديلين Martin Gregor — Dellin من مواليد ١٩٢٦ . عمل من عام ١٩٥١ – ١٩٥٨ مراجعاً علمياً في إحدى دور النشر في مدينة هالة في ألمانيا الديمقراطية ثم جاء بعد ذلك الى ألمانيا الاتحادية ليقيم في مدينة بايرويت متفرغاً لكتابة المسرحيات الاذاعية والقصة والنقد .

تحس بتيار هواء ، تعجب لماذا كان مارتين ينحني في الممشى وهو يفتح الباب ويمسكه . كانت السيدات يرتدين قبعاتهن وكان يلذ لهن أكل القشدة والجلوس على السجادة والإسترسال في الحديث . وهذا يعني أنهن كن يتكلمن . وما كان على مارتين إلا أن يجيب . فأمامهن كانت الفناجين وكن يشربن منها بين الحين والآخر . وكان لكل منهن مكانٌ محددٌ تجلس فيه . وهيلما وحدها لم تكن تفهم ذلك ، فحين كانت تدخل الحجرة وهي مرتدية سترتها الصوفية السميكة كانت تتنقل بين السيدات وتدوسهن على أقدامهن . ولو لم يصرخ مارتين من أعماق قلبه لكانت حطمت الأطباق والفناجين كلها ، وقلبت نظام الجلوس رأساً على عقب . لكنها،مع هذا،لم تفهم شيئاً قط . فهي لم تر ابداً أن السيدات جئن وافترشن السجادة وتكلّمن معاً عن تربية بناتهن اللواتي سيتزوج مارتين إحداهن فيما بعد ،وكان هذا شيئاً مهماً ، كل يوم خميس والحق أن هذا كان متعباً . فالإنشغال المستمر بالنفس وبالسيدات كان مجهداً جداً . وبعد ذلك كانت النفس تشتاق إلى النوم في سرير . ومن يعود نفسه على السرير سينام فيما بعد نوماً هانئاً عميقاً . فما هي قصة السرير هذه ؟ ولم أتطرق اليها ؟

طبيعي أنك تعرف ذلك فأنا أحكي كل مره هذه القصة. حين كان الظلام يخيم على الكون كان هذا يعني أن النوم بدأ في السرير الأبيض ، وحين كان القمر يظهر وراء النوافذ ، كان هذا يعني بدوره أن القديسين بدؤوا يسيرون .

كان القديس الأول عازفاً على الكمان وكان له شعر أسود . كان وفرة من الشعر الأسود . وقد وقع هذا في نفس مارتين موقعاً حسناً ،

لاسيما الشاربان المدببان فوق شفتي العازف واللحية السوداء المسددة .
مسح عازف الكمان لحيته برؤوس أصابعه المبللة وتناول الكمان وراح يعزف إلى أن جعل الأشياء ترقص والكرسي يقفز والملاعق انتصبت واقفة في الخزانة ، وإلى أن صار لقمصان النوم بطون ، وتحركت المخدات تحت رأس مارتين ، وتسلل الرقص الى ساقيه .

لكن القديس الثاني لم يلبث أن جاء وسحر كل شيء . اذ أنه كان ساحراً . كالا كالا . . . .

اختفت الأشياء ثم ظهرت مرة اخرى . لئن جعل عازف الكمان الكراسي والمقاعد ترقص فقد استحالت فجأة إلى فزاعات طيور وعصي ولقالق . لاأبالغ إذا ماقلت إنها كانت طيور بط ، ليس غير . على أن العازف أخطأ في العزف وأضاع قوس الكمان الذي حوله الساحر إلى خنجر . أاراد مارتين أن يضحك ، لكنه لم يستطع . وكان على يقين أن هيلما البدينة كانت السبب في ذلك إذ أنها زجت نفسها في أثناء ذلك وهي في سترتها الكريهة .

ثم جاء القديس الثالث . حين يأتي القديسون لابد أن يكونوا ثلاثة مثلهم مثل جميع الأشياء الحلوة الجميلة ومثل السيدات أيام الخميس . جاء القديس الثالث وكان بائع مرطبات فرض نفسه على الجميع : على فزاعات الطيور وعلى الساحر وعلى عازف الكمان الذي كان مغلول اليدين، وحتى على مارتين نفسه .

غضب عازف الكمان لأنه لم يستطع أن يعزف بالخنجر فقد قطع الأوتار كلها وخدش الآلة الموسيقية . أحب مارتين بائع المرطبات كثيراً لأنه كان بالغ اللطف نحو الجميع .

وبمقاومة مصطنعة ضد مارتين بائع المرطبات وهو يبتسم في حيرة كمن كان يريد المجاملات . لكنه نال نصيبه من المرطبات . حين انسحب القديسون الثلاثة ذاب الحلم كله مع قطعة الحلوى المتجالدة .

وبقيت اليد وحدها مبللة . هذا ما كان حين جاء القديسون .

قص مارتين حلمه على السيدات الثلاث لكي يكن على بينة من كل شيء ، إذ أن إحداهن كانت أم الفتاة التي كان يريد الزواج منها في يوم من الأيام وإن لم يكن يعرف أيهن .

طبيعي أنه كان لدى السيدات أحاديث كثيرة عن الأحلام . فتكلمن على كتب تفسير الأحلام وقلن إن الماء الأسود يجاب الشؤم والحصان الأبيض يعني خبراً طيباً وما شابه ذلك من قيل وقال .

قال مارتين في نفسه : دعهن وشأنهن . ماعلى المرء إلا أن يستمع إليهن . فهن لم يجئن الا من أجل ذلك . إنهن يأتين للزيارة بدافع اللياقة . فيقرعن الباب ، حتى او لم تسمع هيلما القرع ، ويحتسين القهوة بالقشدة في جرعات صغيرة ثم يمضين في حال سبيلهن . لئن تكلمن عن كتب تفسير الأحلام ، فليس ذلك انهن يعرفنها على نحو جيد .

هكذا جلس معهن على السجادة وألقى باله بحيث لا يدخل أحد ويحطم الكؤوس وكان كل خميس يقضي الوقت بالتسلية على هذا النحو . كان المرء يستعيد الذكريات ويتناقل الأخبار . ومن حين إلى حين كان يأتي ذكر عازف الكمان صاحب الشعر الطويل واللحية المسدة . كما كان الحديث يتناول الساحر كالا كالا الذي كان يجعل الأشياء تختفي عن الأنظار مما أغضب عازف الكمان وكان الحديث يتناول أيضاً بائع المرطبات الذي منح المدرة في آخر الأمر .

واذا لم تكن السيدات يفهمن مثل هذه الأمور فإن مارتين لم يكن مسؤولا عن ذلك ولم يكن الذنب ذنبه ؛ اذ كان في وسعه أن يستغني عن مجالسهن .

والحق أنه كان يستغني عن ذلك من حين إلى حين. فالمساء وحده كان ولا يزال باقياً على الدوام . وكان في الامكان ابداً الانتظار إلى أن يشق القمر دروبه الضوئية عبر النافذة . وعلى هذه الدروب كان القديسون يسيرون كان يتقدمهم عازف الكمان حاملاً كمانه القمري وفي أعقابه الساحر الماكر يسترق الخطو بنظراته السليلة الغامضة . على أن بائع المرطبات غطى عليهما . ثم ان السيدات لم يكن يفهمن شيئاً من هذا . كان ينبغي عليهن أن يهتممن ببناتهن أو بواحدة منهن . وكان لديه وقت . وكان في وسعه أن يتريث في الزواج . لقد كان لديه مؤقتاً من نكد هيلما مايكفيه.

وبهذا تكون حكايتي قد انتهت .

* * *

فالترهيلموت فريتز (*)

المدينة

كان هانز قد حصل على أحجار البناء واستطاع أن يبني بها بيوتاً . بل مدينة وفجأة تضخمت الأحجار أكثر من المعتاد . لم تكن الشوارع عريضة إلا بما يتسع لأصبعين بين الواجهات . أما الآن فقد استطاع أن يتنزه بها .

لقد أدهشه ذلك وعلى حين كان يجلس إلى منضدته في غرفته ويركب قطعة تلو القطعة لتتكون مدينة يحيطها بنظرته استطاع أن يقدم بيتاً هنا أو هناك أو يغير مكانه ، كلما خطر هذا بباله ، واستطاع أن يطول حافلة كهربائية أو يقصرها هناك أو يلغيها من مكانها . أما الآن فقد صار كل شيء ثابتاً بحيث تجول بين هذا وذاك .

(*) فالترهيلموت فريتز (Walter Helmut Fritz) ولد في مدينة كارلسروه عام ١٩٢٩ . يكتب في الشعر والقصة والنقد من مؤلفاته : « ملاحظات عرضية » (١٩٦٤) وهي مجموعة قصصية .
« وطرق ملتوية » (١٩٦٤) ، فضلا على دواوينه الشعرية العديدة . أما الوصف الذي يقدمه للعالم فهو وصف بعيد عن الوهم . على أن تقدما حقيقيا يظهر في هذا العالم هو من الامور التي يصعب ادراكها أو وعيها ، كما هي الحال في قصتنا « المدينة » .

لكنه لم يلبث أن عرف البيوت التي كان قد لعب بها غير أنها قد فاقته علواً . وعوض من أن يتناولها باليد ويتأملها ويصفّها إلى جانب بعضها البعض . كما كان يفعل أبداً ، فإنه وقف أمامها في تلك اللحظة ونظر اليها فرأى نوافذ ؛ على أنها كانت مغلقة في كل مكان ورأى فوقها تمديدات الأسطحة ، ثم اكتشف ثغرة واحدة فقط وكان قد فاته أن يركب آنذاك سطحاً في مكان هذه الثغرة وعرف أيضاً أنه هو الذي وضع مخطط هذه المدينة . وكان على الساحة الواسعة عدة نوافير ، ولكنها كانت ، وياللغرابة ، بلا ماء . كما أنه بحث أيضاً بلا جدوى عن الحمامات التي كثيراً ما كانت تقيم في جوار النوافير .

أما الشوارع التي كانت تتفرع عن الساحة كتفرع الشمس فقد كانت طويلة جداً حتى انه احتاج إلى وقت كثير حتى وصل إلى نهايتها . لكنه لم يسر حتى النهاية . اذ أنه قلب بضعة بيوت رأساً على عقب قبل الوصول إلى نهاية الشارع .

بدت له المدينة ، في بادىء الأمر ، خالية ، ثم التقى ، برجال ونساء كانوا يسرعون في الذهاب والإياب أو كانوا يقفون أمام حوانيتهم. ولم يكن هؤلاء الناس الا الأشكال التي كان قد وضعها عند دار البلدية والمستشفى أو أمام باب الكنيسة ، وكان كل صباح يراها هناك في مكانها. على أنها تحركت الآن إلى مكان وكانت تظهر ثم تختفي عن الأنظار . كما هي أيضاً كانت كبيرة جداً . وكان هناك شبان يافعون يزيدونه طولاً بمقدار الرأس .

وتمنى لو أنه خاطب أحداً منهم. لكن الشجاعة لم تواته على ذلك، مع أنه كان قد لعب، منذ زمن غير بعيد، مع هؤلاء الناس على أنه لم يجرؤ

في تلك اللحظة على أن يسألها أي شيء وربما استطاع أن يعرف شيئاً عن هذا التحول العجيب الذي أصاب المدينة وذكرته وجوههم بوجوه والديه وعمه وعمته ، لكنها كانت أكثر جموداً . فلم يحولوا انظارهم أبداً ، بل كانو ا ينظرون إلى الأمام ليس غير . لم يبتسموا ولم يكونوا حزانى ولم يتجاذبوا أطراف الحديث ومر البعض بالقرب منه . ولعل الفرصة كانت مواتية في تلك اللحظة، اذ تأتّى له أن يناديهم باسمائهم التي كان قد خلعها عليهم من مثل : كلاوس وبطرس وأوتي . ولكن من يدري اذا كانوا لايزالون يحملون هذه الأسماء وقال في ذات نفسه لابد أنهم سيعرفونه . ولكن مامن أحد منهم وقف ليعبّر عن فرحته برؤيته أو دهشته بذلك .

وبلغ مكاناً كان يحبه . كان فيه الأشجار الكروية . جلس تحت شجرة لأنه كان قد أحس بالتعب . ومرت سيارة ولكنه لم يسمعها كما يسمع السيارات في المدينة التي يسكن فيها . مرت السيارة بلا صوت . وتمنى لو كان لديه الكثير من هذه السيارات . وبلغ به الفضول إلى رؤية أحد البيوت من الداخل ولم يستطع قط أن يلقي نظرة إلى داخل البيوت التي بناها بنفسه ولا بد أن يكون فيها غرف .

وبعد مرور فترة من الزمن استطاع أن يعقد العزم على أن يطرق أحد الأبواب ولم يرد أحد وأعاد الكرة ولكن من غير طائل . ثم استجمع شجاعته وضغط على الجرس فانفتح الباب وتركه مفتوحاً مخافة أن يبقى محبوساً في الداخل . ومشى في أحد الدهاليز ومر بأبواب أخرى واصاخ السمع .

كانت الحجرة التي دخلها خالية وكان كل شيء جديداً وحديث

العهد كأن البيت قد تم بناؤه منذ وقت قريب ولم يشغله أحد بعد ولمس الجدران كأنما أراد أن يتأكد من أنها موجودة حقاً وأطل من احدى النوافذ . كان كل شيء هادئاً ساكناً .

وولى هارباً . لقد شعر بالخوف وسمع وقع خطاه بوضوح وكان سعيداً حين وجد نفسه في الشارع ، اذ كان فيه بشر على الأقل .

وقال في ذات نفسه : مادام هؤلاء الناس موجودين في الشوارع فلا بد أنهم يسكنون أيضاً هذه المنازل . لكنه فقد الرغبة في أن يدخل بيتاً آخر ليرى مافيه خشية أن يكون خالياً أبضاً .

وحين جاء المساء غادر المدينة على جناح السرعه . ومن بعيد التفت مرة أخرى فرآها متناهية في الصغر على السطح المستوي . وظن أنه صار في الإمكان الآن امساكها باليد فلقد بدت من بعيد وهي في غاية من الضآلة في الحجم .

* * *

روبرت فولفغانغ شنيل (*)

الطائر الكبير

حين تسلق (رودي) شجرة التفاح لم يصادف شيئاً غير عادي . حتى الغصون لم يكن فيها ثمر . فما قام به لم يكن الا عملية تسلق ، ليس غير . وحين نزل خشي أن تصيب قدمه الفروع في أسفل الشجرة . على أن كل شيء مر بسلام ووصل إلى الأرض من دون أن يراه أحد .

ولم يرضه أن أحدا لم يره . فما من أحد عرف أنه كان متسلق الأشجار الكبير الذي شاهد الدنيا من أعلى الشجرة فالدراجات عند البيت صارت ضئيلة خلافاً لما كانت عليه حين كان المرء يقف بجانبها . ولما كان كل شيء مر بسلام قال في ذات نفسه : « سأتسلق الشجرة قبل أن تمر ماريانا وسأرميها بشيء من فوق وبهذا تكون قد نالت عقابها . لم قالت عني أني مسست بيدي شرائح الخبز كلها ؟ أردت أن أجرب فقط أية شريحة كانت أكثر ليونة وطراوة » .

(*) روبرت فولفغانغ شنيل Robert Wolfgang Schnell من مواليد عام ١٩١٦ .

لقد عرف رودي الشيء الذي سيرميها به . وكان قد رأى أنه يستطيع أن يحل براغي الكرات الموجودة عند بسطة السلم وينتزعها من مكانها. وكان أبوه أبداً يقول ان هذه الكرات لتبدو شبيهة برأس العم ايفالد الأصلع . اما هو فسيأخذ احداها ويرميها إلى الأسفل .

لقد صعب عليه أن يتسلق الشجرة ومعه الكرة الخشبية على أن كل شيء سار سيراً حسناً حين اكتشف (رودي) أنه في الإمكان تعليق الكرة في رأس الغصن ورفعها بعد ذلك .

ليت ماريانا تأتي في الحال ! فليست اليوم في عجلة من أمرها . وفي أغلب الأحيان يدرك المرء مايتمناه من أعماق نفسه . ولا سيما إذا لم تكن الأمنية كؤوس مرطبات كبيرة أو كميات ضخمة من لحم البقر المطهو . ثم جاءت ماريانا على أنها لم ترفع بصرها إلى أعلى . وعلى هذا لم تر (رودي) ولم تشعر بوجوده . ورفع الكرة عالياً لكي تصيب الهدف اصابة مباشرة .

وأوشك أن يسقط من على الشجرة أثناء الرمية فلقد طوح بيده إلى تحت . لم يعد فيها شيء وتابعت ماريانا سيرها ثم دخلت البيت . وتعلق بأقرب غصن وتغلب على فزعه واستعاد هدوءه ثم نظر فيما حوله .

كان ثمة طائر أسود اللون عسلي العينين حط وراءه وكانت الكرة الخشبية في منقار هذا الطائر وحدق رودي في الطائر وشد قبضته على الغصن . . وبدا على الطائر كأنه كان يتوقع نظرات رودي . فما أن تلاقت النظرات حتى طار بعيداً وعند الغداء لم يشعر رودي بالإرتياح فكر بأبيه ، لاسيما حين سيفتقد الكرة على بسطة السلم العلوية . على أنه سرعان مااستعاد هدوءه وطمأنينته حين ذهب إلى القيلولة من دون أن ينطق بكلمة .

جلس أمام صندوق ألعابه وفكر بما يمكنه أن يلحق بماريانا من أذى . فإذا لم ينتقم لنفسه فسيكون طفلا رضيعاً لاعقل له بعد . وفجأة تذكر الطائر.لكنه لم يرد أن يفكر به . ماذا عساه يفعل بهذا الطائر؟ إن طائراً كهذا الطائر لاوجود له .فلاشك أن شخصاً يافعاً كان قد أتى به إلى هذا المكان وإلى ذلك فالطائر بدا وكأنه الإسكافي الذي قذفه بحذائه لالشيء إلا لأنه كان قد سرق منه بضعة مسامير مما كان لديه وكان يفيض عن حاجته . على أن الصبي ارفين من تلامذة الصف الثاني كان قد كتب على الجدار : الإسكافي غبي . ولسوف ترى مني هذه الدعبة ماريانا . ليس مع (رودي) . . . شيء كهذا لايفعله المرء برودي وفي وسعه أن يترك سيارته ذات عجلة التوجيه تسير في الغرفة حين تكتب ماريانا واجباتها المدرسية . . . . .

أو أن يضع قلم الحبر الناشف بين سراتها البيض . ومر الوقت الجميل كله وهو يفكر بمثل هذه الأفكار السخيفة . وحين أذنت الأم بالعشاء لم يكن قد قام بشيء من عمله . فسفينة القطع الكهربائية البلاستيكية لم تكن جاهزة بعد ، فهي لاتزال كما كانت عليه في الصباح . كما أن لوحة الشتاء التي سيقدمها للجدة بمناسبة عيد ميلادها لم تكتمل بعد . كان ينقصها الرياضيان والزلاقتان . على أنه أحس فوق هذا، بالإنزعاج لنداء أمه . فمن يفكر بالإنتقام يجد نفسه مثقلا بالعمل مثله مثل حيوان اللاما في جبال البيرو . وكان رودي قد وصل إلى مكان فيه كرنب زرع لماريانا وحدها فعلقت فيه السكين وكان عليه أن يشغل نفسه بذلك ثلاثة أيام من دون أن يفرق الخبز والأصابع والسكين عن بعضها البعض ولم ينفع المجهود كله شيئاً : كان هناك سجق الكبد الذي لم يكن رودي

يحبه كما أنه لم يستطع أن يتفحص شرائح الخبز فكان عليه أن يقبل بالأمر الواقع .

ومن ثم كان لابد من غسل الشعر بالماء والذهاب إلى النوم وكان الحنق والتفكير قد أضنياه؛ فلم يلبث أن راح في سبات وفي الصباح وحين نزل السلم كانت ماريانا تجلس إلى المائدة فبادرته قائلة الحمد لله ! اليوم سلم كل شيء من يدك المقيتة . ولم ينبس رودي ببنت شفة . لكنه قال في ذات نفسه : « انتظري وسترين مني مايرضيك » .

كان الذهاب إلى الشارع عبر حديقة رودي يستدعي المرور من باب خشبي أغلق عند رأسه بعارضة خشبية . وعلى ذكر هذا الباب خطرت لرودي في تلك اللحظة فكرة من أجل ماريانا سبقت أن خطرت هذه الخاطرة أيضاً لكثير من الصبيان . لقد رأى بأن يضع ابريقاً من الماء على العارضة ويربط الإبريق بخيط ثم يدق مسماراً في الباب الصغير ليربط به الطرف الاخر من الخيط .

وحين يأتي أحدهم سينسكب الماء فوق رأسة .

ولم تكن ثمة نافذة تطل على هذا الباب. فاستطاع رودي أن يقوم بعمله في هدوء وارتياح . واستطاع هو نفسه أن يختبيء تحت شجيرة الورد لكي يقطف ثمرة عمله .

وجاءت اللحظة وجاءت ماريانا ولم يكدر صفوه إلا شيء واحد وهو أنّ الطائر الأسود ذا العينين العسليتين حط على العارضة الخشبية في اللحظة التي كان على ماريانا أن تأتي فيها ولم يتطلب العمل منه الا ثانية

واحدة ليحل بمنقاره الخيط من الإبريق .ثم عبرت ماريانا الباب دون أن تصاب بأذى وبسط الطائر جناحيه ورفع الإبريق وألقاه في شجيرة الورد .

عندها أخذ رودي يفكر بالطائر حتى صار محور أفكاره . وود أن ينعم النظر فيه ملياً وأن يتبادل معه بعض الكلمات . . وعلى هذا أعد الشيء نفسه لليوم الثاني فإذا لم يأت الطائر فسيشفي، على الأقل، غليله من ماريانا . وجلس تحت الشجرة متيقظاً محترساً لم يحدث أي شيء غير أن الأم كانت قد دعت إلى تناول الطعام وهذا يعني أن ماريانا يجب أن تكون موجودة في البيت منذ وقت طويل . فالدروس توقفت في الواحدة فلا هي جاءت ولاالطائرجاء وفي تلكاللحظة انفتحالباب الصغير فتبلل الاب من رأسه إلى أخمص قدميه .

قال الأب : « اللعنة » .

وكان الماء قد جعل نظره ثاقباً . فرأى رودي تحت شجيره الورد. سحبه وأمسك به من ياقته من الخلف ، ثم قاده على هذه الحال إلى البيت . لم يقل شيئاً ولم يفعل شيئاً .

ووجد (رودي) أباه في تلك اللحظة رائعاً مع أنه كان يجد فيه بعض العيوب . لقد كان يمنع رودي، مثلا ، من أن يأكل البطاطا المقلية باليد . لكنه كان لابد من تلقين ماريانا درساً .

وفي اليوم التالي صحا من نومه في وقت مبكر جداً ؛ لقد أيقظه شعاع حط على أهدابه ؛ كما أن هذا الشعاع كان قد حمل معه أيضاً في الوقت نفسه الفكرة المناسبة .

لبس رودي ثيابه على عجل ونزل السلم . كانت أمه في المطبخ . وكان طعام الإفطار قد أعد في الغرفة . كان كل شيء هادئاً . لم يشعر

بالإطمئنان . فوارب الباب ولم يعمد إلى اغلاقه جيداً، ذلك لأن الطائر يجب الا يجد مشقة في الدخول حين يإتي .

وتوجه رودي إلى المائدة على رؤوس أصابعه . وتناول شريحة تلو الأخرى ولحس كل شريحة من كلا طرفيها . الآن جاء دور ماريانا الراقية بكتبها الفرنسية واللاتينية ترى أية عقوبة استطاع رودي أن ينزل بها. والحق أنه لم يكن عاجزاً كل العجز كما كانت تتصور ماريانا. ومن يدري ، فلعلها هي التي أرسلت ذلك الطائر . على أنه لم يسمع قط أن الطيور خضعت لطالبات الثانوية أو كانت رهن اشارتهن .

وفجأة صر الباب صريراً خافتاً .

ومن الذعر أوقع رودي شريحة الخبز الأبيض التي كان قد تناولها لتوه ونظر حوله في حذر وانتباه . كان الطائر الأسود يقف هناك عند الباب بلا حراك ؛ كما أن رودي لم يحرك ساكناً . وأطبق الطائر جفنه الأيمن الشديد البياض . كان هذا علامة رضى ووفاق ، وأومأ رودي إليه إيماءة سرية ثم طار الطائر .

ونظر رودي في حماسة إلى ماريانا وهي تأكل قطعتين من الشرائح التي كان قد لحسها من دون أن تدري . ماذا حدث.ياله من يوم جميل .

وبالمناسبة فإن مايلقي ضوءاً على الشيء الكثير هو أن رودي هذالقب برودي شنايدر (الخياط)(١) مع أن أباه كان موظّفاً في أحد المصارف.

(*) اشارة الى أن الخياط الذي يقص الثوب ويفصله ويخيطه مثله مثل (رودي) الذي يدبر الخطط للانتقام من اخته ماريانا كما أن « شنايدر » بالالمانية تقابلها « الخياط » بالعربية .

أنغريد باخير (*)

القارب والصنوبرة

كان صبي يعيش على شاطىء البحر وكان له قارب . كان كل يوم يخرج بالقارب إلى البحر وكان كلما ذهب بعيداً في عرض البحر ينسى أن والديه كانا ينتظران عودته . وكثيراً ما كان يعود في الليل .

وهذا ما أغاظ والده وفي ذات مساء كان الأبوان قد عاودهما القلق على الإبن الذي جاء في وقت متأخر جداً . عندها صاح الأب حانقاً : « وددت لو أن هذا القارب على جبل في أرض نائية لابحر فيها ولا ماء فيتفرق شملكما بذلك » .

وتحققت الأمنية . ودهش الأب ودهش الناس كلهم لذلك ايما

(*) إن عنوان القصة الاصلي هو « القارب عند الصنوبرة على الجبل » وعمدنا الى اختصاره من دون ان نغير في المعنى أونحرف شيئاًاشتمل عليهالعنوان.أما الكاتبة انغريد باخير (I . Bacher) فهي من مواليد ١٩٣٠ (روستوك) وهي من أحفاد الكاتب الألماني الكبير تيودور شتورم (١٨١٧ – ١٨٨٨) تكتب القصة والتمثيلية الاذاعية والمسرحية . من مؤلفاتها مجموعة قصصية للأطفال بعنوان « جزيرة الأطفال (١٩٥٨) والابنة (١٩٦٥) .

اندهاش . ولم يعرف الأب أنّه في تلك الليلة كانت اللحظة بعينها التي كان في استطاعته أن يتمنى شيئاً لنفسه .

وفي الصباح جلس الصبي على شاطىء البحر . لقد كان بلا قارب . وقال له الأب إن عليه أن ينسى القارب . أما القارب فكان في مكان لابحر فيه . كان على جبل وكان مربوطاً إلى جذع صنوبرة .

وحاول العشب الذي كان تحت القارب أن يحل محل البحر ؛ ولكنه لم يوفق إلى ذلك كل التوفيق .

وجاء الناس من القرية الواقعة تحت سفح الجبل وأرادوا أن يأخذوا القارب ليصنعوا منه شيئاً ذا فائدة كأن يكون منضدة أو كرسياً أو حطباً للنار .

وكان هؤلاء القوم يعيشون بمنأى عن البحر . فلم يكونوا يعرفون شيئاً عنه ولا عن القوارب . ولم يعرفوا شيئاً عن حركة الرمال أو الأصداف أو الأمواج . كانوا يفكرون بالكهوف الصخرية وبأيام الحر وأوحال الشتاء وأحذيتهم الطويلة التي كانوا يخلعونها في الخريف في الطرق الموحلة حين كانوا يتسلقون الجبال ليتفقدوا القارب . ولم يكن القارب وحيداً على الجبل . كان بجوار الصنوبرة التي كان مربوطاً اليها . وأطلت الصنوبرة متطلعة إلى البحر الذي جاء منه القارب . وكانت في أيام الصحو تخال الأفق الأزرق وراء الجبال بحرا وكانت تقول للقارب : « ها إن البحر قادم الآن » .

على أن البحر لم يأت أبداً .

ونفضت الصنوبرة في الريح كل العصافير التي حطت فيها : « طيري أيتها العصافير إلى البحر وقولي أن يأتي من غير إبطاء . . . . »

على أن أهالي وسكان القرية نصبوا قضبان الدبق وصادوا العصافير وأكلوها إذ أنهم كانوا جياعاً .

وقدم العهد على القارب وغطته الطحالب وأصاخ السمع وشم في أعماقه لكي يجد البحر ثانية وهمدت الصنوبرة رهبة ومهابة . لقد عرفت أن القارب بذل جهداً كبيراً ووقتاً أطول حتى استعاد ذكرياته حية نشطة فراح يتأرجح على الأعشاب والحجارة كأنه كان فوق الأمواج . ثم تمايلت الصنوبرة فرحاً وسروراً وخالت السماء بحراً غمست فيه فروعها وهي واقفة . . . . .

ولم يفهم أهالي القرية شيئاً من هذا . شيء واحد لفت انتباههم وهو أن القارب كان ثقيلا ثقل الصخرة وتعذر عليهم أن يحطموه. ومع أن الصدأ كان علا السلسلة فإنها لم تنقطع . عندها أراد الناس أن يقطعوا الصنوبرة لكي يفكوا القارب . ولكنهم ما أن مسوا الجذع حتى سمعوا هديراً في داخله كأن البحر كان حبيساً في داخله فأخذ يرغى ويزبد ثم انبشق فجأة من أعلى الشجرة وانهمر وابلاً من المطر فوق الناس وهربوا باقصى ما يستطيعون من سرعة وحين وصلوا إلى القرية اندفعوا راكضين إلى بيوتهم فأغلقوا النوافذ وأرتجوا الأبواب .

وحدث هذا لأن القارب كان قد وجد البحر في أعماقه من جديد ولأن الصنوبرة كانت قد حلمت بالبحر وكبر الصبي المقيم على شاطيء البحر ؛ على أنه لم ينس قاربه ومرت السنون، الواحدة تلو الأخرى، وشعر أنه لم يستطع نسيان قاربه فرحل ليبحث عن القارب .

وتوغل في البلاد . وذات يوم حطت به عصا الترحال عند اولئك الناس الذين يسكنون عند سفح الجبل وجلس اليهم وشاركهم الطعام وبادلهم الحديث كما كان يفعل في كل مكان في حله وترحاله اذا ما قابل انساناً .

وحدثوه عن حياتهم وعن أيام الصيف الحارة وأيام الشتاء الباردة ، وعن فقرهم وأعمالهم في الأرض المالحة بين الجبال أما القارب على الجبل فلم يتطرقوا إلى ذكره .

وحدثهم هو عن البحر ووصفه لهم بأنه أعظم شيء في الدنيا وأنه غال ونفيس ورائع .

وظن هؤلاء الناس أن هذا كنز فسجنوا الشاب وطلبوا منه أن يأتيهم به وإلا فإنهم لن يطلقوا سراحه .

وقال الشاب : « إنه ضخم وجبار ولا أستطيع أن آتيكم به . كما أنه ليس كنزاً » .

وحاول أن يفهمهم بأن مجرد النظر إليه يجلب السعادة ويملأ النفس غبطة . على أن الناس لم يفهموا لماذا لايمكنهم أن يضعوا ايديهم عليه ، ولم يصدقوه حين قال ان الماء عنصره . وياليتهم رأوا مدى سعادته حين تذكر البحر فقط .

وقالوا : « إنه كنز . ويجب أن نحصل عليه » .

وأعاد الشاب الكرة فوصفه لهم وقد جرفه تيار ذكريات البحر :

« وهذا البحر يتنفس تنفساً هادئاً ومنتظماً . إنه السكون » .

عندها خيم الصمت والسكون على هؤلاء الناس وأصاخوا السمع .

على أن هدوءهم كان غير هدوء البحر . وحاول الشاب أن يقربه من أذهانهم فقال : « إنه لدائم التحول ، وأحياناً يثور ويزبد ويهدر في اضطراب مسعور ويهتاج ثم يدمر سطحه المتألق إذ يبتلعه ويهوي به إلى الأعماق » . وعندها غضب الناس وصرخوا وتصرفوا تصرفات هوجاء وضربوا الأرض بعصيهم في جشع أعمى كأن الأرض قادرة على أن تمنحهم ماهو ملك للبحر .

وقال الشاب مكتئباً : « ليس في امكانكم أن تتخيلوا البحر . فالبحر مهجور وهو صاف و مستو » .

عندها ترك الناس بيوتهم وتوجهوا إلى الأرض الواقعه بين الجبال حيث زرعوا الزرع ، وهناك جلسوا وانتظروا . ثم أخذ كل منهم يراقب الاخر وينظر اليه نظرة الظن والإرتياب فيما اذا كان سيهتدي فوق هذه الأرض إلى هذا البحر الأسطوري الذي سيهب السعادة .

أما الدهاة منهم فكانوا قد أحضروا معهم الشباك لكي يقبضوا على البحر اذا ما اهتدوا إليه . ولكن مامن أحد منهم رأى شيئاً ، ومامن أحد منهم حصل على شيء .

وعادوا متأخرين إلى بيوتهم وطلبوا من الشاب بأن عليه أن يعيش معهم ويكون واحدا منهم . طلبوا منه أن يكون مثلهم لكي تنمحي ذكريات البحر من ذاكرته فلايبقى شيء الا الأرض التي يعيشون عليها والجبل والطرق الرملية الوعرة التي تجعلها أمطار الخريف زلقة .

وهرب الشاب . لقد رفض أن يلبي طلبات الناس.هرب إلى الجبل

ليرى أين يكون البحر . لم ير البحر ، لكنه وجد الصنوبرة ووجد القارب فجلس إليهما .

وتعقبه أهالي القرية ، اثمد أرادوا قتله ، ذلك لأنهم لم يعودوا يعرفون طعم الراحة .

عندها نظر الشاب إلى قاربه فتأرجح القارب على الحجارة جيئة وذهابا وأحس من جديد بضغط البحر . وحين وصل أهالي القرية إلى الصنوبرة كان الشاب قد استحال إلى موجة رفعت القارب وصفقته من الداخل فصار القارب سمكة غاصت في الهواء .

ولم ير الناس شيئاً الا الخنزير الصدىء والصنوبرة التي استطالت وسمقت في العلاء لكي تفلت من قبضاتهم .

جلس الشاب على الشاطيء وأزال الطحالب عن قاربه ودهنه بالقار وبقي إلى جانبه وهو مقلوب لكي يجف وبعد ثلاثة أيام إنطلقا معاً إلى عرض البحر ، الشاب والقارب .

* * *

أرنست كروبير (*)

قراصنة الأحد

أقلعت باخرة نجم « ألاسكا » ببطء في الفجر الدافيء وكان البحر هادىء الانسام. ومر بعض الوقت ولم يبلغ رجل المراقبه عن أيشيء. لقد أحس بالبرد وهو ينتظر حساء الدجاج الساخن بالبيض الذي جاءت به المضيفة أخيراً .

وقال رجل المراقبة واضعاً المنظارفي الحزام : « اسمعي يافريدة ، ماذا يوجد هذا المساء في دار العرض ؟ هل أخفى العجوز الصحيفه من جديد ؟ » وفي تلك اللحظة صرخ ربان السفينة من على جسر القيادة : « اسمعني أنت أيها الضابط الأول ، ممنوعة هذه المحادثة أثناء الإبحار منعاً باتاً . ماالشيء الذي يتحرك هناك ناحية البحر ؟ إنها ، وحق الله حيتان . ولماذا لم تبلغ عنها ؟ » .

وأجاب رجل المراقبة : « سمعاً وطاعة أيها الربان إني أرى عشرة حيتان من نوع العنبر » .

أما فيللي الذي كان يرمز إليه بالضابط الثاني ، فقد كان في الثانية عشرة . جاء إلى ظهر السفينة وهو يجر كلباً صغيرا قصير القوائم .

وصاح ربان السفينة : « ماذا دهاكم كلكم اليوم ؟ هل زيّت قوارب النجاة وهل نفضت الغبار عن إحزمة النجاة ؟ « .

ورد فيللي قائلا : « لا عليك ياأبت ، فلن يحدث أي شيء اليوم لماذا لم تنفذ العقوبة بالرجل بأن تضعه تحت رافدة القص ، كما أننا لم نهاجم سفينة معادية ونقتحمها . ثم متى نغوص إلى الأعماق ؟ » .

وصرخ الربان : « عندها تكون نهاية الرحلة البحرية . قل لي أنحن الآن في البحر على متن باخرة ذات مروحيتين لولبيتين أم على سطح بيت مستو ؟ » .

وقال فيللي قانطاً خائفاً : « بل نحن موجودون على سطح البيت ياأبي » .

– هيا اسرع وهات لي امافة تبغ . والصحيفة اليومية ففي ثلاث ساعات سنكون في بافينباي » .

وفي تلك اللحظة جاءت زوجة الربان إلى سطح الباخرة .

وقالت الزوجة: « لقد حضر الرجل من جمعية الرفق بالحيوان » .

وقال (شتّريكر) مشيراً إلى مقعد صغير : « تفضل بالجلوس ياسيد كوبالكه . سننفذ العقوبة بقرصان خبيث لعين بأن نضعه تحت رافدة القص » .

– اسمح لي أن أقول لك أيها السيد شتّريكر انك لتطل على منظر جميل من هذا المكان العالي . أليس هذا الشيء الذي يقوم هناك هو جبل ميليبوكس ؟ » (١)

(*) جبل ميليبوكوس (Melibokus) هو حد جبال السلسلة الجبلية الواقعة شرق منطقة الراين الاعلى في أودين فالد .

وقال ربان السفينة : « إنها عادة ، جبال جليدية ، وأحياناً تجد هنا أيضاً رأس الرجاء الصالح أو ساحل غرينلدة ، ثم لاتنس أن الساعة ستعلن الثانية عشرة » .

ودق جهاز اللاسلكي. ولم يكن هذا الجهاز إلا آلة الخياطة القديمة التي ركب عليها جرسا دراجة عادية .

وصاح ربان السفينة : ليتبدل الحراس ! ساعة ونصف « وفجأة بلغ رجل المراقبة قائلا : « أرى على الجانب الأيسر من مقدم السفينة حراقة » .

وتردد صوت ربان السفينة هادئاً عبر السماعة : « ليتغير الإتجاه بمقدار ثلاث درجات نحو الميسرة ! وأنت أيها الضابط الثاني أبلغ الحراقة لاسلكياً بأن تغير الاتجاه ثم تتوقف ! » وأعلن رجل المراقبة قائلا : « ان السفينة المشبوهه تسير بأقصى سرعة . »

ودق جهاز اللاسلكي مرة ثانية ودوى صوت الربان في السماعة وهو يزمجر : « هيا إلى الأمام بسرعة مضاعفة وابذلوا قصارى جهدكم هيا إلى الأمام . . . ! » .

وتمتم الرجل من جمعية الرفق بالحيوان : رائع وأنت تصدر الأوامر بلغة البحارة الصحيحة !» .

وسحب نفساً عميقاً من لفافته الغليظة . وفي تلك الأثناء كانت باخرة نجم الأسكا قد اقتربت على مرمى السمع والبصر من الحراقة المشبوهة . وصعد الربان على دكة النجار وزمجر عبر بوق الفونوغراف (الحاكي) المبعوج : « انزعوا الصواري وعطلوها أيها المهربون الملاعين . استسلموا وألقوا المرساة » .

وصاح رجل المراقبة : « انها تحاول الإفلات » وصاح ربان السفينة : « أغلقوا الكوات واشحذوا حيزوم الصدام وليكن الرجال كلهم على سطح السفينة ، سنصدم الحراقة ! » كان (كوباكة) قد وثب على قدميه فسقطت منه لفافة التبغ الغايظة وتدحرجت على السطح ووقعت في مسكبة الهندباء .

وصاح كل من فريدة وفيللي والبرت وروبيرت وكارلى : مرحى ! ثم قلبوا معاً خزانة الثياب الضخمة رأساً على عقب فأحدثوا ضجة اهتز لها البيت بأربعة أركانه .

وصاح رجل المراقبه : « انها تغرق . إنها تغوص في نصفين ! » . وجلس (كوبالكه) ثانية وأخذ يبحث عن سيجارة وأطلت زوجة الربان برأسها من كوة في وسط السفينة ونادتهم : « هلا نزلتم على الفور ! فالحساء سيبرد » . وصاح رجل المراقبة والجوع ينهش معدته : « إني أرى شعاباً مرجانية وسمك القرش واعصاراً » .

ودق جهاز اللاسلكي . وكان صوت الربان الهادىء مسموعاً : حولوا الإتجاه بمقدار خمس درجات من ميمنة السفينة » ! وحذر ربان الدفة قائلا : « ثلاث قامات » .

وصاح رجل المراقبة : « إننا نرتطم بالقاع » .

وزمجر ربان السفينة : « هيا إلى الرافعات المتحركة واقذفوها ! » .

وصاح رجل المراقبة مغتبطاً بالفوز : « إننا نغرق » ثم لوح بالمنظار في الشمس .

ودوى صوت ربان السفينة : « جهزوا القوارب وأنت ياعامل

اللاسلكي ابرق بأن ينقذونا وابرق عن وضعنا إلى شارع ميدان رقم١٣ ، اعني أنك تعرف حق المعرفة بأن عليك أن تبقى مكانك إلى آخر رسالة لاسلكية . جميع الرجال إلى القوارب ! هيا بكم جميعاً وابدأوا بماء الشرب والارانب والصحف القديمة ايضاً ثم المجلات من أجل المطالعة فنحن الآن على بعد ألفي ميل من أقرب مكان على اليابسة وفي امكاننا أن نستعمل الشصوص والمظلات كأشرعة . اطفئوا المراجل ولا تنسوا الملح والبهارات وأكياس الحساء المجفف ولتنزل الجذات في البدء والحموات في الأخر وليتم كل شيء بهدوء فنحن نغرق في يوم الأحد . وفي امكانكم أن تهشوا وتبشوا على نحو أكثر مما أنتم عليه الآن وأن تغنوا وسأفتتح الغناء :

هانحن نغوص . هانحن نغـــــــرق

كل الأيام نغوص على هذا النحو ! !

فلنتأهب ولنتحرك . أعني فلنبحـــر ! !

وصرخت زوجة الربان مغتاظة من نافذة الروشن : أما آن لكم أن تأتوا إلى الطعام ! .

وارتعش ربان السفينة . كان أطفاله يلهون ويمرحون في أحواض الغسيل وهم يضحجون ويزعقون . واستأذن السيد (كوبالكه) بالإنصراف على عجل شاكراً ممتناً .

* * *

ماريا لويز كاشنيتش(*)

نريد درسًا يا مارتين

تقع أحداث قصتي هذه في بيت ليس فيه إلا طابق واحد مبيض بالبياض وشبابيكه زرق وله حديقتان صغيرتان يفصلهما ملحق خلفي عن بعضهما . وإلى جانب الباب توجد لوحة كتب عليها «روضة أطفال». ومن إحدى النوافذالواطئة يطل المرء عبر الخليج على مدينة سان فرنسيسكو الضخمة وعلى ناطحات السحاب ، كما يرى أيضاً الجسر الهائل الطول الذي تسير عليه السيارات جنباً إلى جنب في أرتال كثيرة . بيد أن هذا لم يكن يهم الأطفال الذين جاؤوا إلى روضة الأطفال اهتماماً شديداً .

وحين كان آباؤهم السائرون إلى أعمالهم ينزلونهم أمام البيت كانوا يصيحون على عجل : « إلى اللقاء ، إلى اللقاء ! » ثم يصعدون في سرعة

(*) ماريا لويز كاشنيتس Marie Luise Kaschnitz ولدت في مدينة كارلسروه عام ١٩٠١ . أمضت سني شبابها في بوتسدام (برلين) وزاولت أعمالا مكتبية في فايمار وميونيخ ثم عاشت فترة طويلة في روما ولوكسيمبورغ وماربورغ . عاشت فترة في فرانكفورت على نهر الماين . وبين الفنية والفنية كانت تلقي محاضرات موسمية في الأدب والنقد الادبي . مجال نشاطها الشعري في المقام الاول . توفيت في روما عام ١٩٧٤ .

فائقة سلم الحديقة المنحدر متعثرين في خطواتهم . كانوا يريدون ألا تفوتهم اللحظة التي كانوا يظهر فيها الطائر الوقواق من برج الساعة الصغير ويصيح سبع مرات . وفضلا عن ذلك كانوا في شوق إلى رؤية مارتين .

ولم يكن مارتين طفلا آخر حظي بمحبة خاصة . لقد كان صاحب البيت . كان بمثابة العمة ليلي أو ميلي أوسيلي أو أي شخص يمكن أن يكون في رياض الأطفال الأخرى .

وحين كان الأطفال يأتون كان مارتين يخلع عنهم معاطفهم الصغيرة وكان يهمه أن يراهم يعلقون كلهم ، حتى الصغارمنهم ، أشياءهم على العلاقات الأنيقة . فقد كان لكل طفل علاقته الخاصة ذات اللون الخاص . وبعد ذلك كان مارتين يضع الطفل الرضيع في الحظيرة النقالة ويقعد الأطفال الاخرين على كراسيهم الصغيرة الملونة ويحضر ألعابهم ومن بينها لعب البناء والتركيب والخرز الذي كانت الفتيات يطرزن به . وكان يشير إلى برج في النموذج ويقول : « هذا برج » . ثم إلى خرزة زرقاء : « هذه خرزة زرقاء » .

أما الأطفال الذين كانوا كلهم أمريكانيين فكانوا يصيحون باللسان الأمريكاني يسمى مارتين « تاور Tower» « تورم Turm» ويسمى «بلوبيرل Blue Pearl « بلاوي بيرلي Blaue Perle» وكانوا يجدون كبير عناء في أن يلفظوا هذه الكلمات الغريبة لفظاً دقيقاً كما كان يفعل مارتين .

كان مارتين طويل القامه نحيل الجسم وكان له وجه لوحته الشمس كما كان أصلع الرأس . وعلى هذا كان من العسير معرفة سنه . وطبيعي

أنه كان لمارتين وطن ، مثله مثل الناس جميعاً ، على أن موطنه هذا كان في الجانب الآخر من الكرة الأرضية حيث يتنزه الناس على رؤوسهم، كما كان الأطفال يعتقدون . ولقد بدا أن موطن مارتين كان كنسية « ذات برج كبير وكائنات حجرية غريبة الأشكال تنفث ماء . كانت صورة هذا المبنى معلقة على الجدار في الدهليز .

لكن ربما كان هذا أيضاً مرجاً فيه أشجار صنوبرية سامقة وجداول صغيرة تحدث عنها مارتين في بعض الأحايين . على أية حال لم يخبر الأطفال اباءهم بما كان لديه وحده دون غيره . وحين كان الآباء يحضرون ليأخذوا أبناءهم كانوا يشيرون إلى الكنيسة العظيمة متسائلين ؛ عندها كان الأطفال يقولون في زهو : « هذه هي فيينا » وحتى فيما بعد كان قد ترسخ في أذهانهم أن هذه الكنيسة الضخمة هي وحدها تؤلف مدينة فيينا .

وفي ذلك العام الذي أتحدث عنه كان ثمة سبعة أطفال ، وكانوا يأتون إلى روضة الأطفال من السابعة صباحاً إلى السادسة بعد الظهر .

وكان هناك ثلاثة أطفال ذكور اسمهم توم وبيدرو وجون ،وثلاث بنات اسمهن سارة وماريا وبيلار . وكان ثمة طفل رضيع وكان يعرف بهذا الإسم . وفي أغلب الأحيان كان هذا الطفل يدب في دعة وسلام في الحظيرة النقالة أو قفصه الصغير ، وكان ، في بعض الأحيان ، يتعلق بالقضبان وينهض ثم يقف طويلا إلى أن يسقط من التعب وينام .

غير أن الأطفال الآخرين الذين تراوحت أعمارهم بين الرابعة والخامسة فقد كانوا في غاية الشراسة والعناد. وكثييراً ماكانوا يتشاجرون فتتماعط البنات ويتضارب الأولاد بالقرميد . ومع هذا فقد كانوا

متشوقين إلى المعرفة . ولما كان آباؤهم متعبين في المساء ولم تكن لديهم رغبة في الإجابة على أي سؤال يوجه إليهم فقد كانوا يسألون مارتين عن كل ما كان يتراءى لهم غامضاً في هذا الوجود .

كان توم يقول : « أريد درساً يامارتين » وكانت بيلار تصيح أيضاً : « أريد درساً يامارتين » .

فما كانوا يمضون بعض الوقت في اللعب حتّى كانوا يتنادون إلى تلقي الدروس . مثلهم مثل اخوتهم الكبار في المدرسة . وحين كان مارتين يعطيهم دروساً كانوا يتعلمون كلمات وتعابير المانية واسبانية . ولكن الدروس لم تقتصر على ذلك فحسب ، بل كانوا يتعلمون على خارطة النجوم نوع الكواكب وأشكالها وأسماءها وكانوا يتلقون معلومات عن القارات الخمس بواسطة كرة أرضية تدور .

كانوا يقولون : « ها نحن في هذا المكان » ، وكانوا يشيرون بسباباتهم الصغيرة إلى سواحل المحيط الهادىء ثم يديرون الكرة الأرضية نصف دورة سريعة ويفتشون في أوربا الصغيرة العجيبة عن مدينة فييناً المحوطة بالأسرار إذ أنها كانت مسقط رأس مارتين . وفي ذات يوم ، وللمرة الأولى فقط ، حدثهم مارتين في تلك المناسبة بأن زوجته تقيم في مدينة فيينا لتقوم بواجبها تجاه أمها المريضة من رعاية وعناية وأنها ستأتي إليه في يوم من الأيام . وكان توم وبيلار وماريا الصغيرةيقولون في أدب (باللغة الإنجليزية) : « هذا مانأمله » ! ولأنهم ارادوا أن يكونوا أكثر أدباً فإنهم أضافوا بالألمانية قائلين : « إنا نرجو ذلك ! » والحق إنهم لم يكونوا قادرين على التحدث بالألمانية أكثر من ذلك . ثم إنهم

كانوا يداعبون مارتين ، فكانت ماريا الصغيرة تدغدغه لأنه بدا مغموماً حزيناً . ولم يكن يروق لها أن تراه عل هذه الحال .

وطبيعي أنه لاينبغي أن يظن المرء أن الأمور كانت تسير في بيت الطفل سيراً حسناً من دون أي إزعاج أوقلق أو إثارة.. فلقد حدث ذات يوم أن هرب أحد الخنزيرين الغينيين المدعوين فرنسيل وماريا تيريزيا . وكان لابد من البحث عنه طوال النهار إلى أن عثر عليه أخيراً في أحد المجارير القريبة من طريق السيارات العام وكان خائفاً مذعوراً .

وفي إحدى المرات كانت سارة الصغيرة تلعب بأنبوبة زجاجية فارغة كان فيها ، فيما مضى ، أقراص منومة . وكانت سارة قد جلبتها معها من البيت ــ وحين سألها مارتين عما فعلت بالأقراص ادعت أنها ابتلعت الأقراص كلها . وتبين فيما بعد أنها لم تقل الحقيقة . على أن مارتين لم يكن يعلم ذلك . وكان لابد له له من أن ينقل سارة إلى المستشفى ومعها الأطفال الآخرون والطفل الرضيع لأن بقاءهم وحدهم في الروضة كان أمراً مستحيلا . وانطلقت بهم سيارة مارتين الحمراء العتيقة إلى المستشفى . وهناك فرغوا لها المعدة بمضخة وأجريت لها كل الإسعافات الضرورية ، فكان هذا كله في نظر سارة شيئاً مسلياً ومضحكاً. وفي أثناء ذلك كانت الممرضة الواقفة على الباب ترعى الطفل الرضيع . أما الأطفال الآخرون فقد راحوا يضربون في الحديقة ويلعبون . لقد حاولوا أيضاً أن يسترقوا النظر إلى حجرات المعالجة . وحين عاد بهم مارتين قاموا بتمثيل دور المكسور الساق أو الذراع وعرجوا في مشيتهم متأوهين مولولين .

كان هذا اليوم مزعجاً لمارتين . على أن الأسوأ من هذا كله هو ما فعله جون الصغير ذو الشعر الناعم . اذ أن مارتين ضبطه وهو يعبث

بالديدان التي كان قد جمعها . كان يفتتها وكان يراقب القطع الصغيرة وهي تحاول أن تقاوم منكمشة على بعضها كأنها لاتزال ديدان طويلة سليمة .وخطر ببال الأطفال أن جون سيقف الآن في أحد الأركان اذ أن مارتين كان يعاقب الأطفال بإيقافهم في ركن الغرفة وراء الثلاجة، ولم يكن يضربهم أو يصرخ بهم .

والحق أن جون وقف في أحد الأركان ومضى مارتين الى الأطفال الآخرين عند صندوق الرمل وكان شاحب اللون .

مضت خمس عشرة دقيقة ثم وليتها خمس عشرة اخرى . وظن الأطفال أن مارتين سيطلق الآن سراح جون . على أن مارتين لم يفعل ذلك . بل إنه جلس على حافة صندوق الرمل وترك الأطفال يلعبون . كان هادئاً جداً . ولذا فإن الأطفال صاروا هادئين شيئاً فشيئاً .

وحين أعلنت ساعة الوقواق الخامسة عندها نظر الأطفال إلى مارتين نظرة توسل وصاحوا معاً : « يامارتين ! » فذهب مارتين ليحضر جون الذي استحال وراء الثلاجة إلى كومة من التعاسة والشقاء . ثم أدخله إلى حجرته وحدثه طويلا عن الحيوانات وأخيراً قبله قبلة على حين لم يكن يفعل هذا إلا نادراً .

والحق أن حادثة الديدان هذه قد حزت في نفس مارتين كثيراً .

والسبب في هذا هو انه كان يحب الحيوانات مثلما كان يحب النباتات. كانت الحديقة الصغيرة وصندوق الرمل والأرجوحة من الأشياء التي تخص الأطفال . أما الحديقة الأخرى فكانت خاصة بمارتين . ولم يكن مارتين يسمح للأطفال بقضاء نصف ساعة في الحديقة عند المساء . إلا

حين كان يتصرفون في أدب ولباقة ويرتبون ألعابهم ترتيباً جيداً . فكان يريهم شجيرات المشمش أو الدراق التي أنبتتها نوى الفاكهة التي كان الأطفال يلفظونها . وكان يريهم أيضاً أوراق الصبار التي كان يضعها في الأرض لتصبح صباراً صغيراً . وكان يسمح لهم أن ينثروا الحب للطيور وأن يداعبوا الخنزيرين الصغيرين فرانسيل وماريا تيريزيا اللذين كانا يعيشان في حديقة مارتين . ولكن قلما كان يسمح لهم بالدخول إلى حجرات الأطفال . وكان يريهم بزرة ثم يفلقها بسكينه ويريهم الشيء الدقيق المتماسك في داخلها . وفي ذات مرة جزأ بسكينه أيضاً زهرة من زهور الغوشية الحمراء الأرجوانية الكبيرةالتي تنمو على أشجار حقيقية وليس على نباتات الأصص الهزيلة كما هي الحال عندنا (في المانيا !) ثم نظر إليه الأطفال باستياء نصف محجوب وكانوا كلهم ، حتى بيدرو المشاغب ، في غاية من الهدوء حتى إنهم لم يسمعوا صوت الطائرات والسيارات الشاحنة على الطرق الواسعة فحسب ، بل إنهم سمعوا أيضاً طنين النحل والذباب .

ليس ثمة أسابيع ماطرة مغيمة لا متناهية على خليج سان فرانسيسكو وليس ثمة أعصر أيام شتائية طويلة داكنة كما هي الحال عندنا في بلادنا . على أنه حدث أن الأطفال لم يتمكنوا من الدخول إلى الحديقة وأنهم ملوا من ألعابهم . ثم كان استثناء كبيرا وشرفاً عظيماً أن مارتين كان يسمح لهم بإن يجلسوا من حين إلى حين في غرفته الصغيرة ويسألوه عن مجريات الأمور حين كان يسافر بحراً أو حين كان يعيش في الغابات البدائية . كان مارتين يقص عليهم قصصاً عن الغابة والثعابين الكبيرة وعن غواصته التي انغرست ذات مرة في قاع البحر و ظلت عالقة هناك .

— « ولكن ماذا بعد ذلك ؟ » صاح الأطفال الذين عرفوا أنه كان للغواصات في ذلك الحين عارضة ثانية تمتد على طول قعر المركب ويمكن إبعادها . وعرفوا أيضاً أن مارتين كان قد أصدر الأوامر ليتخلصوا من العارضة وأن يطفوا على سطح الماء وان كان البحر يغص بسفن العدو .

قال الأطفال وقد تنفسوا الصعداء : « على أنه لم تكن ثمة سفن » .

قال مارتين : « كلا ، لم نكن هناك أية سفينه » . ثم اقترح بأن يلعبوا لعبة جنيات البحر .

وبديهي أنه كان مسموحاً للأطفال أن يرسموا أيضاً في مثل تلك الأيام . ولكنه لم يكن مسموحاً لهم بأن يرسموا عن نماذج . وفي أحد الأيام قال مارتين : « ماء ! » فما كان من الأطفال إلا أن رسموا الخليج أو صنبور الماء أو زجاجة الماء الغازي أو سحائب داكنة تهطل بالمطر . وفي يوم آخر قال مارتين : « نار ! » فما كان منهم إلا أن رسمواكلهم صورة تمثل حريقاً هائلا ونفراً من رجال الإطفاء والشرطة يبسطون قماشة القفز للنجاة من الحريق . ولما كان رقم هاتف الإطفائية مكتوباً على جهاز الهاتف في الردهة فقد كتب توم في السماء وفوق الحريق رقم الإطفائية كتابة غليظة (٤٤٤٤٤٤) وأحب الأطفال هذه اللوحه حباً شديداً . ثم سمح لهم مارتين بإن يثبّتوها على الجدار بالدبابيس . فكان مكانها إلى جانب الكنيسة الضخمة السوداء وضاءت ضياء شديداً ألقى الرهبة في الروع . وحين زين مارتين للأطفال شجرة عيد الميلاد الزاهية كانت الرسمة لاتزال في مكانها . وحين حدث الشيء المرعب ، شيء مرعب ليس بمقدور الطفل أن يتصوره ، عندها كانت هذه الرسمة أيضاً في مكانها معلقة . وفي بادىء الأمر بدا كل شيء بسيطاً غير مزعج .

لقد حدث مرة أن تأخر مارتين ولم يحضر في الصباح : ثم إن أول من وصل من الأطفال وجد الباب مقفلا . على أن مارتين جاء على حين كان الأطفال يصعدون السلم وكانت أم الطفل الرضيع ترفع طفلها من حوضه البلاستيكي الأخضر من السيارة. كان مارتين قد ذهب لكي يحضر اللبن وهناك استوقفوه . وفي طريق العودة أخذ يصيح ويلوح بيديه من على الشارع . وكانت أم الطفل الرضيع قد أبدت آنذاك ملاحظة فظة قاسية . ولكن مارتين ضحك من أعماق قلبه وقبل يدها كما لو كانت ملكة بريطانيا . ولذلك ، وحين وقف الأطفال أمام الباب المقفل مرة أخرى في ذلك اليوم من أيام (كانون الثاني) كانت أم الطفل الرضيع أقل الحاضرين قلقاً . كانت ترى أن مارتين سيأتي على الفور ولن يطول غيابه . وعلى هذا وضعت الطفل الرضيع عند الباب وحذرت الأطفال من أن يعابثوه أو يزعجوه . ولم يسيء الأطفال السلوك ونام الرضيع : على أن مارتين لم يحضر . وأخيراً دار كل من توم وبيلار حول البيت لأنهما عرفا أن الباب الخلفي يبقى أبداً مفتوحاً . عندها شاهدا مارتين ممدداً على أرض الغرفة لاحياة فيه ولا حركة .

وعلى هذا لابد لي من أن أقول إن عنكبوتاً سامة كانت قد لدغت مارتين في الحديقة ، فلم يكن ميتاً ولكنه كان فاقد الوعي . لكن توم وبيلار فزعا فزعاً شديداً حين شاهداه جثة هامدة . على أنهما لم يفقدا الصواب ولم يبكيا أو يصرخا. وتذكرا بإن عليهما أن يفتحا الباب للأطفال قبل كل شيء وأن يدخلا الطفل الرضيع إلى الغرفة . وبعد ئذ أخذا يفكران بالطريقةالتي يستدعيان بها الطبيب.فما كاناليعرفا القراءة بعد وما كاناليعرفا إلا رقماً واحداً من أرقام الهواتف . كان هذا الرقم مكتوباً بالأحمر في

سماء لوحة الحريق . وعلى هذا أدار توم القرص على الرقم (٤٤ ٤٤ ٤٤) على حين أمسكت بيلار السماعة بيديها النحيلتين السمراوين وهتفت : « نحن في حاجة إلى طبيب » . ورد رجل الإطفاء : « هنا الإطفائية ! » وقالت بيلار : « إننا بحاجة إلى طبيب لكي يسعف مارتين » .

ولما كان الرجل على الطرف الآخر من خط الهاتف أباً وله أطفال في البيت فلم يضيع الوقت قائلا : « لكنك » . . أو « يجب عليك . . . » أو «: كيت وكيت » بل قر قراره عل أن يتصل هونفسه بالإسعاف ، وعلى هذا لم يطلب إلا اسم الشارع ورقم المنزل .

وعاد توم وبيلار أدراجهما ، إلى مارتين ، وتحلق الأطفال الستة حوله صامتين ساكتين . ولم يشوش عليهما إلاّ الطفل الرضيع الذي لم يكف عن الزعيق في ذلك اليوم . ونظر الأطفال إلى مارتين فرأوا أن حزناً كبيراً قد ارتسم عل وجهه . ودار في بالهم أنه ربما كان من الأفضل لو تجيء زوجته إليه . ولكن أنى لهم أن يقوموا بذلك . ولذلك فإنهم ذهبوا وأحضروا كلا الخنزيربن الغينيين الداكنين في حديقة مارتين ووضعوهما على بطنه لكي يشعر في أثناء نومه ببعض الفرح والسعادة . ولم يبرح الحيوانان ، فرانسيل ومارياتيريزيا ، مكانهما ، بل بقيا فيه هادئين إلى أن حضر الطبيب .

وقال الطبيب : « لم هذه الفوضى كلها ؟ » وأراد أن يؤنبهم ، لكن الأطفال أشاروا إليه بأن يتكلم بصوت خافت لأن الطفل الرضيع لم ينم الا أخيراً . ثم وضع الطبيب مارتين على السرير ورأى اللدغة في ذراعه وأعطاه زرقة وجس له النبض . وحين فتح مارتين عينيه سأل

الطبيب الأطفال عن زوجة مارتين وأين هي . وأجاب الأطفال : « إنها آتية على الفور » .

وقال الطبيب : « حسن إذن ! ولولا ذلك لكان علي أن أنقل مارتين إلى المستشفى . فهو واهن القوى ولا يجوز أن يبقى وحده » . و قالت بيلار في ذات نفسها ساخطة : « لكنه ليس وحده » ، على أن الطبيب كان قد أصبح عند الباب .

وقالت سارة الصغيرة : « لقد كذبتم الآن » ، وكانت قد تذكرت كذبتها البيضاء بشأن الأقراص .

وقال توم : ليس هذا من شأنك . لن تهدأي مالم تتلقي صفعة ! » وكاد أن ينشب شجار وعراك في النهاية . أجل ، في نهاية المطاف . ولكن ماذا كان هذا البوق الذي جاءهم صوته تحت عند السلم ؟ .

ومن هو الذي جاء صاعداً الدرجات المنحدرة ومحملا بالحقائب والطرود ؟ لم يكن ساعي البريد أو عامل المصبغة،ولم يكن أماً أو أباً لأحد الأطفال ، لأن الوقت لم يكن قد حان بعد ؛ لكنه كان شخصاً آخر غريباً . وقالت السيدة الغريبة وهي في الباب : « هذا كله لكم ، ووضعت حقائبها وألقت بالطرود على الأرض ثم سألت : « وأين مارتين ؟ » .

وعندها وجد الأطفال أنفسهم أمام مهمة كبيرة . فلقد حدثتهم أنفسهم أن هذه السيدة الغريبة ليست إلا زوجة مارتين ويجب ألا تفاجأ . بما قد يبعث في نفسها الذعر والفزع .

وربما كان عليهم أن ينسحبوا في لباقةوأدب حين دخلت السيدة إلىغرفة زوجها . لكنهم لم يفعلوا ذلك ، بل رافقوها كلهم ماعدا الطفل الرضيع

الذي بقي في قفصه يصرخ ويزعق . ورأى الأطفال السيدة مارتين تنحني فوق زوجها تقبله في حب وحنان . ورأوا أيضاً أن أسارير وجهه قد تبدلت في أثناء ذلك اليوم . لم يعرفوا هذا الوجه على هذا النحو من قبل . لقد كان وجهاً يطفح بالبشر والسعادة .

وقالت السيدة مارتين : « بوسعكم أن تفتحوا طرودكم ألآن ! » . وانهمك الأطفال بعض الوقت في فتح طرودهم في البهو . كانت الطرود تحتوي على ألعاب . وفي تلك الأثناء اقتربت بيلار من باب غرفة مارتين وأصاخت السمع ثم نظرت ، بدافع الفضول ، من ثقب المفتاح .

قال توم : « ياللعار ! هذا شيء قبيح لا يفعله الناس ! » .

على أن بيلار أومأت إليه ، ولم يستطع أن يمانع فتوجه إليها ونحى بيلار عن ثقب المفتاح .

كانت الزوجة جالسة على سرير مارتين وكانت تحدثه عن الثروة التي آلت إليها وأنهما يستطيعان كلاهما ، هي وزوجها ،أن يرتاحا وأن يغلقا روضة الأطفال . وكان مارتين قد استعاد نشاطه وحركته السريعة وكانت عيناه قد استعادتا حيويتهما أيضاً . لذا فقد اعتدل في جلسته وهز رأسه قائلا : « لا ، ليس بعد ، ليس بعد . فالوقت لم يحن بعد » .

وقالت زوجته في فرح :« كما تشاء » ثم قرع الجرس . كان الطبيب قادماً ليتأكد مما قاله الأطفال . والحق أن الشيء الذي قالوه كان صحيحاً ، مع أن ماحدث كان في الحقيقة معجزة . على أن هناك معجزات أيضاً . فهي على الأقل موجودة من حين إلى حين .

* * *

مارغريت يـين

في سفينة النباتات العشبية

كان المنزل في حديقة كبيرة . ولم يكن يبعد إلا قليلا من الشارع . كانت حجراته تعبق برائحة العسل . وكانت هذه الحجرات مطلية بلون أصغر بهيج . وكان هذا اللون يخدع في طقس ماطر شديد الإكفهرار بان السمس مازالت تشع وتضيء .

وقلما كنا ندخل هذه الحجرات في الصيف . كنا نفضل الجلوس مستندين بظهورنا إلى الباب الخلفي وكنا نتخطى بانظارنا سقيفة النحل تحت الأشجار المثمرة . كنا نجلس هناك في المساء أبداً وكنا نرى النحل عائداً بتثاقل إلى بيته مع آخر أشعة الشمس على حين كان يطن طنيناً عالياً في الهواء الذي اشتدت رطوبته وما كنا نبرح أماكننا إلى أن كانت الأشجار تبرز مكللة بالسواد نحو السماء الشديدة الصفاء وقد رسمت باصابعهاصورها الكفافية وكنا نسمي ذلك رسماً للصورة الظلية ... ومع الأيام صارت أصابعنا تعرف الخطوط كلها معرفة جيدة لكأننا كنا نحن من قلم هذه الأشجار ووجهها نحو السماء .

وهكذا كنا نركب ظهر البوابة طوال الصيف وطوال فترة أخرى من العام إلى أن كنا نرى أوراق الشجر تتساقط وكنا نضطر اذ ذاك إلى أن نغطي بأيدينا ركباتنا التي جمدها البرد . . كان وراءنا باب ، وكان مشقوقاً . فكنا نسمع المعزاة تجتر في زريبتها وتمأميء . وكان خلف الجدار من الجانب الأيسر سلة احتوت على تفاح وأجاص لنا وحدنا . على أننا سرعان ما كنا نلوذ بالفرار من الرح . وكنا نقف في الحظيرة المظلمة وكنا ندلك قبضاتنا بجبهة المعزاة القاسية.وكنا نثرثر في وجه البرد كما تثرثر العقاعق . وكنا نظل على هذه الحال إلى أن كان يسمح لنا بالدخول إلى الحجرات التي كانت دافئة مضيئة كشهد العسل .

أما العمة تيدا التي كانت تتحرك في بيتها العسلي كملكة النحل وتدندن بصوت ناعم خافت فقد قدمت لنا شراب البيلسان وأطعمتنا من جبن الماعز وسمحت لنا أن نجلس على السجادة ونصيخ السمع إلى نغمات الحطب المحترق في الموقد . وكان من حقنا أن نكون سعداء على أننا لم نكن سعداء ، فألعابنا كلها انتهت في مكر ودهاء أمام الباب المؤدي الى حجرة العمة تيدا .

وما أن صارت العمة تيداقريبة منا حتى شرعنا نتكلم على النحو التالي:

— « نريد أن نقوم برحلة ! »

— « وكيف ؟ بالعربة ؟ »

— « بل بالسفينة لأنها ستكون رحلة طويلة » .

— « خذ كراسي » .

— « لن تصلح الكراسي لبناء سفينة حقيقية » .

— « فلنركب ، اذا ، متن الأريكة » .

— « ألا ترى أنها مائلة منذ هذه اللحظة ! » .

— « إذاً لن يكون في وسعنا القيام برحلة ! » .

قعدنا القرفصاء وتظاهرنا بالكآبة . ونظرنا من طرف خفي فرأينا سبابة العمة تيدا وقد تقوست وأشارت لنا إلى فردوس الوسادات وأخذنا على أنفسنا ان نتجرع قبل كل شيء العسل الحراق من أجلى الصحة وكان لابد لنا من أن نلقي على مسامعها الدرجات التي نلناها في اخر امتحان لنا وأن نأكل أيضاً المخللات المفيدة للصحة . وكان سرير العمة تيدا جديراً بتضحيات أخرى غير هذه . كان أكثر من إطار ذي فرشة سميكة محشوة بعشب البحر ، وكان أكثر من ثلاث شراشف ذات ألوان بيضاء وزرقاء وصفراء ولحاف منتفخ فوقها ومخدات انتصبت كجنود من الشمع أمام قصر الملك الدانمركي .

كان سرير عمتي تيدا سفينة ضخمة متأرجحة ذات أحلام من الأشرعة وكانت ربطات النباتات العشبية معلقة على القوائم الخشبية البنية المخروطة خرطاً دقيقاً لكي تيبس : كان بينها الافسنتين والقصعين والشبث والحبق(١) وعند رأس السرير كان النعناع منشوراً بين الشرشف الثاني والشرشف الثالث فكانت تفوح منه رائحة نضرة عذبة . وحين كنا ندس أنوفنا فيه ونغلق أعيننا كنّا نحسب أنفسنا أننا صرنا فجأة في الصيف وأننا في قلب الغابة البليلة المبقعة بالشمس وعلى مكان رقص البعوض حيث برز

(*) الافسنتين نبتة ذات طعم مر. والشبث بقلة من التوابل . أما القصعين فهو نبات من فصيلة الشفوية .

من الأرض من بين الحطام وعلى نحو مائل ومحزن حذاء طويل الساق زغنا عنه فيما مضى بصورة دائمة . وفي ظل أبراج سفينتنا الخشبية ألقينا المرساة بجانب الحذاء الطويل وشددناها بقوة موحدة حتّى مادت الأرض وانتصب جندي سويدي كان لا يزال هنا منذ حرب الثلاثين عاماً كما توقعنا منذ زمن طويل فبدأ يسب ويشتم ثم أخذ يبكي ورفعنا الأشرعة وأبحرنا به عبر مضيق كاتيجان إلى بلاده ثم رجعنا عائدين. كانت منار اتنا كؤوس العسل المصفوفة على الرفوف فقد جعلتنا نعرف طريقنا بها فلا نتيــه .

ثم عاودنا الحفر بهمة وحماسة كما تفعل الكلاب الصغيرة ونقبنا بين الوسائد والفرشات ونكشنا كل شيء حتّى وصلنا إلى البصلات الموضوعة على أرضية السرير فطقطقت مسرورة حين قلبناها بين أصابعنا وأبصرت النور على أنه كان لابد من إعادتها إلى مكانها لئلا تفقد الرغبة في النبت .

وعثرنا نظير ذلك على زجاجة الماء الساخن النحاسية عند نهاية السرير فربطناها إلى حبل وجررناها خلفنا بمثابة قارب نجاة وكان في أحد الأركان جلد قطة ملفوف فهيئناه كما لو أن قطة حقيقية ملونة كانت هناك ولو لم يرهف المرء السمع لكانت قرقرت أيضاً .

وكان في كل ركن وسائد الخزامى الفستقية التي عبقت برائحة الربيع والشعر الذي غسل حديثاً في صباح الأحد وربطنا الوسائد بالمعاصم وجعلناها ترقص قرب سفينتنا على أنها عذارى بحر .

وكلما طال المساء تعاظمت حماستنا في التنفيب ثم عثرنا على الملبس والسكاكر ذات الألوان الخضراء والصفراء والبنية . وكانت العمة تيدا قد صنعتها من السكر وعصير النباتات والأسرار .

وكان لها طعم أوراق البتولا والعسل. وتقاسمناها فيما بيننا ومصصناها وشيئاً فشيئاً أزددنا هدوءاً ثم شلنا التعب عن الحركة . وسرعان ماأخذت العمة تبدا تغني في الركن تحت المصباح . لقد غنت أغنية القراصنة : « استسلموا فإن الرياح كلها إلى جانبي » .

وكان هذا إيذاناً لنا بالرحيل . واستسلمنا بصدررحب وتركنا سفينتنا التي خبرت العواصف وتخلينا عنها لسيدة القراصنة التي انكمشت على نفسها من التعب . ثم اذن لنا بالإنصراف في حفاوة عبر البوابة الأمامية وانطلقنا نجري عبر المساء . كان الصقيع يسير في أعقابنا مثل كلب أبيض . وكنا نصرخ كلما عضنا في باطن الركبة .

* * *

يورك شتاينر(*)

أسوار على النهر

اليوم حدث في المدرسة شيءٌ ما . .

ولا بد لي من أن أعترف قبل كل شيء بأني لاأفهم الأطفال دائماً . فعدد الأطفال في صفي كبير جداً . وهذا ماأقوله في نفسي كلما أخفقت في شيء .

وأقول في ذات نفسي : ليس في وسعك أن تعرفهم كلهم . وعلى هذا لايحق لك أن تيأس أوتفقد الشجاعة . فأنت لم تزر الأولاد قط في بيوتهم ولاتعرف أين يسكنون وقلما ترى آباءَهم ومع أنهم يقومون، من حين إلى حين . بزيارة للمدرسة فإنهم يحضرون عندئذ في أبهى ثياب.

ومن الصعب على المعلم أن يتعرف على الاباء وهم في أحسن الثياب والحق أن أسم الزائر يكون مألوفاً لدى المعلم ؛ اذ أنه كان قد دونه في

(*) يورك شتانير Jorg Steiner سويسري الأصل . ولد في مدينة بيل عام ١٩٣٠. يكتب في القصة والشعر .

سجل القيود . وأنا نفسي مثلا ، لاأزال أكتب مذكراتي كل يوم . فمكان الإقامة والبلد والمهنة هذا كله مدون إلى جانب الإسم . فضلا عن مهنة الأم حين يكون الأب متوفى أو مرتحلا أو مقيماً في مكان آخر .

على أن هذا لايكفي للتعرف ولا توصلنا هذه البيانات إلى نتيجة . فهي لاتمكننا من أن نكون على تماس مع الأخرين.وأخال أحياناً أن هذا الإبن صورة عن أبيه ، وليس هذا بشيء قليل . ثم يتراءى لي أن هذا الرجل الغريب أمام الباب ليس غريباً واني رأيته مرة منذ سنين ثم غاب عن ناظري . وفي وسعي الآن القيام بمحاولة لأن أتحدث معه .

الكبار يعقدون الكلام على أنفسهم فلا يقولون مافي أذهانهم. فهم لطفاء ولايريدون أن يسيئوا إلى أنفسهم إنهم يخجلون من بعضهم البعض.وفي صباح هذا اليوم جائتني أم أناليزا وكانت بالغة اللطف والتأدب والتخوف وعلي أن أروي القصة بالترتيب .

فمنذ عام ١٩٧٥ ونحن ننعم بطقس خريفي جميل بعد أن شهدنا ربيعاً ممطراً وصيفاً شديد الرطوبة . وفي السوق تباع بواكير الفطر الأزرق، أجود أنواع الفطر الموجود على الإطلاق. مع أنه متوافر بكثرة تجعله في متناول كل طفل يذهب إلى الغابة في شهر (أيلول).فلاعجب إذاً أن يمتنع الطلاب عن الجلوس في هدوء،وعلي أن أعترف بذلك كل الإعتراف . فالمروج لاتزال جافة يابسة والأسوار دافئة دفء الشمس والأوراق عند السفوح ليست كثيفة بما يكفي للعبة الإستخفاء.ويعز علي أنني لاأستطيع أن أكيف المدرسة مع الطقس ومع هذا فأنا أبذل قصارى جهدي . فبعض الدروس كالموسيقا والتربية الدينية نعطيها في الهواء الطلق : وفي الإمكان أيضاً إدراج موضوعات الإنشاء في عداد ذلك على النحو المناسب .

أما آخر موضوع انشاء أعطي للتلاميذ فكان عنوانه « حديقتنا » . وعلى هذا جاءتني أم أناليزا صباح هذا اليوم لتتكلم معي .

وإليكم الآن ما كتبته آنا ليزا :

حديقتنا .

عندنا حديقة على النهر ونتمنى لو كان عندنا حديقة كبيرة فيها شتى أصناف الزهر الذي لامثيل له على وجه الأرض ، لاأن يكون فيها شجر التنوب والبتولا فقط ، فكل الناس عندهم هذا النوع من الشجر الذي ينمو في الغابات بشدة وبغير انتظام . وكنت أتمنى لو كان عندنا أشجار مورقة ومزهرة زهراً عجيباً وأشجار مثمره ثمراً ذا قشور تتشقق وأشجار متطاولة الفروع والغصون ويحسن بها أن تكون أشجاراً سحيقة في القدم . في امكان المرء التساؤل عمن غرسها . إلا أنه لن يتلقى جواباً على هذا التساؤل . ولقد قرأت في بعض الكتب عن مثل الأشجار فلها أسماء جميلة ساحرة .

أما على النهر فلا وجود إلا لحدائق صغيرة . وفي حديقتنا لاتنمو أية اشجار . وحسبنا مالدينا من زهر . اذ أن أمي تزرع في فصل الربيع زهور السمكة والكبوسين (أبو خنجر) . كما أن أبي يأتي بشجيرات الورد إلى البيت . فهو يحب الورد ويقول : إنها تبقى متماسكة . والحق أن لدينا أيضاً بعض الشجيرات الأخرى ، على أنها ليست بذات قيمة . وأنّوه بأن أمي تصنع شراب البيلسان . ولا بد من حش حديقتنا كل سبت . فأمي نفسها تقوم بعملية الحش حين يكون لديها الوقت. فهي مشغولة جداً . وكثيراً مايطول العشب فيأتي جارنا ويحشه بالمنجل ويتخذ منه طعاماً لأرانبه . وتعجبني الحديقة العامة أكثر من كل الحدائق

الموجودة على النهر ؛ إذ أن عمال البلدية يعنون بالأعشاب ويحفظون الأدوات اللازمة في حجرة خشبية لتكون جاهزة في كل وقت وفي الحديقة العامة بعض الأشجار الغريبة النادرة وأسماؤها مكتوبة على لوحات صغيرة بخط غير مقرؤ.على أن دخول هذه المتنزهات غير مسموح للأطفال والحيوانات . فلو رغب كل واحد أن يتمشى على الأعشاب الرطبة لانتهى كل شيء . ونحن الفتيات نجلس على أحد المقاعد ومعنا دمانا ونراقب الناس الرائحين والغادين . وفي الساعة الخامسة تعود الممرضات بالأطفال الأيتام من النزهة وكلهم في زي واحد مخطط بخطوط بيضاء وزرقاء وإن هذا المنظر جميل ويعرف المرء أن الوقت حان ليعود إلى البيت ويقوم بالواجبات المدرسية ، فالحديقة العامة ليست ملكاً لنا .؛

وبتعبير أدق لابد لي من القول إن الحدائق على النهر قليلة ، فعلى النهر تقوم أسرار .

وقرأت أم أناليزا هذا الموضوع قالت لي ذلك وهي تحيي عند الباب .

وقالت بصوتها الخافت : إن أنا ليزا مريضة . وأنا أعتذر عن ابنتي وليس جميلا منك ، أيها الأستاذ ، أن تجعل الأطفال يكذبون . فما يكتبه الأطفال في موضوعاتهم ليس الا كذباً بكذب . لقد كذبت أنا ليزا . اذ لايوجد أية حدائق على النهر وليس عندنا نحن حديقة .

وسألت : ولماذا لم تكتب هذا ؟ كان عليها أن تسر لي بذلك . أتراها خجلت من الأطفال الاخرين ؟

وأجابت الأم : كلا . وما الداعي إلى الخجل ؟ فالأطفال يختلقون الحكايات .

ولما كانت الحكايات غير حقيقية فإنها تستحيل إل رغبات وأمان . وقد تكون الأمنيات عارمة مضطرمة . وتتمنى أناليزا الآن أن يكون عندها حديقة. فهي طريحة الفراش وتهزي من الحمى.لقد أوجدت اسماً للشجرة الكبيرة ولقد نسيته . إنه اسم حمي . ومنذ الصباح الباكر والمساعي مستمرة لتأمين سرير في المستشفى . وإلى الآن لم نوفق إلى ذلك . فالمشافي مكتظة ، كما يقول الناس ، لكنني . . . . .

وراحت أم أناليزا تبكي . كانت تقف في ظل الجدار عند الباب لكي لايراها الأطفال ثم استدارت ومضت في حال سبيلها وناديتها مرتين ، بل إني حاولت أن أدركها عند السلم .

إني أقف الآن وحيداً على السلم ، وفجأة وعلى حين أقف أنا هكذا استرعت انتباهي الرائحة . إنها رائحة ملابس صوفية مبللة وأحذية مصنوعة من اللباد ورائحة بطاطا مهروسة باردة .

تلك هي الروائح التي تفوح من مدرستنا . وإن المرء ليعتاد على ذلك .

* * *

غونتر هيربورغر(*)

هيلموت في المدينة

هيلموت يحل مسائل الحساب . إنه يجلس إلى المنضدة ويجمع . و وسط الغرفة تبني أخته سوزان قصراً .

وتقول سوزان : « سيكون ارتفاع القصر خمسين متراً . وسأحتاج إلى المزيد من الوسائد » .

لايصغي هيلموت اليها . إنه يريد أن يخط خطاً تحت مسائل الحساب من الهامش إلى الهامش . ويصر قلم الحبر على الورقة . ويخفف هيلموت من الضغط على الورقة ، فهو الآن في منتصف الصفحة تقريباً . وفجأة تنزلق يده وترسم خطاً منحنياً عبر الأعداد . لقد سحبت سوزان الوسادة الناعمة من تحت هيلموت .

يقول هيلموت : « هاتي الوسادة » .

فتضعها سوزان سقفاً للقصر ، وترفض اعادتها إليه . ينظر هيلموت

(*) غونترهير بورغر Gunter Herburger من مواليد عام ١٩٣٢ يكتب في القصة والشعر ويؤلف مسرحيات للاذاعة والخيالة (السينما) ، كما أنه يعمل في الترجمة .

إلى دفتره وقد اخترق مسائله الحسابيه خط سميك ينتهي بقوس كأنه ذنب خنزير . ينهض ويخبط بقدمه على الوسادة عدة مرات فينهار القصر .

تصرخ سوزان : « حرام عليك أن تفعل ذلك » . يقفل راجعاً إلى مكانه وراء المنضدة . لكن سوزان تتشبث بذراعه وتعض يده ؛ يشعر بألم وإن كانت يده لم تنز دماً . فيرفعها ويلطم سوزان على وجهها . وهو يقول : « إياك أن تواولي . فلقد خربت لي مسائل الحساب وعلي أن أعيد كتابة الصفحة من جديد . »

ويتوجه إلى المنضدة دون أن يعيرها انتباهاً ، فيسمع نحيبها وهي خارجة من البيت ، ثم يسمع صوت المصعد . فيصيح : « عودي على الفور ، ياسوزان » .

يخرج وراءها بسرعة وينزل الدرج الضيق .

يسكن هيلموت في الطابق الخامس في احدى العمارات العالية على مقربة من الشارع الرئيسي . ويملك والداه حانوتاً لبيع الملابس في الطابق الأرضي . وفي الطابق الثاني يدرك المصعد . باب المصعد مفتوح وسوزان ليست في داخله . يصيخ السمع ، فلا يسمع وقعاً لأية خطوات على السلم لعلها ذهبت إلى الحانوت ، فيمضي إليه ويختبيء وراء خزانة العرض ويجيل النظر من حوله .

الستائر مسدلة على حجرات تجريب الثياب . يرى يداً تمتد من الداخل لتناول أمه برنس الحمام فتأخذه الأم إلى حامل ثم تنتقي برنساً آخر . تدير ظهرها إلى هيلموت . فيتسلل من وراء خزانة العرض ويتجه نحو السلم الخارجي المؤدي إلى النصف السفلي من الحانوت .

حين كان يهبط السلم ناداه أبوه : « ماذا تفعل سوزان ؟ » فيجيب : « إنها تبني قصراً . كل شيء على مايرام » . ينظر نظرة سريعة ذات اليمين وذات الشمال . ولكن لا أثر لسوزان .

يقول الأب : « تعال واشر قطعتين من النقانق المشوية ، واحدة لك وأخرى لأختك . أم أنكما تفضلان الشيش كباب ؟ » .

يمد يده ويناوله النقود من فوق دكة البيع . يدفع هيلموت بيده دوارة عليها تشكيلة من الجوارب . فعليه أن يأخذ النقود وإلا فطن الأب أن سوزان ليست في البيت .

يجيب هيلموت : « نعم إننا نفضل الشيش كباب . سأشتريه وأصعد إلى البيت . »

يتناول هيلموت قطعة نقدية من فئة الماركين ويندفع نحو الباب المفتوح آملاً أن يكون لدى أبويه ما يشغلهما عن الذهاب إلى البيت حتى لايريا ما تفعل سوزان . يركض عبر الممر الذي فيه متجر السجاد . والساحة وراء المتجر ملأى بالسيارات . ينبطح على الأرض وينظر من بين عجلات السيارات ، ليرى ماإذا كانت سوزان قد اختبأت في مكان ما . يتمدد تحت انبوبة العادم لسيارة شاحنة ثم ينطرح بجانب سيارة صغيرة أمام مشعاع سيارة النقل الخاصة بالمتجر المجاور وخلف سيارة توزيع البضائع الثلاثية العجلات التي تخص صاحب حانوت النقانق على الجانب الآخر من الشارع . يجول هيلموت ببصره في كل الجهات من تحت السيارات لكنه لايرى أثراً لسوزان .

ويأخذ حجالته (*) الموضوعة بجانب سيارة أبيه وينطلق بها . وعند اشارة المرور الضوئية يجتاز معبر المشاة لأن الضوء أحمر .

ويسير وسط الناس يمنة ويسرة ويصدم جانباً حقيبة مشتريات احدى النساء ، فتسب هذه وتشتم . لكنه لايلتفت اليها . ويتوقف عند زاويه أحد حوانيت العطارين ويجر دراجته ويهبط بها السلم المؤدي إلى شارع الحوانيت ، حيث كان هناك قديماً جهاز للسكاكر ذاتي الحركة ورجل أعور .

ينسل هيلموت من بين الناس صوب الجهاز الآلي الحركة ؛ على أن سوزان لم تكن هناك . ومع هذا فانه يلقي نظرة إلى داخل حانوت الأسماك . يتوقف عند كشك لبيع الفاكهة . كثيراً ما كان يأتي مع سوزان إلى هذا المكان .

يسمع صوتاً يناديه : « هيه ، هيلموت ! أنت أيها الأخرق ! » .

إنّه صوت زيغي الذي يملك أيضاً حجالة ذات عجلات مطاطية وكابح يدوي . أخبره هيلموت أنه يبحث عن أخته سوزان .

فقال زيغي : « سنجدها بالتأكيد . » ثم انطلق وهيلموت وراءه . يتوقّفان وراء حاجز حجري قرب طريق مؤدية إلى كاراج (مرآب) تحت الأرض عند دار البلدية ينتظران ريثما يصبح النور اخضر . ثم ينسلاّن محنيي الظهر من وراء سيارة كانت تقف أمام شباك الدفع . فالمرأة التي تجلس في الكشك الزجاجي وتقطع تذاكر المرآب تحت الأرض

(*) الحجالة : هي دراجة يسير عليها راكبها برجل واحدة . والفعل : حجل يحجل ، أي وثب في مشيته على رجل واحدة .

لاتستطيع أن تراهما . ويندفعان أحدهما وراء الآخر ، بدراجتيهما إلى الكاراج ويخففان سرعتهما عند المنعطف ثم يختفيان عن الأنظار. تزمر السيارة فوق، ويأتي المنعطف الثاني . أنه أكثر انحداراً وعلى هيلموت أن يستعمل الكابح . وينعطف زيغي الذي يتقدم هيلموت ويدخل أول طابق تتوقف فيه السيارات . حين كان عم هيلموت يقصد هذا المكان كان يصطحب معه سوزان ؛ كان يسوق بها السيارة إلى هذا المرآب . يمر هيلموت وزيغي بالصناديق ويبحثان هنا وهناك . كانت السيارات تمر من فوقهما صعوداً وهبوطاً على الرصيف فتجعله يدوي كالرعد .

ويصيح هيلموت : « سوزان ، سوزان ! » .

ويصرخ رجل : « هيه ، أنتما ! اخرجا من هنا ! » .

يقلب هيلموت النظر فيما حوله على عجل فيرى عند الرصيف رجلا كان يقف ثم أخذ يركض نحوهما . يرمي زيغي حجالته ويهرب ويشد هيلموت عزيمته ويمر من بين السيارتين إلى الجانب الآخر من موقف السيارات ، فوراءه كان باب الخروج . وعلى الجانب الآخر من السيارات كان الرجل يهرول . ويتوقف في تلك اللحظة متردداً : هل يرفع دراجة زيغي أم يلحق بهيلموت ؟ ويسرع هيلموت في سيره .

أنه لايزال يندفع إلى الأمام مستخدماً قدمه اليسرى وشاداً قبضته على المقود . فجأة يجد نفسه عند الرصيف ، فيتوقف بينما يتابع الرجل الجري نحوه كان زيغي يرفع دراجته من وراءه . يدفع هيلموت دراجته إلى الرصيف . إن عليه أن يلتصق بالجدران لأن سيارة شاحنة تمر . يستجمع قواه ويثب بأقصى مايستطيع من سرعة، ثم يمسك بطرف متدل

من غطاء السيارة فتسحبه الشاحنة وراءها انه لايستطيع ان يقود الآن الا بيد واحدة ، وهذا صعب إلى حد ما . لكنه يقطع الرصيف وراء السيارة بسهولة .أثناء تغيير السرعة كان الدخان يخرج قوياً من ماسورة العادم القريبه منه ، فيغلبه السعال . عند شباك الدفع يدفع هيلموت بالماركين الذين كان آبوه قد أعطاهما له . لاتعرف المرأة في الكشك الزجاجي مرامه وتسأله كيف دخل المرآب .

يقول هيلموت : « اريد ان ادفع » .

ويصيح الرجل الذي كان وراءه : « قف ولا تتحرك ! » ثم يصعد الر صيف لاهثاً ويسأله : « ماذا كنت تفعل في الكاراج ؟ » .

يجيب هيلموت : « كنت اضع دراجتي هناك ! وها انا أدفع لقاء ذلك . »

تقول المراة في الكوة : « ايقاف الدراجات في الكاراج لايكلف شيئاً . إنه بلا مقابل ! » .

يقول هيلموت : « ليس هناك شيء الا وله كلفته » .

يقول الرجل : « اريد ان اعرف ماذا كنت تفعل تحت . فلا عمل للأطفال هنا في الكاراج الأرضي » .

بينما كانوا يتحاورون ، رای هيلموت زيغي وهو ينسل من وراء السيارة الشاحنة ويدخل شارع الحوانيت .

يصيح الرجل الواقف إلى جانب هيلموت : « هناك الصبي الآخر ! » على ان اللحاق به غير مجد ، لقد اختفى بين الناس .

يسأل هيلموت سائق الشاحنه : « هل استطيع ان آتي معك ؟ إني على عجلة من امري » .

فيقول السائق : « وانا كذلك على عجلة . هيا اصعد ! » .

يرفع هيلموت حجالته . انه يريد ان يضعها في الشاحنة لكنها ثقيلة الوزن .

يقول السائق للرجل : « ساعده من فضلك . فمنذ هذه اللحظة صار الصبي محسوباً علي » .

يترك هيلموت الدراجة على الأرض ويصعد إلى الشاحنة ويختفي تحت غطائها . ثم يناوله الرجل الدراجة فيتناولها . وتنطلق الشاحنة .

ويبقى الرجل واقفاً في مكانه متجهم الوجه وفي حيرة من امر هيلموت في الكراج تحت الأرض : — ماذا كان يريد هناك ؟ وتلوح المرأة الجالسة في الكشك الزجاجي ويهم هيلموت ان يلوح لها ؛ ولكن الشاحنة تقص المنعطف قصاً شديداً فتقذف به في الركن . ويمسك هيلموت بالشاحنة ويلقي نظرة من تحت غطاء السيارة إلى الكارج فيجد أن الشاحنة تمر بدار البلدية ثم بمحطة القطارات . وبعد ذلك يأتي النفق بإضاءته الصفراء . ثم تنعطف الشاحنه إلى شارع يقود إلى مصنع الغاز . وكلما راى هيلموت المرجل الكبير ود ان يصعد إليه وينصب خيمته هناك . ولقد حدثه أبوه أن صهريج الغاز هذا يكون كبيراً أوصغيراً أي أن حجمه يختلف باختلاف حجم الغاز الموجود فيه . فلو اتخذ سطح الصهريج مسكناً له لاستطاع آن يطل على المدينة كل يوم من جميع الجهات . وليس هناك إلى الآن بناءٌ عال يرتفع أو ينزل لولبياً . ولسوف

يخترع هو بناءً كهذا البناء في يوم من الأيام . فحين ينزل المطر تنزل العمارة آلياً وفي أثناء الصحو تشمخ في العلاء .

وبعد منعطفين تتوقف الشاحنة في فناء خلفي . وينزل هيلموت ويسحب دراجته من مكانها في الشاحنة .

ويقول للسائق : « يجب أن أبحث عن أختي . أين نحن الآن ؟ » .

ويجيب السائق : « في مكان بعيد خارج المدينة » .

ويسأل هيلموت : « وهل ستعود أدراجك ؟ » .

ويقول السائق : « لم يعد لدي وقت الآن . لقد انتهت فترة عملي . فإذا ماإجتزت هذا البيت فستجد نفسك على الشارع . وسترى أمامك مباشرة موقف الحافلة الكهربائية » .

ويدفع هيلموت دراجته إلى البيت الذي بدا وكأنه مصنع عظيم. أما السائق الذي كان يتقدم هيلموت فقد اختفى فجأة في أحد الأبواب. ويصعد هيلموت على دراجته ويسير في ممشى طويل . ربما كان للمصنع ممر تحت الأرض يؤدي إلى وسط المدينة . وكان على سقف الممشى أنابيب غليظة ودقيقة معلقة . قد يكون هذا المبنى محطة تسخين كما وصفها أبوه ذات مرة . فالمدينة بأسرها تخترقها أنفاق صغيرة بأنابيب متنوعة . فبعضها للماء وبعضها الآخر للبخار الساخن الآتي من تدفئة خارجية إلى بيوت متصلة بها ، كما أن هناك أنابيب دقيقة لأسلاك توصل الهواتف (للكابل التلفوني !) .

ويمر هيلموت مندفعاً عبر باب دوار عند نهاية الممشى . ويناديه صوت قائلا : « انتبه ! » .

ثمة طاه يسحب عربة تحمل أباريق صفيحية . ثم يتلقى هيلموت لطمة من رجل يحمل على كتفه قطعة لحم كبيرة . ويعمد هيلموت على تفاديه . لكنه يكاد لايرى رؤية صحيحة ، فالأبخرة تتصاعد في كل مكان.

ويسير في حذر على جانب الطريق ثم يتوقف أمام منضدة عليها سمك . ثمة امرأة تقطع السمك بسكين مسننة . وتقول المرأة : « أن سمك الرنجة هذا سمك لامثيل له ، وفي أمكانك أن تذهب به إلى كبير الطهاة ».

وتلف السمكات بقطعة قماشية وتربطها . ويعلق هيلموت الكيس بمقود حجالته .

ويسأل : « أين كبير الطهاة » .

وتشير المرأة ناحية المقود إلى رجل اعتمر أعلى قلنسوة . وقبل أن يتسنى لها السؤال لماذا لايعرف هيلموت كبير الطباخين وعما إذا كان جديداً ينطلق هيلموت على دراجته . ويمر بزبديتين فيهما خس وينعطف حول قشارة ينبثق منها ماء وتسقط البطاطا في سطل . وينبغي عليه بعدئذ أن ينحني من تحت النقانق التي يحملها رجلان على العصا . ويتابع سيره ويتوقف ثم يغير اتجاه دراجته فيلامس كومة من الحلوى المجمدة كان يرميها صبي في برميل النفايات . ويقف أمام كبير الطباخين .

ويقول هيلموت : « هاهي ذي سمكات الرنجة » .

ويتناول الطاهي الكيس ويلقي بالسمكات في قدر مملوءة بالماء الساخن ثم يسأل : « وأين الخردل واللبن ، وأين الشبث للمرقة ؟ » .

ويقول هيلموت : « لحظة من فضلك ! » .

ويعود إلى المرأة ويعلمها بالنواقص ، فتضع المرأة قدر الخردل وزجاجتين من اللبن في سطل بلاستيكي صغير يعلقه هيلموت بالمقود ويحمل بيده الخمس باقات الشبث التي أعطته إياها ، ويقود دراجته ويمضي في هذه المرة مباشرة إلى الموقد مختصراً الطريق . ويمر بقدر بخارية كهربائية وقدر حساء ذات جهاز تقليب آلي .

ويقول لكبير الطباخين : « الآن أتيتك بكل ماتحتاجه للمرقة » .

ويقول كبير الطهاة : « مثلك من أحتاج اليه أبداً . أنني لم أرك في المطبخ من قبل » .

ويسأل هيلموت : « ولمن تطهون الطعام ؟ » .

ويقول كبير الطهاة : « نحن هنا في فندق . وفي إمكانك أن تظفر بكل مايمكن أن يتخيله المرء من أطعمة . ألا تريد أن تبقى هنا ؟ » .

ويقول هيلموت : « يجب أن أستأنف سيري . أنى لي أن أبلغ الحافلة الكهربائية ؟ » .

ويدله كبير الطهاة على الطريق ويعطيه أيضاً قطعة لحم مقلية . ويسير هيلموت . انه يقود دراجته بيد ويأكل باليد الأخرى ويمر عبر مطبخ غسل الأواني . وهنا تكومت المقالي والقدور الصغيرة أمام أحواض الماء . كما يمر أيضاً بحجرة التبريد ، ومنها كان الرجال يأخذون اللحم .

ويتسع الممر وينحدر . وعلى هيلموت أن يضع قطعة اللحم بين أسنانه وأن يقود بيديه الإثنتين لأن الدراجة تزداد سرعة . ويصبح الجو شديد الحرارة ويأتي منعطف حاد ويخفض هيلموت السرعة ويتوقف أمام مخبز .

ويناديه أحدهم قائلا : « هل جئت باللبن العاقد من أجل الفطيرة بالقشدة ؟ » .

وقبل أن يتناول قطعة لحم من بين أسنانه ليتمكن من الإجابة يصرخ خباز آخر قائلا في حاجة إلى موز وفريز من أجل كعكة الفواكه .

ويقول هيلموت بصوت عال : « الحق أني لاأعرف أين هذه الأشياء ، ! فليس بوسعي أن آتيكم بأي شيء . فالعمل ممنوع على الأطفال وهذا مايعرفه كل انسان » .

ويلتفت الخبازون وينظرون إليه . وقبل أن يتفوه أحدهم بشيء كان هيلموت يسرع إلى صبي حلواني يمسك بيده رشاشه قشدة لزخرفة الكعكة .

ويقول هيلموت : « أريد أن آكل الآن شيئاً حلواً . » ثم يضع قطعة اللحم إلى جانب الكعكة ، « وسأعطيك بعض اللحم اقاء ذلك » .

ويقول الصبي الحلواني : « إني موافق » .

ويقف الصبي الحلواني على رؤوس أصابعه ويميل هيلموت برأسه إلى الخلف ويفتح فاه ويملأه الحلواني بالقشدة. ويبلع مافي فمه ويكاد أن يختنق على أن كل شيء يصل إلى البطن . ويضحك الخبازون المحيطون به .

ويقول هيلموت : « إني أرثي لكم . إذ أنكم لاتستطيعون أن تتناولوها إلا بعد الطعام » .

ويعطيه أحد الخبازين المتقدمين في السن حفنة من عجينة الكعكة فيكورها ويضعها في جيبه إلى جانب الماركين .

ويقول : « حسبي هذا . يجب أن أمضي بأسرع مايمكن » .

ويمر هيلموت بممشى آخر ويقترب من رصيف الفندق ويجتاز أحد الأبواب فيجد نفسه في الشارع .

ويسأل البواب الواقف قرب مدخل الفندق: «أين الحافلة الكهربائية؟».

ويقول البواب : « لقد مضت منذ لحظات . هل تريد سيارة اجرة ؟ »

ويقول هيلموت : « هذا غال جداً . أرجوك أن تساعدني . يجب أن أذهب إلى المدينة لأبحث عن أختي . لقد ذهبت وحدها » .

ويتوجه البواب إلى حافة الطريق وينتظر . ويراقب السيارات الصغيرة التي تمر والسيارات الكبيرة والشاحنات والسيارات الخاصة .

وفجأة يومىء ويصفر بصفارة مزغردة . وتتوقف سيارة نقل اسمنت. ويرى هيلموت أن السائق يمد رأسه من النافذة ويتكلم إلى البواب ويتبادلان التحية ويضحكان . ثم يومىء البواب إلى هيلموت فيسرع هيلموت إليه بدراجته .

ويقول البواب للسائق : « هذا هو . وعليه أن يذهب إلى المدينة فخذه معك ! » .

ويقول السائق : « هيا اصعد » ! .

ويصعد هيلموت إلى السيارة ويجلس إلى جانب السائق ، ويناوله البواب الدراجة . ثم ينطلق السائق . ويقبض على ذراع تغيير السرعة . ويغير السرعة ويزيدها فيرتج كل شيء .

ويقول السائق : « لقد كنت محظوظاً . فالبواب صهري . وإني

امر بالفندق عشرين مرة كل يوم كلما ذهبت من معمل خلط الإسمنت إلى موقع البناء .

وينظر هيلموت في المرآة الخلفية الصغيرة فيرى برميل الإسمنت الدوار الكبير يدور في مؤخرة السيارة الشاحنة . ويسأل عن سبب دوران البرميل أبداً .

ويقول السائق : « لأن الإسمنت مخلوط . ونحن نخلطه في معمل الإسمنت . إن خلطه هناك اقل كلفة مما هو عليه في مكان البناء. ولكي لايجمد كل شيء يجب أن يحرك مافي البرميل : الرمل والماء والحصى والإسمنت . فيختلط كل شيء ببعضه البعض » .

ويطل هيلموت من مكانه العالي في السيارة على حركة المرور . حتى عجلات الشاحنة نفسها يراها أعلى من سيارة ركاب صغيرة . وفي وسعه أن يسافر هكذا ، ليلا ونهارا ، قاطعاً المسافات نحو البحر .

ويمران بالحديقة العامة ويصعدان جسراً ، فيرتج الجسر تحتهما : ويخترق الجسر البيوت على ارتفاع ثلاثة طوابق . وفي الإمكان النظر من خلال النافذة ورؤية الناس يعملون في المكاتب . ولقد أراد هيلموت أن يأتي على دراجته ذات مرة إلى هذه المنطقة ، على أن شرطياً أوقفه وقال : ممنوع هذا . أما الآن فلا أحد يراه وهو يضع قدميه على حجالته ويمسك بالمقود ويرافق سائق الشاحنة .

ويقول : « هلا زدت السرعة! » . ويدق الجرس ، « يجب أن نسبق الجميع » . ويضحك السائق ويزيد السرعة ويحدث المحرك صوتاً صاخباً . ويرى هيلموت أن مؤشر السرعة يتسلق صفحة المقياس .

ويعطي مصباح صغير ضوءاً أخضر يشير إلى ضغط الزيت . وينعطفان إلى موقع البناء ثم يتوقفان . ثمة بيت على وشك الإنتهاء إنه بنيان شامخ يعلو على البيوت الأخرى كلها .

ويجر هيلموت حجالته عبر برك الماء ومن فوق ألواح خشبية ويندلق الإسعنت في تلك اللحظة من برميل الشاحنة في عربات قلاّبة محمولة لى قضبان . ويفتح هيلموت عينيه ليرى ما يحث، . ثمة رجال يضعون الواقيات البلاستيكية على رؤوسهم ويمرون حاملين إطارات نوافذ مصنوعة من الألمينيوم ليثبتوها في البناء العالي . وهناك وفي أعلى مكان من البناء يتدلى عاملان معلقان باحزمة على الجدار . وهما يركبانه . ويتوجه هيلموت نحو مصعد النقل الذي يصعد إلى البناء العالي .

ويقول هيلموت للرجل الذي يقوم على خدمة محرك المصعد : « أنا أبحث عن أختي . وطبيعي أنها ليست هنا . إني لأخطيء على الدوام في ارتياد الأماكن » .

ويقول الرجل : « اذا أردت أن تفتش كل شارع فإنك ستحتاج إلى بضعة اسابيع . وعلى المرء أن ينظر من فوق ، من على سطح البيت العالي فيرى على نحو أفضل . فاصعد ، اذاً ، إلى فوق ، إنهم ينصبون الآن المنظار الخاص بمقهى المراقبة » .

لقد سره أنه يستطيع الصعود إلى فوق . ولهذا فإنه يعطي الرجل الماركين اللذين حصل عليهما من أبيه . ويقف في المصعد إلى جانب عربة قلابة مملوءة بالإسمنت ويمسك جيدا . ويرتج المصعد رجة ثم يتحرك . ويتضاءل الرجل الواقف قرب المحرك . ويشعر هيلموت ببعض الخوف لأن المصعد يرتج جيئة وذهاباً في مساره . ويشعر في تحسن حين ينظر إلى الجدار ويعد الطوابق . ثمة عمال فوق . إنهم ينتظرون العربة

القلابة فيأخذونها من المصعد ويصبون الإسمنت في قوالب الخشب .وعلى سطح المبنى العالي تقوم جدران مقهى المراقبة . ويمضي هيلموت شطر المنظار المنصوب . إنه منظار لايعمل إلا برمي قطعة نقدية فيه . فيستطيع رواد المقهى عندئذ أن يشملوا بنظرتهم المدينة كلها والجبال .

ويقول هيلموت للرجل الذي يثبث براغي المنظار : « علي أن أجد أختي » .

ويسأل النظاراتي : « مالون الثوب الذي تلبسه ؟ » .

ويقول هيلموت : « لونه أخضر . لقد تركت البيت هكذا دون سابق انذار . ولابد لي من أن أعثر عليها ، وإلا ضربنا « علقة » ! » .

ويضبط النظاراتي المنظار ويحضر صندوقاً فارغاً ليعتليه هيلموت . إنه يستطيع أن يرى بالمنظار .

ويناديه النظاراتي قائلا : « أغمض العين اليسرى ولا تنظر الا باليمنى ». ثمة بيوت قريبة جداً ، وهناك الحديقة العامة أيضاً . حتى أن هيلموت ليرى رجلا عجوزاً جالساً على مقعد رؤية تامة . فالعجوز يلبس معطفاً ويأكل كعكة . بعض الفتات تعلق بذقنه التي تعلو وتهبط أثناء المضغ . وقد تسقط فتات الخبز بهذه الحركة من شعر الذقن . ويحرك هيلموت المنظار نحو اليسار فيرى دار البلدية . ويدفع هيلموت المنظار قليلا نحو الأسفل فيصبح الشارع في مرمى النظر . فيرى كل شيء عن كثب : السيارات وراء بعضها البعض ومعبر المشاة عند المتجر الكبير . وينعم النظر في الشارع الرئيسي ليرى ماإذا كان الأطفال عائدين وحدهم. لكنه لايرى الا نفراً منهم يقودهم الآباء بأيديهم . وثمة طفل صغير في سلة الظهر يحملها أب شاب يمشي محني الظهر . ويبدو أنه طفل ثقيل

الوزن يتناول طعاماً مغذياً . ومنذ ثلاث سنوات مضت كانت سوزان قد سمنت من جراء ذلك . آنذاك قالت الأم : حسبنا الآن هذا . ولايملك إلا أن يضحك لأنه يتصور مدى المشقة والعذاب لو كان عليه أن يحمل سوزان على ظهره طوال النهار .

ويتفحص كل شارع ويجد أيضاً الجهاز الآلي للسكر المندوف ويرى مدخل الكراج تحت الارض . لكنه لايجد أثراً لسوزان . ويخال أنه يرى زيغي على حجالته . ويتنفس هيلموت من الفرح عالياً ليدور المنظار لتكون الصورة أكثر وضوحاً . لكنه يرى أن لدراجة الصبي عجلات خشبية ، أما دراجة زيغي فذات عجلات مطاطية .

وفجأة يكاد أن لايرى شيئاً قط . بيوت تميد جيئة وذهابا وبرج يعوم كأن الماء يغمر كل شيء . ويشد قبضته على المنظار الحديدي ويخبط على الصندوق برماً .

ويقول له النظاراتي : « حرك المنظار ببطء لئلا تضطرب الصورة . ويحدد هيلموت الإتجاه فوق الأسطحة في حرص وحذر . ويرى مداخن وزهوراً أمام النوافذ ، كما يلمح رجلين على بيت عند ناصية الشارع وهما يقيران السطح . ويتبخر القار الساخن من حوض تسخين متنقل .

ويحرك هيلموت المنظار بدقة وعناية ليرى الرافعة التي رفعت آلة القطران على سطح البيت . وفجأة يرى بيتهم وينظر إلى الداخل من خلال نافذة المطبخ . لاأحد هناك ولا أحد في غرفة الجلوس المجاورة . ويخفض المنظار فيشاهد مدخل الحانوت . يجب أن ينتظر قليلا ريثما تدخل سيدتان ، وبعدئذ يخرج أبوه ويساعد أحد الزبائن في حمل رزمة إلى موقف السيارات الصغيرة . فأبواه ، اذاً ، لايزالان يعملان .

ويقول هيلموت للنظاراتي : « لاجلوى من ذلك . شكراً جزيلا للنظر بالمنظار . إني لم أر أختي » .

ويركض هيلموت على السطح ويتسلق عربةقلابة فارغة والناس على غفلة منه . ويلملم نفسه وينتظر ريثما يتحرك مصعد الحمولة .

إن كمية الملاط التي لاتزال تغطي أرضية العربة تغمر قدمه إلى الكاحل . وحين ينحدر به الصندوق الحديدي إلى الأسفل بسرعة يحس بضغط الجدار على ظهره بينما كانت قضبان المصعد تزداد فوقه طولا . ويسمعهم تحت يقطرون العربة القلابة ثم تسير مسافة وتتوقف تماماً تحت فتحة احدى صوامع الإسمنت ، وعما قليل سيصبون خليط الإسمنت أو الرمل وسيغمره .ويصرخ هيلموت عالياً : « أريد أن أخرج من هنا! أريد أن أخرج من هنا ! » .

ويسمعه أحد العمال ويسحب رافعة الكبح فينقلب صندوق الحمولة ويسقط هيلموت ، ويهرع إليه العمال من كل حدب وصوب . وينهض هيلموت وينظر إلى نفسه إنه متسخ ومبلل .

ويقول أحد العمال : « فلنرشه بالماء » .

وقال آخر : « لا ، لا ، فقد يصاب بنزلة » .

وسأله ثالث : « هل تصاب بالنزلة الشعبية كثيراً ؟ » .

ويهز هيلموت رأسه ولا يدري ماذا كان سيمضي في حال سبيله أم يبكي . على أنهم يرفعونه من على الأرض ويحملونه . كان ثمة خرطوم ماء في يد الرجل المسؤول عن تحريك المصعد . فيرش الماء على

حذاء هيلموت على حين أخذ رجل آخر ينظف ظهره بخرقة مبللة، ثم يقف هيلموت ، بعد ذلك ، على لوح خشبي قرب آلة ضاغطة .

ويناديه أحدهم : إمسك جيداً !

ويتشبث بيد المكبس. إذ أن شخصاً آخر يوجه عليه الخرطوم من بعيد. ويجذبه تيارهوائي قوي جيئة وذهاباً .

كل شيء يترقرق . ويمر به تيار هواء سريع يجعل التنفس صعباً . فيتنفس كما تتنفس السمكة . وتتوقف الآلة الضاغطة . فالثياب جفت الآن . حتى إن تيار الهواء كان قد نفذ إلى داخل الحذاء . ويحرك هيلموت أصابع القدم في الجورب في فرح وسعادة .

ويقول رئيس العمال : « والآن،يابني ، تم كل شيء . هيا اذهب الآن إلى البيت ! » .

ويأخذ هيلموت دراجته ويغادر موقع البناء بأقصى ما يستطيع من سرعة ، إنه يعرف طريقه في قلب المدينة . ويختصر الطريق بعبوره الشوارع الجانبية . ويتأتى له أن يصل سريعاً إلى المكان الذي تقف فيه سيارة أبيه فيضع دراجته إلى جانب السيارة . ويصعد إلى البيت بالمصعد كانت سوزان في غرفة الجلوس . إنها تجلس إلى المنضدة وتتظاهر بأنها نائمة .

ويصيح هيلموت : « ياإلهي ، هاأنت هنا ! » .

وتقول سوزان : « وهل فتشت عني ؟ لقد كنت في القبو في مخزن الورق . ثمة آلة تقطع الورق المقوى من الحانوت ، وبعد ذلك يتم ضغط الجذاذات فتصير إلى لفات كبيرة الحجم تزن خمسة وعشرين كيلو . هل عرفت ذلك ؟ » .

ولكي تتمكن سوزان من الإستلقاء على نحو أفضل يبني لها هيلموت قصراً بكل مالديهم من وسائد في المنزل . ولا يتوانى عن إحضار الوسائد من غرفة نوم الوالدين لتكون بمثابة كراسي طويلة قابلة للطي توضع في الحديقة أمام القصر . وحين تشعر سوزان بالجوع يقدم لها هيلموت عجينة الكعكة التي أهديت له في مطبخ الفندق. وتلتهمها سوزان كلها.إنه لايريد شيئاً . إنه يشعر بالسعادة لأن شيئاً لم يحدث . أما مسائل الحساب المشطبة فإنه سيكتبها مرة أخرى حين يأتي المساء . فلا ضير عليه في ذلك أبداً . وتقول سوزان بعد أن أكلت الكعكة : « أنا لن أقول إنك صفعتني ! » .

ويقول هيلموت : « وأنا لن أقول إنك كنت في القبو ؛ فليس مسموحاً لك أن تذهبي إلى هناك » .

ويجلسان جنباً إلى جنب أمام قصر الوسائد في الكرسيين الطويلين الأبيضين وينظران إلى أضواء الإعلانات وهي تتألق في كل مكان في المدينة . كما أن ثمة إعلاناً ضوئياً آخر على بيتهم العالي . إنه يرسل إلى النافذة ضوءاً أحمر وتارة أصفر . وهذا الضوء الأحمر والأصفر هو بمثابة طائرتي رصد تحلقان إلى أعلى طبقات الجو لترصدا الجو ما إذا كان غائماً أو صحواً . وكلما طارتا من فوق قصر الوسائد دارتا دورة واحدة ؛ ويلوح ربانا الطائرتين .

وحين يسدل الليل ظلامه يسرع هيلموت إلى هاتف المنزل ويتصل بوالديه .

ويقول : « أما آن لكما أن تغلقا الحانوت . حسبكما ما كسبتماه اليوم » .

ويقول الأب : « سنغلق الحانوت في هذه اللحظة . وسيكون لكما علبة من التوت الشوكي عند العشاء . فالعلبة سقطت مباشرة أمام الباب من شاحنة كانت تمر » .

ويقول هيلموت : « هذا رائع ! » . ثم يعلّق السماعة .

سيصعد الوالدان بعد قليل وسيحدثهما عن كل شيء ،هو وأخته سوزان . فمن يعمل مثلهما طوال النهار في الحانوت لابد أن يكون متعباً في المساء ولا بد أن يكون في مسيس الحاجة إلى التسلية وهذا شيء طبيعي وله العذر في ذلك .

* * *

هيربرت هيكمان (*)

بيت والكلب

كان لـ (بيت Pit) فرجة بين الأسنان . وكان في استطاعته أن يبصق من فوق سورالمدينة وأن يقف على يديه ويبقى تحت الماء حتى الخمسين ، هذا إذا كان العد سريعاً .

وكان (بيت) ذلك الذي يسميه البالغون داهية . فلم يكونوا يجرؤون أبداً على أن ينظروا إلى حيث كان يقف (بيت) والحق انه لم يكن يقف أبداً . وإنما كان يحافظ على توازنه وهو على رجل واحدة وكان يحك .

وكانوا يسألونه : « مابك » ؟ فكان (بيت) يجيب : « لقد نفذ

(*) هيربرت هيكمان Herbert Heckmann من كتاب القصه الألمان ، ولد في مدينة فرنكفورت على نهر الماين عام ١٩٣٠ ، ومنذ عام ١٩٥٩ وهو يعمل في جامعة مونستر . ظهرت أولى مجموعاته القصصية عام ١٩٥٨ بعنوان (الصورة) اما العنوان الأصلي للقصة التي نقدمها لاطفالنا فهو : (بيت يأتي الى كلب) واثرنا اختصار العنوان لكي يلقى المزيد من القبول والاستحسان .

صبري » . وكان يكره الأجوبة ويفضل السؤال، حتى إن أباه قال : « لست قاموساً أو دائرة معارف حية » .

— « وماهي دائرة المعارف » ؟ .

— « هو الشيء الذي يتضمن مالا تعرفه أنت » .

— « إذاً لاشك في أن هذا الكتاب ضخم » .

كان بيت الإبن الوحيد لأب وحيد وأم وحيدة . وكان في الصف الثاني الإبتدائي . كان في مقدوره أن يرسم بيضة يصفر لها وجه كل دجاجة من الحسد .

لقد تمنى منذ زمن طويل أن يكون عنده كلب ، وأن يكون كلباً حقيقياً بأسنان حقيقية ، فالسيدة بيزين التي كانت تسكن تحتهم بطابقين كان عندها كلب وكان اسمه قيصر ، وكان شبه كلب أجعد الشعر . قال بيت : « ليس هذا بكلب، بل هو وسادة » . وكان هذا الكلب يشبه صاحبته السيدة بيزين شبهاً كبيراً، وعلى هذا كان (بيت) يسميها العمة (قيصر) وكان يتساءل عما إذا كانت تستطيع أن تنبح أيضاً .

وسألت الأم : « أنى لك أن تطعم كلباً ؟ » .

— « لاعليك ، فسيكون له مايكفيه ويبقيه حياً » .

— « وإن لم يكن لدينا نحن ما نأكله ؟ فماذا عندئذ ؟ » .

— « عندها سيذهب الكلب إلى الصيد والقنص من أجلنا » .

وألح بيت في طلبه وتوسل مستجدياً ألا ليت لي كلباً . . . لو كان عندي كلب . . . . لو كان . . . » .

ولم يعرف (بيت) الخوف في النهار . ولكنه كان يرتعد من الخوف كل ليلة ؛ كان نفر من الأقزام الصغيرة يتواثب على كتفيه ويكشر في وجهه ، ويمد له الألسنه ؛ وكان (بيت) يغلق عينيه ؛ لكن الأقزام لم يكونوا يذهبون .

صرخ « هيا انصرفوا عني ! » فركضت الأم إلى غرفته خائفة مشغولة البال .

ـ « ماذا دهاك » ؟ .

ـ « ثمة أقزام صغار » .

وسألت الأم : « أين » ؟ .

ـ « لاأحد يستطيع رؤيتهم إلا أنا فقط » .

كان الأقزام الصغار يأتون إليه كل ليلة. ولم يكن يغمض له جفن .

أنا في مسيس الحاجة إلى كلب كي يلتهم الأقزام » .

وخطرت ببال الأب خير فكرة . فعلق صورة شرطي . بدين فوق سرير الإبن وقال : « حالما يأتي الأقزام سيقبض الشرطي عليهم » . لكن (بيت) أنزل الصورة وألقاها في برميل المهملات ؛ وحين سأله أبوه عما إذا كان الأقزام جددوا له الزيارة أجاب بيت قائلا :

« نعم، لكنهم قبضوا على الشرطي . وتقضي الضرورة أن يكون عندي كلب » .

ـ « لامكان عندنا في البيت » .

ـ « أرجوك يابابا ، إن في وسع الكلب أن يقاسمني سريري » .

– « سيمتليء سريرك بالبراغيث » .

– « سأهبها من جديد للآخرين » .

ولم يحصل بيت على كلب ولم يعد يرى اقزاماً صغاراً . لكنه حلم ، نظير ذلك، بالكلاب الضخمة التي تجعل نباحها المدرسةتنهلر.ومهما يكن فالمرء يتمنى شيئاً ما لنفسه من أعماق قلبه . على أن الرغبات والأماني لاتلبث أن تتحقق لحظة لايجدي التمني ؛ وهذا ماحدث (لبيت) بالذات . ففي يوم من الأيام ، وفي تمام الساعة الثانية عشرة ظهراً لقي (بيت) كلباً في الشارع . وكان الكلب بلا صاحب . وحين رآه لم يكن واثقاً مما إذا كان رأسه في الأمام أم في الخلف . لقد كان كلباً طويل الشعر وأكبر من الكلاب الطويلة الجسم القصيرة القوائم وأصغر من كلاب (البودل) ذات الشعر الكثيف الأجعد . وصفر بيت للكلب فرفع الكلب رأسه فكان ، وياللمفاجأة ، في المكان الذي ظنه (بيت) مكانالذيل.

وصاح بيت « هيه » . ! ولكن كان يجب أن يعرف أن الكلاب لا تقدر على الكلام . ورفع الكلب أذنيه الشعراوين لحظة من الزمن ثم نبح . كان صوت نباحه أجمل صوت سمعه في حياته ، وتوجه صوب الكلب في حذر واحتراس ثم مد يده ، وأخذ الكلب يلوح بذيله على الفور – أم أن هذا كان الرأس ؟ ولما يعرف بيت بعد أين هو الرأس وأين هو الذيل . ولم يعرف ذلك إلا حين نهشه في يده ، فصرخ قائلا : « أيها الجبان! » ولم يقصد إلانفسه . ثم تابع السير وساقاه ترتجفان . والتفت إل الوراء ايرى كيف كان الكلب يسير وراءه . فحين كان بيت يتوقف كان الكلب يتوقف أيضاً . وتكرر هذا المشهد حتى صار أمام البيت .

وقال بيت : « هيه ! » . وعلى هذا كف الكلب عن النباح . وهرول خلف بيت وهو يصعد الدرج ويشمشم .

وسألت الأم : « من أين جئت بهذا الكلب » ؟ .

وأجاب الأبن « : لقيته في الشارع » . ثم ربت على الكلب الذي اطمأن إلى ذلك .

وصاحت الأم في دهش وعجب : « ياإلهي ، إنه يمشي بالمقاوب » .

— « كلا ، إنه يخفي رأسه ، ليس غير . »

— « وماسمه » ؟ .

— « باول ذو الشعر المنفوش » .

— « ولماذا لاتسميه بطرس ذا الشعر الشعث المنفوش ؟ » . (١)

— « ليس هذا الإسم بجديد . لقد سبق أن كان له وجوده . »

ودهش الأب أيما اندهاش حين عاد إلى البيت ووجد على مقعده مخدة كان في إمكانها أن تعض أيضاً .

وقال بيت موضحاً : « هذا باول ذو الشعر الأشعث » ، ثم باعد مابين رجليه .

— « ومن باول هذا ؟ » .

(*) اشارة الى عنوان أول كتاب للأطفال ظهر في ألمانيا عام ١٨٤٥ وكان صاحبه طبيب الأطفال الدكتور هاينريش هوفمان . والكتاب نظم شعراً ويتضمن صوراً ملونة لكل حكاية (تسع حكايات قصيرة) ذات مضمون تربوي هادف . ويطالعنا الغلاف بوصف شخصية بطرس المنفوش الشعر (شتروفيل بيتر) (انظر اليه ، إنه ماثل أمامك . قبح الله شتروفيل بيتر . لم يقص أظافر يديه منذ عام ولم يمشط شعره أيضاً .
ويصيح الناس . ياللعار قبح الله شتروفيل بيتر ياله من بشع كريه » .

– « إنه كلبي » .

ولم يرض الأب إلا بجهد جهيد بأن يستبقي الكلب ليلة واحدة على الأقل ، وليس أكثر من ليلة واحدة .

وقال : « إن حدث أي شيء فستتحمل أنت تبعة ذلك » .

وفي تلك الليلة نفسها حدث الشيء الكثير . كان ينبغي للكلب أن ينام على حصيرة في الممشى . لكنه لم يفكر بذلك ، بل أخذ يعوي إلى أن حبسه الأب في غرفة الحمام . وهناك وثب الكلب إلى حوض الإستحمام ولم يخرج منه . ودوى نباح شديد في أرجاء المنزل . فاندفع الأب في غلالة النوم وحرر الكلب من منشفة كانت بين فكيه . . . .

– « سأقذف به إلى الشارع » .

وانسل بيت من غرفته إلى موقع الكارثة وهز الكلب ذيله محييا بيت .

– « سآخذه إلى غرفتي » . وكان الأب قد فتح باب البيت . قال بيت شاكياً : « الحق أنه غريب هنا » .

وصب الأب شيئاً من اللوم على إبنه ثم استجاب إلى رغبة الأبن .

وتبع الكلب بيت وأذناه مهدلتان . أما من يظن أن الأمر قد وصل إلى هذا الحد وانتهى فقد اخطأ . فما إن دخل كلاهما الحجرة حتى أخذ الكلب باول ذو الشعر الشعث يترنم بأهزوجة تنويم أيقظت الكلب قيصر من نومه وكان ثمة شيء ما وراء هذا كله . وكان بيت قد سمع ذات مرة أن القمر يدفع الكلاب إلى الغناء – فأحكم تسكير النوافذ بالستائر . ولكن الكلب باول ذا الشعر الشعث لابد أن يكون قد أحس بالقمر في

العظام فنبح نباحاً عالياً ليس بعده نباح . . . وأراد بيت أن يكمم فاه ؛ لكنه أمسك بالذيل على عجل ، فتعالى النباح أكثر فأكثر .

وفتحت الأم الباب على مصراعيه ورأت الإبن والكلب يتقلبان على الأرض .

قال بيت لاهثاً : « أظن أنه من عشاق القمر وعباده » . ثم نهض واقفا وزحف الكلب باول ذو الشعر الشعث تحت السرير وأخذ يهر .وفي هذه المرة دافع بيت عن كلبه أيضاً وحالفه النجاح في ذلك .

« إنه الآن هادىء ووديع . ألاتسمعين أنه نائم » .

أما الشيء الذي كان اه وقع كوقع الغطيط فلم يكن الا صوت الكلب وهو يقوم بتمزيق الحذاء الذي اعتاد بيت أن يضعه كل مساء تحت السرير . وكان قد فات الأوان للقيام بأي عمل وأطفأ بيت النور وكان يأمل في أن يركن الكلب إلى الهدوء في الظلام ووثب إلى سريره وأصاخ السمع . وسمع صوت هدير وتمزيق وخربشة . وقفز بيت من سريره للمرة الثانية . وفي هذه المرة كان سرواله وقميصه ممزقين على الأرض . وهناك أقعى الكلب الذي راح ينظر إلى بيت بعينين نصف مستورتين وبدا مغتبطاً بل جد مغتبط .

وقال بيت في ذات نفسه : « الأرجح أنه لايزال جائعاً » . وانسل إلى المطبخ ليحضر له قطعة خبز .وحين عاد كان الكلب (شتروفيل باول) في السرير.كان إهابه يرتعش إرتعاشه الإرتياح والدفء . واندس (بيت) تحت الغطاء إلى جانب الكلب وحاول أن يرمي جاره من على السرير . ولكن الكلب باول ذا الشعر الأشعث (شتروفيل باول) ثبت أكفه في

السرير .وكان من الصعب الإستمرار على هذه الحال . لكن الأمور سارت على هذا النحو . ونام (بيت (منهمك القوى وإلى جانبه الكلب الذي كانت تفوح منه رائحة الشوارع الكريهة . ولم ينم الكلب إلا بعد أن مزق لحاف الريش فتطاير الريش وتناثر في أرجاء الغرفة. وفي صبيحة اليوم الثاني اغلق (بيت) عينيه لحظة رأى الكارثة . كان الكلب باول المنفوش الشعر نائماً عند نهاية السرير وكفه على رأسه . وفتح (بيت) عينيه للمرة الثانيه ، لكنه لم يجرؤ على النهوض لقد رفع الكلب اسمه عالياً وشرفه أن الغرفة بأسرها كانت منفوشة . وحين أرادت الأم أن توقظ إبنها صرخت عالياً وتراجعت إلى الوراء مترنحة : « ماذا حدث هنا ، ياإلهي ؟ » .

— « لقد بحث الكلب عن كنز » ، تلعثم بيت الذي شعر بالحرج .

وسألت الأم : « هل كان يبحث عن الكنز في سروالك ؟ » .

— « في كل مكان » .

واندفع الأب إلى الغرفة وصابون الحلاقه على وجهه .

— سأعد حتى الثلاثة . فإذا لم يختف الكلب بعد ذلك سيحدث ما لا تحمد عقباه .

على أن الكلب لم يكن يستطيع العد فأخذ يتثاءب . كان فروه أبيض ناعماً كالريش . لكن الأب لم يتريث ولم يتردد فطرده إلى الشارع .

كان على (بيت) أن يذهب إلى المدرسة لابساً سترة الأحد . وحير عاد أدراجه إلى البيت وجد الكلب جالساً أمام الباب وكان يهز ذيله .

وصاح (بيت) مدهوشاً : هيه ! ستسوء الحال معنا إذا ما أخذتك معي إلى فوق » .

وما زال الكلب ذو الشعر الأشعث لايفهم لغة الإنسان ، فما كان منه إلا أن تسلل وراء صديقه وصعد الدرج وبقي إلى جانب (بيت) ولم يفارقه .

— « ألا ترين أنه صديقي » .

قالت الأم : « ولكن ليس لدينا الكثير من السراويل والقمصان لكي تملأ بطنه بها » .

ومع الزمن ألف الكلب ذو الشعر الأشعث كعكة الكلاب والعظام . حتى إن الأب نفسه كان يتنزه مع الكلب (شتروفيل باول) وأخيراً صار لبيت كلب .

وقال المارة : « عليكما أن تذهبا معاً إلى الحلاق » .

وأجاب (بيت) الذي صار يشبه كلبه : «إننا نتنكر ونتكيف مع البيئة» .

وكاد لايقوى على السير من الزهو والخيلاء

* * *

كريستا رايينغ (*)

الكلب والمفتاح

ليس المفتاح كلباً . فلا يمكن مناداته حين يكون غائباً ، وحين يضيع لا يأتي من تلقاء نفسه .

وهذا ما فكر به بعض الأطفال ذات مرة فعلقوا مفاتيح بيوتهم في عنق الكلب . ولما انتهوا من لعبهم وهم على يقين أنهم لم يضيعوا مفاتيحهم نادوا الكلب وصفروا له . ثم كرروا النداء والصفير مرات ومرات ثم تخلوا عن ذلك وعادوا أدراجهم إلى البيت .

ولست أدري أي مصير كان ينتظرهم في البيت . ولكني أعتقد أنهم لاقوا بعض المتاعب في ذلك اليوم .

كان الكلب في طريقه . وركض في الحديقة العامة ركضاً متعرجاً وتباهى مزهوا أمام الكلاب .

(*) كريستا رايينغ Christa Reinig ولدت في برلين (المانيا الديمقراطية ، عام ١٩٢٦ ودرست في جامعة هومبولت (برلين) وتعيش في ميونيخ . وهي شاعرة وكاتبة قصة . وفضلا على ذلك فهي تكتب المسرحية الاذاعية من مؤلفاتها : « ثلاث سفن » ١٩٦٥ وهي مجموعة قصصية و « قصائد » ١٩٦٣ .

وحين رأت الكلاب الكبيرة المفتاح في عنقه قالت له : « ياسلام ! »

وقالت الكلاب الصغيرة : « هذا شيء ممتع جداً » وحين تجاوزها أضافت قائلة : « ياله من دعي ! » .

كان (رولي) كلباً متوسط الحجم. ولم يكن يضمر أي سوء للإوز ..

أما الإوز فكان يكن لرولي العداء . كان ذكر الإوز كلما رآه يمط عنقه ويفتح فاه الكريه ويكيل بعض الشتائم المقذعة لرولي وبعد ذلك كان السرب يشرع الأجنحة لينقض على رولي بين زعيق ونعيب.

ولم يكن البط يحمل في نفسه أي عداء لرولي . وحين رأى رولي صاح : « كيف الحال » ؟ ماهذا الطابع الجديد الذي تحمله ؟ هل هو طابع ضرائب ؟ وهل رقيت درجة ؟ » .

وقال رولي : « ليس هذا بطابع ضريبة . إنه وسام » .

وسأل البط : « ولم هذا الوسام ؟ هل أنقذت طفلا أم أمسكت بلص»؟

قال رولي : « لاهذا ولا ذاك . إنه وسام الإستحقاق العام مدى الحياة»

ثم جاءه نداء الأطفال . وأصاخ رولي السمع واستدار وانطلق يجري . ثم توقف بعد ذلك وانحرف عن مصدر الأصوات ونزل في غدير ماء ؛ إذ أنه لم يكن قد استحم في ذلك اليوم .

كان ثمة كلب متوسط الحجم . اتخذ الماء سكنى له . وعرفه رولي معرفة جيدة جيدة وأحبه كل الحب مع أنه كان كلباً قبيح المنظر أسود الأنف كثيف الشعر في الوجه . وكثيراً ماهاجمه هذا الكلب وفغر فاه . في وجهه . لكن رولي كان يصمت ولم يكن يرد عليه بالمثل . وحين

كان رولي يخرج من الماء كان الكلب الغريب هناك . وقف رولي في الغدير على قوائمه الأربع وانتظر الكلب . وبعد أن ركد الماء ظهر الكلب للعيان . وهم رولي بالتحية ولكن فمه لم يتفوه إلا بصوت لهاث : « هيه ؟ »

كان الكلب المقيم في الماء يحمل في عنقه وسام استحقاق عام مدى الحياة.

وماحدث في تلك ا لحظة يصعب فهمه . ومع هذا لابد من سرد القصة .

وطبيعي أن رولي كان يقدر نفسه . ولم يكن هذا التقدير خطأ . لقد عرف أنه كان كلباً . لاكبيراً ولا صغيراً، بل متوسط الحجم . وكان يقدر طاقته ومواهبه حق قدرها وكان يعرف حق المعرفة مع أي كلب كان في امكانه أن يشترك في مباراة سباق أو يتحاشى العدو في أي سباق . وعرف أنه لم يكن أسرع الكلاب؛ لكنه كان أسرع من ذلك الصبي ، لاعب الكرة ، من حانوت اللبان . ثم إن رولي لم يسقط على رأسه ومع أنه لايحسن العد حتى الأربعة، إلا أنه كان يحسب حسابات تقريبية ذلك أن له قوائم تزيد على قوائم الكلب الآخر (هيرشين) . وفضلا عن ذلك فقد كان له أنف ؛ أما الكلب الآخر (هيرشين) فلم يكن له أنف ولم يكن يستطيع الشم .

لكن هذه المعلومات لم تكن إلا شيئاً ثانوياً ولم تكن بذات قيمة . وفي المقام الأول عرف شيئاً واحداً كان مدعاة زهوه وافتخاره وهو أنه لم يكن في الحقيقة كلباً صغيراً مثل الكلاب الأخرى ، وإنما كان إنساناً . واعتقد رولي أنه إنسان . ومع أنه كان صغير الحجم ، إلا أنه كان مقابل ذلك أحكم وأذكى من البشر الذين هم أكبر منه ، وأذكى من الأطفال

والناس ومن هيرشين . ومع أن رولي كان يلمس وجهه بيديه كل يوم ويهز أذنيه الطويلتين ويحس بأسنانه وأنيابه الكبيرة معاً في قطعة من النقانق بمقد كان في مقدوره أن يقسم بأنّ له في وجهه الوردي الممسوح أنف إنسان صغيراً مستقيماً وأن نظارة عاجية ذات ذراعين عريضتين استقرت على أرنبة أنفه ووصلت إلى ماوراء عقبي أذنيه الدقيقين . إذ أن رولي كان شبه (هيرشين) الكلب الذي كان يعيش في الماء .

وقف رولي في الماء على قوائمه الأربع وفكر : بأنه ليس هناك إلا كلب واحد يحمل وسام الإستحقاق العام مدى الحياة وأن هذا الكلب هو أنا . فليس لي أنف وردي ولانظارة . وإنما لي أنف أسود في وجه قبيح أشعر . ولست شبيه (هيرشين) ، ولست إنساناً أبداً . فأنا الكلب الذي يعيش في الماء . وإني كلب عادي متوسط الحجم ، ليس غير . كان هذا صدمة قاسيه لرولي .

وبدا أن البط لم ينتبه على شيء . وخرج رولي من الماء وقال : « إلى اللقاء ، يجب أن أذهب إلى البيت » .

وصاح البط : « قاق ، قاق ، قاق » .

وقال رولي في ذات نفسه : « إن هذا البط على شيء من الجنون » ، لكنه لم يشغل فكره بذلك طويلا ، إذ أنه كان محزوناً كاسف البال . وحين شاهد الكلاب رفع رأسه وذنبه في زهو واستعلاء ومر بها كأن شيئاً لم يحدث .

ونبحته الكلاب : « عاو ، عاو ، واف ، واف » .!

وتوقف رولي : « هل جن جنونكم ؟ ماذا تريدون بذلك ؟ » .

ونبح أحد الكلاب وتراجع خائفاً مذعوراً . لكن الكلاب الأخرى

لاذت بالصمت وحملقت في رولي . وشعر بالضيق والإنزعاج . فتابع سيره .

كان سرب الإوز يترنح في مشيته عند ناصية الطريق . الآن حانت لحظة الفرار . لكن رولي لم يرفع بصره أبداً حين جاء ذكر الإوز ومط ذكر الإوز عنقه .

وقال رولي في ذات نفسه : « لاشك أن الشتائم ستنهال الآن وسأسمع ألفاظاً بذيئه مثل : « كلب حقير ، كلب قذر ! » .

وقال رولي في ذات نفسه : « لاضير في ذلك . فانا أعرف من أنا ومن أكون .

على أن ذكر الإوز لم يتفوه إلا بالحرف الأول من الكلمة : « ك ك . . ك

وقال رولي : إنه يخشاني . وهو يتلعثم من الخوف . واستجمع رولي قواه واندفع قائلا : لسوف أردك إلى رشدك ، ياذكر الإوز القذر وسألقنك درساً لن تنساه أبداً » .

عندئذ استدار ذكر الإوز وترنح على رجليه المسحاوين لاحقاً بسرب الإوز . وفي تلك ا للحظة عاد الإنشراح إلى صدررولي .

وفجاة سمع صوتاً يقول : « الحق أنك كلب شجاع . أليس كذلك ؟

فأي وسام هو هذا الذي يطوق عنق كلبنا الشجاع ؟ » .

وعندها أجاب رولي وهو في الوقت نفسه مدهوش في نفسه لهذه الإجابة : « الحق أن هذا ليس وساماً ، ايها الغبي ، إنه مفتاح ، مفتاح لبيت عادي ليس غير . فهل تعرف ماهو المفتاح ؟ المفتاح قطعة معدنية يحملها الناس ، عادة ، في جيوبهم ويفتحون بها قفلا موجوداً في الباب . . .

وصمت رولي ، اذ أن وقتاً طويلا مر وهو مازال يقف وحيدا في هذا المكان . وكان الرجل قد نهض من على المقعد . وقفز رولي من فوق المقعد قفزة واحدة فإذا هو بين الشجيرات . لقد أخذ بطنه يقرقر . وكان هذا إيذاناً له بالعودة إلى البيت في أسرع مايمكن .

ولكن أين كان بيته ؟ لم يعد يعرف . حتى إنه لم يجد مخرجاً من الحديقة العامة وهذه هي المرة الأولى التي حدث فيها شيء من هذا القبيل .

ورأى صبياً جالساً على مقعد وكان يكتب واجباته المدرسيه . كان يكتب ويشطب في دفتر الحساب . وكانت حقيبته المدرسية إلى جانبه . ومنها كانت تفوح رائحة السندويش بالنقانق . لم يكن الصبي قد أكلها بعد لأنها كانت تحتوي على نقانق الكبد . وجلس رولي على المقعد ونظر من فوق كتف الصبي .

وقال بعد برهه : « إن ماتكتبه خطأ بخطأ . فحل المسألة ٤ (س + ٢ع (ليس ٤س + ٦ع . عليك أن تضرب العدد الصحيح خارج القوس بحدي القوس فيكون الناتج ٤ س + ٨ ع » .

ورفع الصبي نظره وقال : « لم يعد ينقصني شيء إلا أنت . فأنا لم أعد أفهم الآن أي شيء على الإطلاق » .

ورمى الدفتر على الأرض . وقرر أن يأكل سندويشته .

وقال رولي : « ليس سندويش نقانق الكبد بصحي لصبي في مثل سنك . إسمح لي أن آكلها عنك » .

وقال الصبي : « إني لأعجب منك . أنى لك أن تعرف مافيها هو نقانق الكبد ؟ » .

وقال رولي : « ليس هذا بمهم » . والتهم السندويشات .

وسأل الصبي : « وماهذا المفتاح الذي معك ؟ » .

— « إنه مفتاح منزل . هل تعرف ماهو المفتاح ؟ المفتاح قطعة معدنية اعتاد الناس . . . . . » .

قال الصبي : « أعرف ماهو المفتاح . والأولى بك أن تقول لي أين تسكن » .

وقال رولي : « ليتني أعرف » .

وقال الصبي : « كان ينبغي عليك أن تعرف ذلك لأنك كلب » .

وقال رولي : « تلك هي المشكلة . شكراً لك ولا تنس الدفتر المرمي على الأرض . ستحتاج إليه فيما بعد » .

وعلى هذا ترك رولي الصبي والحديقة العامة وبلغ الشارع .

وقال رولي في ذات نفسه : « لقد ساورني الشك أبداً أن الناس ليسوا بأذكياء كل الذكاء. على أن ماهو أسوأ من هذا هو أنهم أغبياء وجهلة » .

وعرف رولي على حين فجأة أنه لن يصل إلى البيت أبداً . كما أنه لم يعد يرغب في ذلك . وبهذا بدأ تجواله . وتوقف عند مفرق الطريق في الضوء الأحمر . ثم قفز إلى إحدى السيارات وانطلق بها . وحين ملّ الركوب هبط من السيارة وقصد حانوت جزار وسلم قائلا : « نهار سعيد » وعلى حين كان الجزار يسارع إلى الهاتف إنتقى رولي لنفسه قطعة لحم أو قطعة نقانق . وهكذا طوّف رولي وجاب البلاد وزار كثيراً من المدن .

وامطرت السماء ذات ليلة فالتمس رولي الراحة تحت مدخل دار مسقوف وعزم أن يحلم فأنه ليس كلباً وإنما إنسان .. . .

إنسان وافر الغنى سكن هذه الدار . وفي تلك اللحظة بهره نور مصباح كهربائي فطارت الأحلام . ثم انطفأ النور . ولم يستطع رولي أن يرى شيئاً في الظلام .

وسمع أحدهم يقول : « ها إن كلباً هناك ! » .

وقال آخر : « هيا اطلق النار ! » .

وقال ثالث : « لاتحدثوا أية ضوضاء ! » .

ولم يطلقوا النار . على أن رائحة لحم وشحم ملأت خياشيمه وسقطت على مقربة منه قطعة لحم فالتقطها بفمه وانتحى جانباً بضع خطوات . لم يأكل فوراً لأنه خشي أن يكون اللحم مسموماً. لكنه تناولها لئلا يطلقوا النار عليه .

وباشر الثلاثة عملهم . وأصغى رولي إليهم على حين كانوا يتعذبون . لم يتمكنوا من فتح الباب . وتداخلت الأصوات . وسر رولي إذ أنهم أخذوا يتبادلون الشتائم وقتاً طويلا . ثم أصابه الذعر .

قال ثالثهم : « الكلب ! ألم تشاهده ؟ كان المفتاح في عنقه أين الكلب ؟ هات المصباح الكهربائي ! » .

ولمظ رولي قطعة اللحم وزمجر قائلا : « هيا ارفعوا الأيدي ! » .

وساد صمت. وروّى رولي . ولم يخطر بباله إلا شيء واحد وهو أن تأتيه رصاصة قاتلة . لم ير شيئاً منهم . لكنه صاح جزافاً : « هيه ، أنت ، أنت ياهذا . لقد اسبلت اليدين ! » .

وأجاب أحدهم وكان ذراعاه قد أخذا يؤلمانه : « وإلام سنظل واقفين على هذه الحال ؟ » .

وقال رولي : « أريد أن أقول لكم واشيئاً حداً » ثم اجتهد ليعرف ماسيقول لهم ، « أريد أن أقول لكم من أنا : أنا الكلب الذي يحمل المفتاح . هل تعرفون ماهو المفتاح ؟ المفتاح قطعة معدنية اعتاد المرء أن يحملها في الجيب ؛ وبواسطة قفل موجود في الباب . . . »

وصرخ صوت بائس : « إننا نعرف هذا ، أيها الشيطان . فلا تسخر منا بحق الله » .

ولم يكن رولي أقل منهم يأساً . لقد أمل أن يهربوا من وجهه . ولكنهم وقفوا ثلاثتهم من دون أن يراهم وشم رائحة عرقهم النتنة ، لقد كانت رائحة عرق الخوف .

وقال أحدهم : « اصغ جيداً أيها الكلب . اعطنا المفتاح ولن تندم على ذلك » .

قال رولي : « كلا ، كلا ، فالمفتاح ليس كلباً . ولا يستطيع المرء أن يناديه . وحين يضيع فإنه لايعود من تلقاء نفسه » .

كان رولي قد أغمض عينيه نصف إغماضة واسترسل في الكلام . وقص قصته. وأمضى الليل كله في حكاية القصة . وكان للمماطر حفيف حين أرخى الثلاثة أيديهم . وطقطقت أحذيتهم ثم خروا على الأرض نيأماً وعلا غطيطهم .

ولم يكف رولي عن الحديث . وحين طلع الفجر كان قد وصل إلى الجملة التالية : « عندئذ لفظت قطعة اللحم من فمي وزمجرت قائلا :

ارفعوا الأيدي » . ! وهب الثلاثة من نومهم ورفعوا أيديهم فوق رؤوسهم ونظر كل منهم إلى الآخر ثم نظروا حولهم . لم يكن ثمة أحد . لم يكن هناك إلا كلب كان قد رقد على الأرض بعينين نصف مغمضتين وكان ينتظر لحظة إطلاق النار عليه .

قال أحدهم : « أيها الأحمق » .

وقال الثاني : « أنت الأحمق ! » .

وقال الثالث : « يالكما من أحمقين ! » .

وصاح الأول والثاني : « أنت الأحمق ! » .

وعلى حين كانوا يتبادلون الشتائم وينعتون بعضهم بالحماقة صاح أحدهم فجأة : « المفتاح : الكلب والمفتاح . . . » .

وفتح رولي فاه وعينيه وقال : « وهل تعرفون ماهو المفتاح ؟ ليس المفتاح بكلب . المفتاح قطعة معدنية ، ولايستطيع المرء أن . . . . »

وعلت أصوات الثلاثة وصيحاتهم ثم ولوا هاربين . وعلى هذا نهض رولي . لقد كان منهك القوى ومشوش الأفكار . وأحس بألم في الفكين والصدغين . والتهم قطعة اللحم . وما اكترث أكانت مسمومة أم غير مسمومة . لكنها لم تكن مسمومة . وقال : « لتكن هذه آخر كلماتي . لن يتكرر هذا ولو كلفني ذلك حياتي . هذا وعد رسمي » .

ثم مضى في حال سبيله ولم يتفوه بكلمة . فإذا مارأيتم كلباً يحمل مفتاحاً في عنقه فلا ترتعبوا . فلن يقول : « طاب يومكم » أو « عليك أن تضع المضروب فيه خارج القوس . . . » ولن يقول : « هل تعرف ماهو المفتاح ؟ » .

لم يعد رولي يقول ماهو المفتاح . لم يعد يقول شيئاً أبداً لقد لف نفسه بالصمت ذلك لأنه إنسان على هيئة كلب ويفي بما وعد

رولف هاوفس(*)

الرجل القادم من غرينلنده

صاح الرجل : « رائع ، رائع ، ياله من طريق رائع ! » ويمر ثلاثة موزعي برقيات وهم يسابقون الريح على دراجاتهم النارية الصفراء . إلى أين يسيرون مسرعين ؟ ويرفع قبعته وينظر إلى صورته في زجاج حجرة الهاتف . « أدخل من فضلك ! ويجري الرجل مخابرة هاتفية .

ويرفع الرجل صوته : صباح الخير ، أيها الصديق ، لقد وصلت في هذه اللحظة . من غرينلندة . أجل . أجل ، من غرينلندة . أنزل الثلج عندنا أيضاً ؟ .

– نعم ، نزل الثلج عندنا أيضاً .

– وهل يوجد دبية أيضاً ؟

– نعم يوجد أيضاً دبية ، في حديقة الحيوانات إذا ماصدق ظني .

(*) رولف هاوفس Rolf Haufs ولد في مدينة دوسلدورف عام ١٩٣٥ يعيش في برلين وهو شاعر وكاتب إذاعي .

ويمضي الرجل إلى الطريق ويعرض أنفه المحمر للشمس فتدغدغه الشمس ويعطس الرجل . وتأتي فرقة الإطفاء .

ويصيح رجال الإطفاء : نريد أن نطفيء أنفك الناري .

ويقول الرجل : لاضرورة إلى ذلك . شكراً جزيلا وينحني انحناءة كبيرة . ويقصد الرجل أحد المطاعم . .

ويقول : طاب يومكم ، إنني قادم من غرينلندة وأريد قدحاً من الكاكاو .

ويسأل الخادم : قدح من الكاكاو ؟ .

– نعم قدح من الكاكاو .

ويعبس الخادم وينادي كبير الخدم :

السيد هنا قادم من غرينلندة ويريد قدحاً من الكاكاو .

ويسأل كبير الخدم : أأنت القادم من غريناندة وتريد قدحاً من الكاكاو ؟

ويقول الرجل : أنا القادم عن غرينلندة وأريد قدحاً من الكاكاو .

ويعبس كبير الخدم وينادي الطاهي . ويقول كبير الخدم :

– السيد هنا قادم من غرينلندة ويريد قدحاً من الكاكاو .

ويسأل الطاهي : أأنت القادم من غرينلندة وتريد قدحاً من الكاكاو؟

ويقول الرجل : نعم ، أنا القادم من غرينلندة وأريد قدحاً من الكاكاو .

ويقول الطاهي : « حسن » .

ويقول كبير الخدم : « حسن » .

ويقول الخادم : « حسن » .

وينظر الرجل من النافذة إلى الطريق . ويضغط أحد السائقين على مكابح حافلته .

ويصيح السائق : « غير معقول ! » ويتزل زجاج النافذة .

ويصيح جابي الحافلة : « شيء لا يصدق . غير معقول ! » ويفتح الباب .

ويصيح الناس : « غير معقول » . ويمعطون الشعور.

كان في وسط الطريق زهرة . وفي مثل هذا الفصل من فصول السنة ، وفي الثلج . زهرة خشخاش حمراء .

ويركض الناس من كل حدب وصوب ويتحلقون حول الزهرة .

ويصيحون معاً في صوت واحد: « غير معقول! يجب استدعاء الشرطة .

ويقول الرجل القادم من غرينلندة : وما الداعي إلى إحضار الشرطة ؟ .

وينحني فوق الزهرة ويقتلعها من الثلج ويشكها في عروة معطفه . ويرفع ذراعيه ويخلي سبيلل الحافلة .

يصيح السائق : شكراً جزيلا . هل تريد أن تأتي معنا ؟

ويجيب الرجل : شكراً جزيلا . أفضل استخدام الزلاجات .

ويقول سائق الزلاجة : إن كنت تريد الذهاب إلى شارع الأرانب فعليك أن تستقل الزلاجة رقم (٧) .

ويضع سائق الزلاجة قلنسوة سوداء ويتمنطق بوشاح أزرق .

ويقول الرجل القادم من غرينلندة : حسن ! أوصلني ، إذاً ، إلى شارع الأرانب (هازين شتّراسي) .

ويقدم الرجل زهرة الخشخاش الحمراء إلى صديقه . ويصعدان معاً السطح ويستندان إلى المدخنة الساخنة .

ويشير الرجل إلى المدى البعيد ويقول لصديقه : جميلة هي هذه المدينة هل تعلم أني سأستقر هنا .

ثم يشعل بعد ذلك ، لفافة تبغ غليظة لينافس المدخنة في الدخان .

* * *

غونتر برونو فوكس(*)

قصة مصورة

لم يكن في الإمكان إنشاء إنسان ثلجي من هذا الثلج . وهذا ماتعرفه كل البيوت التي تطل على الحديقة العامة من الجهات كلها ؛ وتعرفه الأشجار في الحديقة العامة ، وتقول الأشجار : لقد عرفنا هذا من قبل ، فلا تكلفوا أنفسكم أية مشقة !

وتقول البيوت : محال إنشاء شيء من هذا الثلج .

ويقول حراس الحديقة : هكذا إذاً .

وينحنون ويصنعون من الثلج كرات ثلجية صغيرة ويرمون بها سطوح البيوت الذكية ورؤوس الأشجار الفطنة .

وتصيح البيوت والأشجار : ماهذا ! من ذا الذي يقذفنا ؟

(*) غونتر برونوفوكس Gunter Bruno Fuchs ولد في برلين عام ١٩٢٨ وتوفي عام ١٩٧٧ . شاعر وقاص وكاتب تمثيليات إذاعية وفنان تشكيلي

– ثلاثة حراس حديقة ساخطون من مدينة نويروبين (*) .

وتقول البيوت : ماذا ؟ ومنذ متى ويوجد هنا في هذه المدينة حراس حدائق ساخطون ؟

ويقول حراس الحديقة الثلاثة : إي وربّ منذ هذا الصباح الباكر .

وتقول الأشجار : أعزائي حراس الحديقة ، لقد ثلجتكم السماء منذ هذا الصباح الباكر .

ويصيح حراس الحديقة : لاتتعبن أنفسكم . فنحن نعرف هذا : نحن لسنا حراس حديقة اعزاء بل حانقون ساخطون على الثلج لأنه لا يصلح لإنشاء إنسان ثلجي .

– ٢ –

ويقول المعمار شينكيل : هذا صحيح ! فالثلج بارد جداً ورطب جداً . وينبغي أن يكون عندها إنسان ثلجي في الشتاء . ولقد اتخذت الترتيبات الضرورية لذلك . وإن مدينة ليس فيها إنسان ثلجي في الشتاء لهي مدينة بائسة وحزينة وغبية .

ويصفق بيديه .. وينزل من على قاعدة تمثاله . وينتصب تمثاله في وسط الحديقة العامة . وينحني ويصنع كرة ثلجية صغيرة من الثلج ويحملها إلى أحد البيوت التي تطل على الحديقة العامة . وأحد هذه البيوت هو دار البلدية .

ويقول أعضاء المجلس البلدي : إنه قصر . فأنت بنيت قصوراً ، أليس كذلك ؟

(*) نويروبين (Neupuppin) مدينة تقع في براند ينبورغ في الشمال الشرقي من ألمانيا .

ويقول المعمار : حسن فأنا إبن هذه المدينة . أنا أعطيكم القصر وأنتم تعطوني الحبر والورق .

ويضع الكرة الثلجية على المنضدة ويجلس إلى منضدة أخرى ويكتب رسالة .

ـ ٣ ـ

ويكتب المعمار شينكيل رسالة إلى السماء : عزيزتي السماء . ماذنب مدينتنا انها مدينة صغيرة ! هل ينبغي لك أن تثلجيها كل مرة هذا الثلج الذي لايصلح نصنع انسان ثلجي ؟ هل ينبغي لك أن تغيظي حراس الحقيقة الثلاثة من مدينتنا غيظاً شديداً بحيث يغضبون ؟

يريد حراس الحديقة أن يصنعوا انساناً من ثلج ويتباهوا بهذا الإنسان الثلجي . ولكنك في كل مرة تثلجين يصيبهم هذا الثلج البارد الرطب . فبرودته ورطوبته شديدتان فحار فيه عقول أعضاء البلدية في مدينة نويروبين ! إني أبتهل إليك بأن تثلجي ثاجاً جافاً يابساً لازقاً . فزوار مدينتنا في الشتاء يبحثون كلهم عن إنسان الثلج ولايجدونه. وهذا مايغيظ حراسنا الثلاثة . ويدفع بهم الغيظ إلى الحانة حيث يفرطون في الشرب .

ـ ٤ ـ

أفرغ كل حارس ثلاث كؤوس كبيرة من البيرة . أي أنهم شربوا معاً تسع كؤوس ، أي تسعة ألتار من البيرة .

ويقول حراس الحديقة العامة : إننا لنخجل من أنفسنا ، فمدينتنا نويروبين ليس لها إنسان من الثلج . ياللخزي !

ويطلبون ثلاث كؤوس أخرى من البيرة ويشربون ويبدو عليهم الإكتئاب. ويود أحد الحراس الثلاثة لو يبكي . لقد شرب كل حارس أربعة ألتار حتى الآن . أي أنهم شربوا معاً إثني عشر لتراً . ويغشاهم النوم في الحانة ويحلمون بخير الأزمان .

— ٥ —

ويسافر المعمار شينيكيل بالقطار إلى برلين . وقبل السفر أودع الرسالة في البريد . وفي بعض الأحيان يستغرق مثل هذا الرسائل وقتاً طويلا حتى تصل . وعلى هذا يسافر المعمار شينكيل إلى برلين . وفي المحطة يلتقي برجل . ويجلس الرجل قبالته . ويسأل المعمار شينكيل الرجل : هل أنت مسافر أيضاً إلى برلين ؟

ويقول الرجل : نعم ، وإني محافظ هذه المدينة . لقد استقلت من منصبي . فالمدينة ليس لها إنسان من ثلج . وإن مدينة كهذه لتملأ صدري غماً وهماً .

ويقول المعمار شينكيل : صدقت !

ويقول الرجل : وفضلا عن ذلك فأنا أرثي لحال حراس الحديقة الثلاثة الذين يريدون أن يصنعوا إنساناً في الشتاء من الثلج لكي يكون في مقدورهم أن يتباهوا به ويفتخرون . لكن الثلج كان في كل مرة بارداً جداً وكثير الرطوبة . وإنك لتجد هذا في مدينة أنجبت معماراً عظيماً !

ويقول المعمار شينكيل : صدقت !

ويقول محافظ المدينه : أريد أن أصير حارس حديقة في مدينة برلين . وأظن أن هناك ثلجاً يصلح لإنشاء إنسان ثلجي .

ويقول المعمار شينكيل : أوشكنا أن نصل برلين . ساعدني من فضلك!

— ٦ —

وفي حديقة برلين العامة يقهقه رجلان قهقهة عالية . ويمشي محافظ المدينة محني الظهر في الثلج الجاف اللازق ويكور كرات ثلجية متماسكة ويدحرجها أمامه وهو محدودب الظهر ويمضي بها إلى المعمار شينيكيل الذي يصنع إنساناً ثلجياً كبيراً .

وتم الجزء الأول منه حتى الخصر .

ويتراجع المعمار شينكيل إلى الوراء وينعم النظر فيما أنجزه ويسأل المحافظ : هل يسترعي انتباهك شيءٌ ما ؟

ويجيب المحافظ : كلا !

— إنظر إلى ممرات الحديقة ! فليس فيها إلا رجال من ثلج يمشون جيئة وذهاباً . إننا محط المراقبة !

ويقول المحافظ : هذا لايضايقني . وأنا سعيد إذ أرى رجالاً من الثلج ذوي حيوية ونشاط ! هلا انتظرت لحظة واحده ، أنا عائد فوراً .

ويصنع المعمار شينكيل القسم الأعلى من جسم الإنسان الثلجي ويضع كرة مستديرة كبيرة على الجذع فيتكون بعدئذ الذراعان . يمد يده اليمنى إلى الرجل الثلجي ويسلم عليه ثم يدعوه إليه .

ويقول : أيها الرجل الثلجي ، اليوم سنسافر معاً .

وما رد الرجل الثلجي جواباً .

في تلك اللحظة يعود المحافظ أدراجه ومعه مكنسة وقبعة من القش وجزرة حمراء وحفنة من الفحم .

ويقول : لقد حصلت على هذه الأشياء من رجال الثلج الذين لفتوا إنتباهك منذ قليل . فهؤلاء السادة يتاجرون بما يلزم زملاءهم من عدة وعتاد .

ويصبح للإنسان الثلجي وجه ومكنسة في اليد اليمنى وقبعة من القش على الرأس . وهاهو يقول : هيا ، أيها السادة . هيا أروني العالم .

— ٧ —

ويقف صاحب المطعم عند نافذة المطعم .

وينظر إلى حديقة المدينة،نويروبين ، فيرى البيوت التي تطل على الحديقة العامة من كل الجهات . ويرى الأشجار في الحديقة العامةوينظر إلى السماء ثم يرتد بصره إلى الحديقة . ويشعر في تلك اللحظة كأن ناراً تلهب أحشاءه من الإنفعال . إنه لايصدق عينيه ، كان ثمة رجلان يتوسطهما إنسان من الثلج ، وكان الرجلان يتأبطان ذراعيه . ويترك صاحب المطعم مكانه وراء النافذة ويركض في المطعم ويصيح في كل حجرة وفي وجه الخادم : سأبني فندقاً ضخماً . لقد أصبحت مدينتنا مدينة كبيرة .

ويهب حراس الحديقة الثلاثة من نومهم . وينظرون إلى بعضهم البعض بأعين نصف مغمضة ويتثاءبون وينظرون من النافذة في استياء وضجر ويقول الأول : ياإلهي !

ويقول الثاني : هاهو ذا . . الحق أنه إنسان ثلجي يافع !

ويسأل الأول : أهو واحد ؟ أهو واحد ؟ إني لأرى آخر أيضاً .

ويقول الثاني : نعم ، إنك على صواب . فأنا أرى إثنين أيضاً ! ولكن لايزال الكثيرون يأتون من المحطة .

وقال صاحب المطعم : لقد وصل القطار القادم من برلين لتوه .

ويصيح حراس الحديقة الثلاثة : ياالسماء الثلج يتساقط .

ويقول صاحب المطعم : نعم ، السماء تثلج .

ويصيح حراس الحديقة : نجوم !

ويقول صاحب المطعم : هراء ! إنها ندف الثلج .

ويقول الحراس الثلاثة : ثلج ! ويصعدون عل المنضدة ويرقصون .

ويقول صاحب المطعم : مدينتنا من المدن الكبرى . انزلوا من على المنضدة وامضوا إلى عملكم .

ويصيح حراس الحديقة في رقصهم : وأين رجال الثلج ؟

ويقول صاحب المطعم : هناك ، ويشير إلى تمثال المعمار شينكيل ، إنهم هناك مجتمعون .

ويقول الحراس : لم يعد المرء يرى شيئاً . سيغطي الثلج كل شيء .

ويصيح صاحب المطعم : كفاكم رقصاً !

ويخرجون إلى الثلج الجاف اللازق . وينطون ويثبون من فرط الضحك . فالأرض تحت أقدامهم ناعمة طرية . والثلج يصلح لأن يصنعوا منه إنساناً ثلجياً .

ويقول المعمار شينكيل : هذا صحيح ، ثم يصعد إلى قاعدة تمثاله .

ويصيح حراس الحديقة : ترى ماهذا ! الحق أننا نعرف ماهذا . وإننا نتصرف كما يتصرف الأطفال السعداء في مدينة نويروبين .

سيغفريد لينز

صيد السمك في الجليد

في الشتاء أيضاً تبقى الحركة نشيطة في بحيرتنا . وما على المرء إلا أن ينتظر إلى أن يصبح الجليد سميكاً أزرق. ويستحسن في بادىء الأمر أن تمر فوقه زلاقه يجرها فرس قبل أن يجتاز المرء منطقة القصب الأسمر المتخشخش . وإذا لم يكن في الإمكان رؤية زلاقات يجرها خيول فيكفي أيضاً عد فقاعات الماء والجذوع والزلاجات التي تتجمد في قاع الجليد . وإذا ما تجمد الماء بما فيه الكفاية وصعب الإستمرار في العد ففي الإمكان عندئذ البدء بالتزلج على الجليد .

ولكن أي شيء هو الأفضل ؟ الأفضل هو حين يأتي صيادو السمك على زلاقاتهم الصغيرة المسطحة التي يدفعون بها إلى الأمام بواسطة قضيب أو عصا . وعند هؤلاء الصيادين دائماً شيء ما للهتاف. ولست أدري

(*) سيغفريد لينز Siegfried Lenz من مواليد عام ١٩٢٦ . درس الفلسفة والأدب واللغة الانجليزية في مدينة هامبورغ . وهو كاتب قصصي (القصة والرواية معاً) . ويصور في قصصه مواقف إنسانية تنم عن عزلة الانسان الفرد واخفاقه . ويقيم الكاتب في هامبورغ . من مؤلفاته : « حديث المدينة » (رواية) . و « درس اللغة الألمانية (رواية ١٩٦٥) وغيرها . »

لماذا يفعلون ذلك . كنا نسمع النداء تلو النداء من مثل « هووو — أوه » أو « هووو — آه » وذلك قبل أن ينعطفوا حول شبه الجزيرة الجرداء . وقبل أن ننقر الجليد بكعابنا . ولكن سرعان ماكنا ننطلق عبر كثبان الثلوج على الضفة لحظة كنا نسمع الصيادين يقتربون . كنا نستجمع قوانا ونندفع صوبهم بحركة قوية جداً فكنا نتزلق على ظهورنا حين كنا نسقط على الأرض الزلقة الملساء .

كان الصيادون يحتسون القهوة قبل كل شيء . وكانت العادة تقضي بذلك . كانوا يجلسون على الزلاقات المسطحة في حلقة . وكانوا ذوي شوارب كبيرة علقت بها بلوريات « صغيرة » وكانت حواجبهم ذرت بالصقيع . والحق أنهم بدوا كشهر كانون الثاني على حين كانوا يحتسون قهوتهم ببطء شديد في أثناء تساقط الثلج .

ثم صاح أحدهم « هوو — أوه »،وعلى هذا تناول الآخرون من إحدى الزلاقات فؤوساً وعصياً خاصة بالجليد ، وهنا بدأ العمل على الجليد : كسر الصيادون ونقروا وتطايرت شظايا الجليد وتحطمت وصرت . وتألقت بعض الشظايا كزجاج ملون . وتابع الصيادون التكسير وقتاً طويلا إلى أن أحدثوا حفرة كبيرة في الجليد . وبعد ذلك ركزوا عصياً عليها حزم صغيرة من القش وعرف الجميع بأن عليهم أن يفتحوا عيونهم .

كانت الحفرة كبيرة كطاولة مطبخ ، بل أكبر منها بأربع مرات . وكان هذا كافياً .

وتكرر النداء « هوو — أوه » ، ولولا هذا النداء لما انجز الصيادون شيئاً . إذ أنهم جروا الشبكة المتصلبة المتألقة في سنا الثلج إلى الحفرة .

وكان للشبكة خشخشة وحفيف . كان لها صوت ناعم غني حين جروا الشبكة وسحبوها . وبعد ئذ انزلوا الشبكة إلى الحفرة بالعصي ثم أدخلوا العصي تحت الجليد .

كنا نعرف هذا من قبل . فبواسطة العصي مد الصيادون حبلا تحت الجليد . وكان الحبل على هيئة قوس لكي يفتح الشبكة التي بللها الماء وصار في الأعماق . وحفر الصيادون حفراً صغيرة كثيرة لكي يحكموا شد الحبل . ووضعوا جانب كل حفرة حزمة من القش . ولا شك في أن الصيادون لم يكونوا يحملون نقوداً في الجيوب . لكن كل واحد منهم كان معه زجاجة. وحين كانوا يتوقفون عن النداء كانوا يجرعون جرعة كبيرة من الزجاجات. ولم نحاول أن نحصي عدد الجرعات .

كان هناك زلاقتان. وكان عليهما براميل بنية اللون وكان في الإمكان تدويرها . وكان الصيادون ابتعدوا مسافة كافية من الحفرة الكبيرة وعندها سحبوا الحبل إلى الأعلى ولفوه حول البراميل وانشد الحبل أكثر فاكثر حتى بدأ يهتز .

وأصبح البرميل يحدث أنغاماً . كان يدوره صيادان واستحال الحبل في الهواء القارص إلى ثعبان أبيض . وعندها اسرعا صوب الشبكة التي لم تكف عن الحركه البطيئة تحت الثلج بجوانبها المفتوحة . واستلقينا على الجليد الداكن الشفاف. كانت الشبكة تتحرك في القاع في هدوء.وليس في الإمكان القول أكثر من ذلك . ولم يكف البرميل عن الصرير . وحفر صيادون حفرة أخرى كبيرة ليخرجوا الشبكة منها . ووقفنا عند الحفرة ونظرنا إلى القاع الداكن حيث كان السمك ينتفض بحركات

رشيقة مغزلية . وكان السمك يتزايد ويهرب من الشبكة الدائمة التنقل بجوانبها المفتوحة . سر الصيادون بأسراب السمك وصاح أحدهم « هوو ــ آه » . ثم تمخط في منديله .

لكن الماء لم يلبث أن اضطرب وهدر وماج . وفرك الصيادون أيديهم ليدفأوا وضربوا الكف بالكف . وأرغى وأزبد الماء من حركة الأسماك المضطربة فكان بعض السمك ينتفض ويقفز في العلاء . واستطعنا أن نرى أطراف الشبكة المنصوبة .

لقد كان فيها سمك ذو زعانف تبرق بريقاً أحمر . وجمع الصيادون أطراف الشبكة ورفعوها إلى السطح فوق الجليد . كان سمكاً كثيراً من مثل سمك الفرخ الأخضر الداكن الذي قوّم حسكه وشهره إلى جانب سمك الشبوط الفضي والتنش والفرخ الرامح ، فضلا على خمس سمكات من سمك الكراكي الأخضر الفاتح ذات الأفواه المشابهة لمناقير البط . وصنف الصيادون السمك في صناديق خشبية. اما السمك الصغير فقد وهبونا إياه .

وطبيعي أننا كنا نؤثر سمكة واحدة من سمكات الكراكي على غيرها إذ أن هذا السمك هو أجود مافي بحيرتنا من سمك . لكن الصيادين رفضوا إعطاءنا سمكة الكراكي . ولم نتمكن أيضاً من أخذ سمكة من الصناديق المغطاة بالواح معدنية ؛ إذ أن كل صياد كان قد عد السمكات الخمس ؛ وكان العد بطيئاً .

ولكننا كنا نعرف أيضاً أن السارق يعيد ما كان سرقه حين يضبط متلبساً بالسرقة . ولم يكن هناك مايدعو إلى الإستغراب والعجب . إذ أن

سمك الكراكي كان أجمل اللصوص وأقواهم في بحيرتنا . وانعمنا النظر في السمكاتِ الخمس الموجودة في الصندوق ، على حين كان الصيادون يشربون القهوة من جديد . كان بين السمكات واحدة جد ضخمة وكانت تتنفس تنفس المجهد المكدود. فأخذنا ندلك بطنها الفضي ورفعناها من ذنبها إلى الأعلى . وفجأة خرجت من فم السمكة الكبيرة سمكة كراكي صغيرة كانت قد ابتلعتها من قبل . ولم يعد الصيادون هذه السمكة وحين رأوا سمكة الكراكي معنا توجهوا فوراً إلى الصناديق وأعادوا العد مرة تلو الأخرى . كانت الخمس سمكات في مكانها . ثم مسح الصيادون البلورات الجليدية عن شواربهم الغليظة وكانوا مدهوشين ؛ ولما كان في إمكانهم أن يتعجبوا طويلا من شيء ما فلربما لايزالون يتعجبون أيضاً إلى يومنا هذا .

وحين انصرفوا مسرعين على زلاقاتهم المسطحة صاحوا جميعاً : « هووو ــ أوه » . ورددنا عليهم بالنداء « هوووه ــ أه »،ووقع هذا في الأسماع كأنما كنا نقول : « شكراً لكم » .

* * *

يوهانيس بوبروفيسكي(*)

صيف هادئ

أورشي عن لساني

لما خرجنا من الغابة سكن كل شيء . وتركنا الغابة وراءنا والطيور لم تنقطع بعد عن التغريد. أما هنا وفي أرض فضاء فقد كان سكون مطبق .

استأثرت الغابة باغاريدها فلم تتعداها الأنغام إلى الحقل. فالأشجار أرخت أوراقها كرداء نسيج من آلاف الأوراق . وفي داخله كانت الأغاريد مخبأة مكنوزة ومحفوظة كشيء نفيس . وهنا في الحقل سكن كل شيء .

والحق أن هذا المكان لايخلو من الطيور . فطيور الغابة كالصافر والحسون وأبي زريق والوقواق وأبي الحناء لاتبقى أبداً في الغابة ،

(*) يوهانيس بوبروفيسكي Johannes Bobrowski ولد في مدينة تيلسيت عام ١٩١٧ وتوفي في برلين (ألمانيا الديمقراطية) عام ١٩٦٥ . شاعر وقاص وناقد وناشر . استدعي في عهد هتلر (١٩٣٧) إلى الخدمة الالزامية واتصل بحركة المقاومة المسيحية ضد الفاشية . في عام١٩٤٥ – ١٩٤٩وقع في الأسر الروسي . حصل على جوائز أدبية عديدة من مؤلفاته « عرس الفئران » وقصص أخرى (١٩٦٥) إلى جانب رواياته ودواوينه الشعرية العديدة .

لكنها تطير فوق الحقل . أما الآن فقد حطت كلها في الغابة بين الأشجار والشجيرات . ولاذت طيور الحقول كالسماناة والقبرة بالصمت والسكون مع أنها كانت ، بلاشك ، موجودة هنا في العراء .

كان الحر شديداً في العراء على حين كانت البرودة تسود الغابة . ووصلنا بالسيارة إلى الطريق الذي كان جزءٌ منه يؤدي إلى الغابة .

غابة جميلة ذات شجر سامق . شجر كثيف جداً ، الواحدة لصق الأخرى وتحتل مساحة كبيرة . ومع هذا كان ثمة مكان للشجيرات . كان الشجر يفيء بظله على الطريق . ومررنا به كأنما كنا نمر في واد عميق . كانت العصافير تغرد .

استلقينا فوق العربة المحملة بالحشيش إلى جانب العارضة الخشبية الملساء المقشرة التي ثبتت بالحبال على جانبي العربة لتحزم الحشيش . استلقينا على يمين العارضة وشمالها وغرقنا في الحشيش المحصود الذي فاحت منه روائح نبات الحقل والأزهار ورائحة العشب الحاد الأوراق .

ومن بعيد تعالى صوت الوقواق . لكنه كان نداءً واضحاً ورتيباً . وكان مر بعض الوقت قبل أن يخطر ببالنا بأن نحصي صيحاته . وعلى هذا بدأنا العد بالرقم سبع عشرة وتابعنا العد : ثماني عشرة ، تسع عشرة ، عشرون ، إحدى وعشرون حتى وصل الرقم إلى سبع وستين .

وما الشيء الذي ينبغي لنا أن ننتظره سبعاً وستين سنة ؟ هكذا يقول الناس. ربما كان علينا أن ننتظر حتى نكبر ونصير شباباً؟وضحك جدي الذي جلس في المقدمة ليقود الخيول ثم ضرب بيديه على جيب سرواله مع أنه

لم يكن يحمل فيه كيس نقود . لكن هذا كان أيضاً إحدى العادات التي تقول إن النقود لم تنفذ بعد .

كانت الطيور تغرد في الغابة ، على اليمين وعلى الشمال . غرد الحسون وغرد أبو زريق . ولكن كيف كان غناء الصافر ؟ وأصخنا السمع ملياً . كان يغرد تغريدة الوداع . إذ أنه سيرحل في القريب العاجل . سيرحل هذا الطائر الكرزي الذهبي ، كما كان الناس يسمونه هنا وهناك .

وأوصلنا الطريق إلى أرض فضاء ومررنا بحقول الشوفان والحنطة السوداء الطويلة . كانت الأحصنة تسير سيراً بطيئاً . ونخر الفرس الخصي نخرة واحدة وحرك أذنيه . وسمعنا صوت العجلات وهي تسير . لكنه كان صوتاً ضعيفاً . وماعدا هذا فقد كان كل شيء هادئاً ساكناً .

كان هذا آخر حمل من أحمال العربة . وبدا المرج خالياً بعد أن جمعنا عشبه وحشيشه وحملناه على العربة ثم عدنا أدراجنا إلى القرية . وفي البيت ستكون القهوة جاهزة بعد هذا كله . على أن الحر كان بعد في الحقول . وكان الهدوء عميقاً فتناهى الهدوء إلى أسماعنا طنيناً خافتاً متواصلا مع أنه كان غير مسموع . وإن لم يعد المرء يسمع شيئاً أبداً فإنه يظل يسمع شيئاً ما . ولكن أي شيء يسمع ، هذا مالا يستطيع أن يقوله . إنه يسمع وكفى .

تناولت عشبة من الأعشاب الدقيقة الرفيعة . ومن تحتنا كان صوت العجلات وهي تسير .

وفجأة جاء نا صوت . كان صوتاً حلوا لطيفاً . ولم يكن صوتاً

خافتاً كل الخفوت . ولكنه بدا وكأنه جاء من قلب السكون . وبرز الصوت كما يبرز رأس كلب البحر من الماء . وليس بغريب وعجيب أن يظهر كلب البحر فجأة وعلى نحو غير متوقع لأن الماء موطنه الطبيعي كان الصوت شبيهاً بنداء السماني في انتمائه إلى السكون وإلى عصر حار في أواخر حزيران .

وتناهى إلينا الصوت من حقول الحبوب نداء قصيراً يتردد صداه وكأنه كان يقول إنه سيطير ويرحل بعيداً . ولكن لحسن الحظ لن يهاجر السماني إلا في فصل الخريف ، ولا ضرورة إلى أن نقول له : أن ابق هنا . وربما كان لنداءه هذا المعنى أو لعله أراد أن يقول :شكراً جزيلا .

ولكن الأصح هو : احمدوا الله . فمائدتكم عامرة كمائدتنا . فالسماناة تعيش بين الحبوب . ولها فوق عينيها خطوط صفراء . وحين تجري يسهل عليها ذلك . فتضرب بجناحيها الطويلين المدببين كأنهما مجذافان وخلفها صغارها كأنها كريات ريشة مدورة سميكة . فتتبعها واحداً تلو الآخر على الطريق الضيق بين القصل الذي تشقه الأم برأسها الممدود إلى الأمام وتعبره برجليها النشيطتين وتوسعه بكامل ثقلها : فكل شيء يجري بسرعة .

ولكن لاتهربي الآن أيتها السماناة ، فلن يأتي أحد . لاتتوقفي عن التغريد . غنى لنا ، أيتها السماناة ، غني : سبحوا بحمد الله .

* * *

هيلدي دومين (*)

حكاية من جزيرة

عشت في جزيرة تميزت عن غيرها من الجزر التي تعرفونها . وعند العصر وفي تمام الساعه الخامسة كانت الببغاوات تطير فوق المنزل سحابة خضراء ، مثل الحمام ، لكنها خضراء . لم تكن تحوم حوماناً ، بل كانت تطير عابرة سبيل وتتحدث بعالي صوتها وبلغتها الخاصة . وأنتم تعرفون أننا لانستطيع أن نتعلم لغتها . أما هي فتستطيع أن تتعلم لغتنا .

جئت إلى الجزيرة فجأة . كانت طائرة صغيرة حطت على الماء أمام الجزيرة ، أي على البحر . وطبيعي أن ماء هذا البحر شديد الزرقة.

(*) هيلدي دومين Hilde Domin ولدت في مدينة كولونيا عام ١٩١٢ . تكتب في الشعر والقصة والصحافة . وتترجم من الاسبانية إلى الالمانية . عملت استاذة لتدريس اللغة الالمانية وادابها في سانّت ياغو(تشيلي) . وفي عام ١٩٥٤ عا ت الى وطنها ثم قامت برحلات عبر أوربا والولا يات المتحدة لتلقي في اثناء ذلك محاضرات في النقد . وتقيم منذ عام ١٩٦١ في مدينة هايدلبيرغ . فضلا على مؤلفاتها على صعيد الشعر والنثر لها كتاب مهم في النقد بعنوان : « لماذا الشعر في يومنا هذا »

أما أنا فكنت في الطائرة . وفتح الباب . وكان أمام الباب سلم خشبي. لوحان ودرابزين فكأنكم في زورق تجذيف .

وانبسطت أمام اللوحين الخشبيين أرض الجزيرة . ومن خلفي أقلعت الطائرة . وعندها لم يكن لي خيار . فالبقاء على السلم الخشبي مستحيل . وهكذا جئت إلى الجزيرة . ومرت سنوات ولم تحط طائرة حتى تقلني على ظهرها . وعلى هذا أقمت في الجزيرة .

وشعرت بالراحة أكثر مما شعر بها روبنسون ، إذ أن بشراً كانوا يعيشون هناك . وسأتحدث عنهم حالا .

كانت السماء بزرقتها الدائمة أجمل من الأشياء كلها . كانت زرقاء أبداً . إلا في الليل . لكن كل شيء كان في الليل في غاية من الصحو ذلك لأن القمر والنجوم كانت أكبر من حجمها الطبيعي . كان القمر يستلقي على ظهره كأنه في أرجوحة . وشتان مابينه وبين غيره من الأقمار .ـ كان في إمكان المرء أن يقرأ في ضوئه حين كان يكتمل وكان يجعل للأشجار ظلالا خفيفة أشد وضوحاً مما هي عندنا في يوم غائم.

ولما كانت السماء زرقاء أبداً وكان الجو حاراً جداً فلم يكن للبيوت نوافذ ، بل كان لها فرج نوافذ ، ليس غير ، أجل ، هذا مؤكد تماماً . ولم النوافذ مادامت السماء زرقاء دوماً وأبداً ومادام الجو شديد الحرارة . وعندما كانت السماء تمطر كانت تغلق ستور النوافذ . فكانت الغرفة تظلم كظلمتها في الليل عندما كانوا يغلقون ستور البيوت أيضاً . ولم يكن المطر ينزل هناك مدراراً . بل سرعان ماكانت الزرقة تعم الكون .

وإذا ما أمطرت السماء هناك يخلع الناس أحذيتهم،أي الفقراء من الناس . وهؤلاء كثيرون جداً . إذ أنهم لايملكون الا زوجاً من الأحذية .

ويحافظون عليه أكثر من حفاظهم على أقدامهم . وفي كثير من بقاع الدنيا يخلع الفقراء أحذيتهم لكي لايصيبها البلل حين تمطر السماء .

وللناس الذين يعيشون على الجزيرة أقدام سمراء مثلها مثل البن الممزوج بالحليب أو الشوكولاته . وبعضهم له أقدام سوداء . والناس عموماً ذوو بشرة سوداء . ويخال المرء أن هذا فارق كبير . وأنا أعرف بهذا من الجميع . إذ أنني جئت ذات مرة إلى أحد المستشفيات ، وكان ثمة ساق في صندوق : وكانت قطعت . والأطباء يقولون « مبتورة » . كانت ساقاً سوداء،فاحمة السواد . وكانت في الصندوق ولم أستطع أن أشيح النظر عنها ، مع أني لم أرغب في النظر إليها . وفي الموضع الذي قطعت فيه الساق بانت الساق من الداخل . لم تكن البشرة سوداء بأسمك من قشرة التفاح . وما كان تحتها كان أحمر مثله مثل أي ساق أخرى ومثل سيقانكم الحمراء من الداخل . وانتم ترون ذلك حين تسقطون أرضاً

وحين ذهبت إلى البيت ومررت بأشجار الموز ذات الأوراق السميكة بدا الموز شديد الخضرة وعلى شاكلة واحدة ، بل أكثر رتابة من التفاح . وهنا أقبلت علي قطة صغيرة كانت رائعة الجمال ومخططة . ولم يكن لها إلا أذن واحدة . ولم أر قط قطة ذات أذن واحدة . وفي وسعي أن أحكي لكم الكثير عن هذه القطة،إذ أننا صرنا صديقين،القطة ذات الأذن الواحدة وانا . على أن هذا لم يعد ممكناً الآن . إلا أن القطة لم تكن قطة بل كانت قطاً . وهذا ماأريد أن أقوله لكم أيضاً . ويرى المرء على الفور : ماهو القط : إن للهررة رؤوساً سميكة جداً .

إن كل ماأقصه على مسامعكم هو حقيقة ، وفي وسعكم أن تسألوا أياً كان :

– هل هو صحيح أن رؤوس القطاط أسمك من رؤوس القطات ؟

– وهل هو صحيح أن البشرة أرق من قشرة تفاح وأن الناس هناك تحت سواسية ؟

– وهل هو صحيح أن الفقراء يخافون على أحذيتهم أكثر مما يخافون على أقدامهم ؟

– وهل هو صحيح أن القمر يستلقي على الظهر في السماء الإستوائية وأن المرء يستطيع أن يقرأ هناك في الليل على ضوء القمر ؟

– وهل هو صحيح أن الببغاوات تستطيع أن تتعلم لغتنا . أما نحن فلا نستطيع أن نتعلم لغتها ؟

ومن يعرف القليل يعرف هذا كله أمّا إذا أردتم أن تعرفوا شيئاً عن الهر ذي الأذن الواحدة فعليكم أن تأتوا إليّ وحدي ذلك لأن الناس الذين رأوا في حياتهم قطاً ذا أذن واحدة هم قلة قليلة ، مع أن هناك جزيرة فيها هررة لا أذناب لها . وهذا أمر آخر . ويمكنكم أن تسألوا عنه أي شخص. كما أن الجزيرة هي غير الجزر الأخرى وهي قريبة منا إلى حد بعيد .

* * *

هاينز فون كرامر (*)

لاتينيه رواد الفضاء

حكايات من أماكن بعيدة

ماينبغي أن يعرفه كل مايدعي (كررك KrrrK) : فإذا ماكان اسم المرء كررك فبديهي أن شكله سيكون شبه كروي . وفي إمكانه أن ينفجر بقدر مايشاء كما لو كان حزمة من صواريخ ومفرقعات نارية ، لاغير . وحين يتفتت المرء تفتتاً كاملا ويدور في دوامة ويظل في حركة ناشطة مطردة عندها يستطيع أيضاً أن يستجمع بعضه ويستعيد تركيبه الأول

وإذا ماأراد الوقوف فإنه يسحب الأنبوب العادم ويطلق الصواريخ إلى الداخل فيدور المرء عندئذ حول نفسه بشدة ويتكون له بطن ، بل بطون كثيرة في كل مكان ويصبح في غاية من الضخامة . على أنه لايلبث أن يتضاءل ثم يتوقف عن الحركة ويهدأ في النهاية .

(*) هاينزفون كرامر Heinz Von Cramer ولد في مدينة شتيتين (Tsssst) عام ١٩٢٤ . قاص ومترجم وناقد وكاتب تمثيليات إذاعية. فضلا على أنه ليكتب الحوار للأوبرا . من مؤلفاته « حياة كما في الجنة »(١٩٦٤) .

ولا يعني هذا أن المرء يشع ويضيء . ولكنه يكاد يكون أقرب إلى ذلك بعض الشيء . ومع هذا فالمرء لايكون أبداً في الظلام. مع أن ليلا دامساً يسود كل مكان لاتصل إليه الشمس، بدءاً من القمرإلى المريخ و وسع المرء أن يغني قليلا . ولكن ليس لهذا رنين متميز . بل إنه لا يرن على الإطلاق . ليس له وقع البتة ، ذلك أنه ليس للمرء أذنان يستطيع أن يسمع بهما الغناء ، بل له اسلاك هوائية تلتقط خشخشة أو طقطقة أو صفيراً ، ليس غير . وأحياناً يكون الصوت حفيفاً أو همساً أو طنيناً،وهذا يعني أن ثمة خللا في الأسلاك الهوائية ولا بد من إصلاح العطل . أن مجرد التفكير بأن إصلاح العطل ضروري هو كاف لكي يصبح كل شيء طبيعياً من تلقاء ذاته .

ويكون المرء طيب المزاج على الدوام أو في أكثر الأحيان . ولا أحد يرى متى يكون المرء معكر المزاج ضيق الصدر . إذ كيف يمكن أن ينفجر المرء من الغضب حين لاينفجر إلا من أجل الإنفجار .

وإذا ماكان اسم المرء (كررررك) فلن يستطيع أن يقول إني أسكن على هذا الكوكب أو ذاك الكوكب . فالمرء لا يقيم هنا و لا هناك .بل يطوف مغامراً في أرجاء الدنيا و لايكفّ عن المغامرة بين الكواكب . فلا أحد يأمر الآخر بأن يفعل هذا أو يترك ذاك أو أن يبقى هنا أو أن يمتنع عن الذهاب إلى هناك أو أن يتفضل بالذهاب إلى مكان آخر . . . إن شيئاً كهذا قد يكون مزعجاً ، إلا أن الهوائيات لن تلتقطه ، لحسن الحظ ، ولن يصل إلى الأسماع .

ومع هذا فالمرء ليس وحيداً كل الوحدة : كما أن هذا لن يكون

بالأمر السديد والواضح أن للمرء صديقاً ، وأن من كان اسمه كرررك فلا بد أن يكون اسم هذا الصديق تسسست (Tssst) .

وهذا هو اسمه أيضاً .

الحكاية الأولى :

كرررك يلتقي إذاً بتسسست .

ويستطيع تسسست أن يضرب ضربات كهربائيه خفيفة . أما كرررك فلا يستطيع ذلك . لكنه يستطيع أن ينفجر في ألوان كثيرة مثله مثل أية ألعاب نارية حقيقية صحيحة . وهذا شيء لايستطيعه تسسست . وعلى هذا ينفجر كرررك فوراً في ألوان فاقعة زاهية حين حياه تسسست بتسديد ضربة . ويتفجر ، باديء ذي بدء ، إلى أشعة بيضاء دقيقة ثم يتبدد كل شعاع على نحو آخر : فبعضها يولد كمية من الكرات الخضراء التي سرعان ماتتبدد إلى غمامات ذات نقاط حمراء . وبعضها الآخر يستدير في دوائر حلزونية زرقاء وتيقوس شعاع ثالث ليصير قوساً فضياً كما يتحول شعاع رابع إلى شيء كالدائرة فيدور دوراناً سريعاً مكتسباً في أثناء ذلك ألوانا تكون تارة صفراء وتارة وردية وطوراً ليلكية . أما أجمل شيء يستطيع كرررك أن يقوم به فهو المطر الذهبي .

ولا يبتهج تسسست بذلك . ولهذا فإنه يوجه إلى نفسه ، في أثناء ذلك ، صدمات كهربائية ، ليس غير .

على أن كرررك يركب نفسه من جديد تركيباً مائلا بيضاوياً . ولا يلبث تسسست أن يتوقف عن تسديد الضربات .

ثم إن كليهما غير باد للعيان . على أن كل منهما يرى الآخر جيداً .

وفي الإمكان تسمية مافي حوزتهما عدسات ضوئية أو نظارات غارزة في اللحم أوفي مناظير . ولا شك في أن هذا كله يمكنهما من الرؤية البعيدة ، إن كان ثمة شيء للرؤية . على أنه ليس ثمة من شيء هو قريب أو بعيد أو تجدي ملاحظته .

إذاً فما عليهما إلا أن يتباريا بإطلاق النار .

ومن أجل ذلك يوجهان كل الأنابيب العادمة إلى الخلف ويقذفان من كل فتحة شيئاً يشبه الطلقات النارية الصغيرة .

وفي تلك اللحظة ينطلقان محدثين أزيزاً ؛ فالرصاصة على الرصاصة ، أو بالأحرى الرصاصة إلى جانب البيضة ؛ إذ أن كرررك لم يفلح بعد في أن يلملم أجزاءه ويركب بعضه ، كما ينبغي ، تركيباً سليماً .

إن رصاصاته هي رصاصات غير ناجحة إلى حد ما .

وعلى هذا يفوز تسسست في غير ما جهد .

وإذا ما أطلق كلاهما النار فجأة استطاعا أيضاً أن يتقدما إلى الأمام قفزاً وأن يدورا في أثناء ذلك حول بعضهماالبعض أو أن يدور كل منهما حول الآخر . ويحتمل أن تسمي كائنات أخرى غير كرررك وتسسست مثل هذا شقلبات !

حكاية أخرى تنشأ من الحكاية الأولى :

أخذ كرررك وتسسست يتحادثان .

ويئز كرررك : « TTTTTT أو أو أو أو أو » .

ويطلق تست صفيراً: « إي إي إي لمي إي إي إي أو إي إي إي إي . إي إي إي إي أو إي إي إي » .

ويبرق كررك : « إيه ، إيه ، إيه ، » . ويرسل تسسست : « أوه » . وفجأة تنقطع المكالمه .

إذ أن شيئاً ما ظهر ؛ إنه شيء غريب يسبح بالقرب منهما .

إن له فوق وفي أعلاه مايشبه الكرة . ويأتي بعد ذلك شيء طولاني وعرضاني له في بدايته نتوءات طولانية دقيقة كثيرة وله على كل جانب نتوء واحد وله في الأسفل نتوءان آخران ، لكنهما أطول من النتوئين العلويين وأضخم .

وكان في أعلى الكرة بعض الإنتفاخات الرفيعة والنتوءات المسطحة ولسوف يعتقد كررك أن هذه الكرة ليست أنجح من كرته ، وإن كانت أقرب بعض الشيء إلى الشكل البيضاوي .

وفي بعض الأحيان يحرك هذا الشيء نتوءاته الأربعة في آن واحد ، وطوراً لايحركها . وفي أكثر الأحيان يمد نتوئين إثنين إلى الأمام واثنين آخرين إلى الخلف فيبدو هذا الشيء شبيهاً بذنب نجم .

ومهما فعل هذا الشيء فإنه يبدو وكأنه لايتقدم إلى الأمام تقدماً سريعاً . أما كررك وتسسست فقد اعتادا على غير ذلك . ولئن كانا متفوقين بمهارتهما المتعددة الجوانب إلا أنهما ليسا بكفؤين لهذا الشيء . إذ أنّ المرء يستطيع عندئذ أن يكون أسرع الكرات وأكثرها تكوراً بين الكواكب السيارة والنجوم الثابتة بأسرها وما نفع هذا: فالمرء يحدق من خلال نظارة أو منظار ويرى ذلك من قرب أو من بعد ويوجه اسلاكه الهوائية كلها كما يفعل كلب بفروه ، ولكنه لم يصبح أكثر فطنة وذكاءً مما كان عليه من قبل ، هذا إن كان فطنا من قبل على الإطلاق .

على اننا نحن الذين لانمت بصلة إلى كليهما ، لاإلى كرررك ولا إلى تسسست قد أدركنا على فورنا ومن النظرة الأولى ما هذا الشيء وأنه ليس إلا سوبرمان نيمبوكيد الذي أعاد الكرة فطار في الفضاء من جديد ولبس لباس رواد الفضاء من قبعة ونسيج مسرود وسروال سباحة وحزام خفي ومعطف خفاشي الشكل .

الحكاية الثانية :

هل يمكن أن تملك كرة ما الشجاعة أو أن تخاف ؟

سيكون من الصعب أن يتبين ذلك من لم يكن قط كرة . وعلى أية حال فالحقيقة هي أن كرررك يقف على بعد محترساً يقظاً على حين يتوجه تسسست شطر الشيء الغريب ويسدد إليه قبل كل شيء بضع ضربات كهربائية :

ويصيح سوبرمان مذهولا : « أولب ! » وتتكرر العملية فيصيح غاضباً : « كاسب ! » ثم يضحك ضحكاً نصف مكبوت : « يـيه ! » كما لو كان يدغدغه أحد . ليس ثمة شيء يستطيع أن يراه هو بالذات . ثم إن تسسست يختفي عن الأنظار تماماً .

وما على كرررك إلا أن يقوم بشي ء في تلك اللحظة . ويصمم على أن يفرقع إحدى فرقعاته ، وهذا هو الشيء الوحيد الذي يقدر عليه . ويفرقع فرقعة واحدة . ولكنها ليست قريبة جداً من الشيء الغريب .

وطبيعي أن سوبرمان نيمبوكيد لايستطيع أن يرى كرررك على أنه كرررك . فهو لايرى إلا شرارات ونجوماً من كل الألوان . ويدهشه

أنه لم يعد يحس بشيء . والشائع هو أن المرء لايرى شرارات ونجوماً إلا حين يتلقى لكمة قوية في الذقن .

ويتخذ سوبرمان اجراءً وقائياً لكل الأحوال فيصرخ : « أو أو أو أوف ف ! » « فووومب !» .

ثم يتنهد بعدها : « أوخ ! » –

وربما كان لهذا معناه في لغة كررك وتسسست كأن يكون « رائع » و « جميل ! » و « تابع على هذا النحو ! » .

وعلى أية حال يتابع كلاهما عمله من غير كلل أو ملل . تسسست بصدماته الكهربائية وكرررك بفرقعاته الزاهية الألوان .

حكاية ثالثة تتضمنها الحكاية الثانية :

وسواءٌ أكان الإسم كرررك أم تسسست فإن شيئاً سيأتي الآن ولا يعرفه إلا من يروي هذه الحكاية !

الحق أن سوبرمان نيمبوكيد لايصرخ – ولن يصرخ – أبدا بل يبرق لاسلكياً إلى شخص يدعى فريدريش فيلهيلم بلاوشتيفت. ويجلس هذا الشخص في غرفته على كوكبنا الأرض إلى منضدته ويسجل كل مايبرقه إليه سوبرمان ويرسله إلى الصحف لتطبعه وتنشره حتى يطلع عليه الناس في أسرع وقت . ويدفعون له في كل مرة مبلغاً محترماً مقابل ذلك . إذ أنه ينبغي له أن يعيش كيفما كان وذلك حين يعكف ، يوماً بعد يوم وليلة بعد ليلة، على الكتابة وصياغة الرسائل من عالم الفضاء في صور . فلا أحد يستطيع أن يعيش من العدم إلا سوبرمان .

وعلى هذا يرسم السيد بلاوشتيف سوبرمان نيمبوكيد وهو يطير في الفضاء ويتوقف فجأء . ويرسم أمام فمه فقاعة هوائية كبيرة كتب داخلها بخط مرتعش : « أو أو أو أوف » فوومب » و « أوخ ! » .

وهذا يعني على حد قول بلاوشتيف أن كائنات أجنبية غريبة هاجمته منذ وقت قريب . إلى الآن مايزال مصدرها مجهولا ولابد من معرفة هوية هذه الكائنات . إذ أنها كائنات رهيبة تعيش على الكوكب السيار الذي يدعى مطفأة الحريق الطائرة . وهي في غاية من الخطورة وتتمتع بروح عدوانية شريرة . لا ، لا ، الحق أني أخطأت . فالأمر يتعلق بكائنات تعيش على الكوكب السيار (بالاس) ، رؤوسها رؤوس ضفادع . وأجسامها أجسام تماسيح وأرجلها قوائم فيل . ومع هذا تستطيع أن تطير طيراناً بارعاً .

ويرسم السيد بلاوشتيفت سوبرمان وقد تقدمه سكان الكويكب بالاس برؤوسهم الضفدعية وجسومهم التمساحية وارجلهم الفيلية . كما أن عيونهم كانت ترسل نظرات رهيبة قاتلة ؛ لكنها تصطدم بسوبرمان اصطداماً عنيفاً .

وفي أثناء ذلك تتابع أحداث القصة الثانية .

لقد ابتدع كل من كرررك وتسسست شيئاً جديداً . ويدور تسسست من أمام الشيء الغريب صعوداً ومن الخلف هبوطاً ؛ وعلى هذا تتطاير الشرارات الكهربائية . اما كرررك فيعرض ممرقعاته على مقربة من هذا الجسم الغريب .

ويبدو أن هذا الشيء الغريب ليس على جانب كبير من الخطورة .

وماهذا الشيء الغريب إلا سوبرمان نيمبوكيد . ومع أنه يكور قبضتيه الحديديتين اللتين يخشاهما العالم بأسرد ويخبط بهما خبطاً عنيفاً هنا وهناك وفي كل ناحية ، إلا أنه لايصيب أحداً البتة . وقد يخترق أيضاً المقذوفات النارية حتى لو توصل إلى الإمساك بها وهذامايؤسف له إذ أنه يتمتع بأعظم قوة . وبضربة واحدة يستطيع أن يقضي على فرس البحر فيسقط أرضاً ولا ينهض بعدها ويكتب له النصر بالضربة القاضية .

على أن هذا لايجديه نفعاً . وعلى الضد من ذلك فهو يتحرك حركة جد سريعة ويندفع إلى الأمام خبط عشواء . ويحتاج إلى بعض الوقت حتى يتوقف عن الدوران حول نفسه .

ويزعق في أثناء ذلك مراراً وتكراراً : « رررومبل ! رررومبل! » ويقول : « فرام ! » .

ويدمدم حين يتوقف عن الحركة : « غروان ! »

ويكرر متمتماً : « غروان ! »

وتستمر أحداث الحكاية الثالثة :

يفك السيد بلاوشتفيت على الأرض رموز البرقية على النحو التالي : استلمنا على التو برقيات لاسلكية وبفضل الذكاء الخارق تأتى لي أن أفك رموزها : ذلك أن سكان الكويكبات السيارة تخطط لهجوم على أبناء البشرية وسنعرف كيف نتدبر أمرها ونخبط خطتها . لابد من الإحتفاظ بالهدوء ؛ وليس ثمة مايدعو إلى الذعر والإضطراب .على أنه ينبغي اتخاذ تدابير احتياطية ، ثم الإنذار على مراحل وخطة دفاعية ......
ويرسم السيد بلاوشتيفيت سوبرمان نيمبوكيد . وهو محوط بسفن فضائية

ومن وراء زجاجها الشفاف تبرز رؤوس ضفدعية وتنظر بعبوس نظرات لاتشي بالخير .

وفي الوقت نفسه يرسم أمام فم سوبرمان فقاعات هواء كبيرة كتب في داخلها بوضووح وبأحرف عريضة « النجـــــــــــــدة ! »

عودة إلى الحكاية الثانية :

كرررك وتسسست يفقدان السيطرة على أنفسهما . فلم يسبق لهما قط أن تفرقعا كثيراً أوسدد أحدهما ضربات عديدة . كما أنهما لم يصادفا قط في أثناء مغامراتهما بين الكواكب السيارة لعبة جميلة مثيرة مثل هذا الشيء الغريب . وفضلا عن ذلك فهو على جانب كبير من الصبر والجلد ويستطيع المرء أن يبدأ معه كل شيء . ذلك لأنه لايزول ولا يتلاشى ولايهرب لكي يهيم في أرجاء السماء الأخرى .

ويظهر أنهما يجدان في ذلك دعابة ولهواً كبيرين . وعلى الضد من ذلك فإن سوبرمان أقل سروراً منهما. والحق أن الأمر ليس يهين عليه، هو المسكين . فهو يكاد يكون مقصراً في صرخات الغضب : « سبلاش ! » أو : « بفلوخ ! » أو : « كراش ! » .

أما الآن فإلى الحكاية الثالثة :

إن الرسالة التي تصل إلى بلاوشيتفت مماثلة وتقول :

إنني متورط في قتال عنيف ، ولا بد لي من الإختصار . . .

كما أن السيد بلاو شتيفت لم يعد يستطيع أن يتابع بانتباه . فلا أحد يستطيع أن يرسم بهذه السرعة . وعليه أن يأتي ببضعة أشخاص لكي يساعدوه في العمل . وبهذا يمكنهم أن يسجلوا في أوانه كل مايحدث في

أثناء المعارك والحروب من مكائد وحيل تدبرها وتستعملهارؤوس الضفادع الخبيثة الماكرة ؛ وفي إمكانهم أن يتتبعوا هجوم سوبرمان نيمبوكيد البطولي المعاكس وأن يصوروا الأسلحة الرهيبة التي يستخدمها سان الكويكب السيار ، فهي أحياناً شبيهة بالآلات الرافعة وأحياناً بالكماشات أو أجهزة العمليات الجراحية وأحياناً تشبه الرماح الجيدة القديمة المسمومة التي كانت تحملها قبائل الزنوج في إحدى مناطق افريقيا البدائية في الزمن الماضي . على حين يمكن أن يقوم هذا أيضاً على أخطاء وقع فيها سوبرمان سهواً وهو على عجلة في أثناء الإبراق . كما وقع في الأخطاء نفسها السادة الآخرون حين رسموها .

ثم إن السيد بلاوشتيفت لم يكن راغباً كل الرغبة في أن يستعين بالآخرين اذ أن عليه الآن أن يقاسمهم المال الذي سيؤول اليه . لكنه لايستطيع أن يفكر الآن بمثل ذلك . فلديه من العمل الكثير فهو يبعث بالصورة تلو الصورة إلى المجلا ت والصحف وذلك على جناح السرعة .

عودة أخرى إلى الحكاية الثانية :

تسسست يرسم نصف دائرة فوق الشيء الغريب . ويمر كررررك به من تحته مندفعاً في شكل قوس . ويصطدم سوبرمان بسسست : « بلام ! بلام ! » ثم تأتيه صدمة كهربائية من صدمات تسسست على الرأس فينقلب ويهوي كحجر .

فيعالجه كررررك بمفرقعاته النارية ويدغدغه عند أخمص القدم .

« سبلات ! »

ويصوب سوبرمان نيمبوكيد طلقاته إلى الأعلى فتنطلق كالسهم .

ويصطدم غير مرة بتسسست ويكتشف صدمته الكهربائية ويقفز على رأسه نحو الأسفل . حيث تتاقاه الألعاب النارية التي يقيمها كرررك بلا ملل أو كلل فترفعه مرة أخرى إلى فوق . ويتلقى صدمة كهربائية جديدة . « بلام ! » ويهوي سوبرمان (بقدر مايستطيع شخص أن يهوي في الفضاء) !

عودة إلى الحكاية الثالثة

تلقى السيد بلاوشتيفت برقية هذا نصها :

لقد أظهر سكان الكوكب السيار تفوقاً فوقعت أسيراً في أيديهم ونقلوني إلى الكوكب الواقع بين المريخ والمشتري على سفينة فضائية ضخمة فائقة السرعة . ولقد علمنا الساعة ببعض التفاصيل عن نوايا الكائنات الرهيبة الآثمة التي تنوي اجتثاث البشرية وتدمير الأرض . والهجوم على قاب قوسين أوأدنى لكنني . مع هذا . سأنتصر ، وإلا كان الأمر مسخرة .

ويرسم السيد بلاوشتيفت ومساعدوه بسرعة مدينة لم ترها عين انسان من قبل . كما يرسمون أيضاً مخابر ومعدات ومصانع وأبنية وآلات لاعهد لأحد بها . وصور سوبرمان مقيداً يهز قضبان قفصه المصنوعة من مادة مقاومة غير معروفة . وأمامه رؤوس الضفادع التي تكشر ساخرة مستهزئة وهي تميل بجسومها التمساحية من الفرح وتخبط بالارجل الفيلية على أرض كوكبية غريبة . ويتوسط هؤلاء زعيم رهيب يعلوهم كفنار ويرمي من حوله نظرات سامة من عينين كبيرتين أكبر من نور كاشف . وحين تصيب نظراته سطح الجدار تنساب عندها أفكاره الشريرة كأنها شريط فيرى المرء بيوتاً تحترق وبشراً يهربون

ومدناً تنهار . ويصدر أوامره وتعليماته عبر كل مكبرات الصوت لكي يعذبوا سوبرمان . ويرى المرء على شاشة السينما والتلفزيون كيف يسحب سوبرمان نيمبوكيد من القفص ثم يعذب . على أن المرء يرى أيضاً أن سوبرمان يقاوم كل اختبارات التمزيق والتحطيم على نحو لم يسبق لأحد أن قام بذلك . ومن ثم ينفض سوبرمان نيمبوكيد القيود العجيبة بمجهود عجيب وقوة خارقة .

ثم يريهم سوبرمان مافعل — وياللعجب !

وهنا يتوقف السيد بلاو شتيفت وزملاؤه طلباً للراحه والإفطار . فالليل مضى ، وهاهي الساعة تدق الثامنة صباحاً .

عودة أخرى إلى الحكاية الثانية :

لقد نفذ صبر سوبرمان !

فينزع القناع الأسود عن الوجه ويخلع المعطف الخفاشي وينقض إنقضاضاً سريعاً لكي يهاجم .

والحق أنه لصعب . إن لم يكن مستحيلا . تحديد هدف في الفضاء ، لكن سوبرمان قادر على ذلك !

إذاً ، عند تحديد الهدف يتناول مسدسه العظيم من الحزام السري ، ثم يصوبه بدقة لا مثيل لها فينشر أشعة مميتة لانظير لها هنا وهناك وفي كل مكان . وطبيعي أنه في مكان فارغ كهذا المكان لايمكن أن يكون هناك إلا الفراغ . وعلى هذا يخطيء سوبرمان الهدف ، فلا يصيب شيئاً البتة . والحق أنه كان من المفروض أن يصيب شيئاً ما ، كأن يصيب مثلا كرررك . لاسيما إذا كان التسديد في الإتجاهات كلها .

وإنه ليصيبه أيضاً .

وسرعان مايطير كررررك هباء دون أن تكون هناك ضرورة إلى الفرقعة في هذه المرة . لكنه يستطيع أن يركب بعضه بعضاً على الدوام كما يشاء . وبهذا يكون الحظ حليفه .

وتبدو الأمور لدى تسسست أسوأ بكثير . فهو يستطيع أن يكون بمنجى من خط النار . وعلى هذا لم يصب بإصابة واحدة . وإنه لعمل رائع حين تطلق النار في كل مكان وأن تكون عندئذ في كل مكان ليس فيه إطلاق نار .

« — طاق ! »   « — طاق ! »   « — طيق . طاق ! »

ثم يتوقف إطلاق النيران .

الحكاية الثالثة مرة أخرى :

إما أن السيد بلاوشتيفت لم يعد يتلقى أية برقية أو أنه أساء فهم البرقية الأخيرة .

فهو وأصحابه يرسمون سوبرمان نيمبوكيد وهو يحاول أن يقضي على سكان الكويكبات السيارة بسلاسل ذات كلاليب . ويبدأ بزعيمهم قبل كل شيء . ثم يأتي إلى الآخرين ، الواحد بعد الآخر ، كل حسب مرتبته . فينال كل منهم نصيبه . فالبعض يتأوه وتخرج تأوهاته في شكل فقاعات هوائية . أما الفقاعات الأخرى التي كانت انفصلت عن الأجسام وراحت تتأرجح في الهواء فإنها لاتزال تنوح وتولول طالبة « الرحمة » من غير طائل . وأخيراً يموتون جميعاً ويتكومون فوق بعضهم أكداساً أكداساً . وتنجو الأرض ومن عليها مرة أخرى . وفي النهاية

يلعمر سوبرمان نيمبوكيد الكوكب (بالاس) . وفي وسع السيد بلاوشتيفت وصحبه أن يكونوا سعداء .

فالعمل انتهى الآن .

وما عليهم إلا أن يبعثوا بآخر صورة إلى المجلة . ومن حقهم أن يذهبوا بعد ذلك إلى الصندوق لكي يستلموا المكافأة .

أما التعيس الحظ فهو السيد بلاو شيتميت وحده . إذ أنه سيأخذ معه كل هذا العدد من المرافقين .

فما الذي يدفع كل من كان اسمه كرررك لكي يتخلى عن الحكاية الرابعة والخامسة والسادسة .

وهنا يبقى السؤال عما إذا كانت الكرات تبعث على السأم والملل. ويبدو الأمر هكذا .

ومن الجائز أنهم ملوا هذا اللعب شيئاً فشيئاً وعلى أية حال فقد رحل كلاهما منذ زمن طويل وراحا يدوران هنا وهناك في أرجاء الكواكب السيارة الأخرى .

وسوبرمان هو في الحقيقة وحيد تماماً .

فهو يسبح في الجو ويتعجب .

فلو لم يكن بصره ضعيفاً ولو استطاع أن يرى شيئاً غير مرئي لاكتشف عن مسافة بعيدة ، متناهية في البعد . ألعاباً نارية ملونة خفيفة ولاكتشف شرراً وبروقاً تنشأ غالباً من صدمات كهربائية .

ولما كان لايراها ولا يستطيع أن يسبح رأساً وبصورة دائمة ، لذا

فإنه يطير ، رغما عن أنفه ، رأساً نحوها . وعلى هذا يكون قد قام بالمغامرة الثانية .

وفي هذه المرة ، فإنهما كليهما سيغتاظان على الأرجح بعض الشيء ذلك بأن هذا الشيء الحامل السخين يقترب من اسلاكهما الهوائية من جديد.

ويخشى أن يلعبا معه الآن لعباً يكون أسوأ مما كان عليه في المرة الأولى . إذاً ، فلو كان المرء كرررك أو تسسست على الأقل لعرف كيف ستأخذ الأمور مجراها . . . .

أجل ، كم هو جميل لو كان المرء كرررك !

* * *

فولف بيرمان (*)

حكاية السيّد موريس القصير الذي أصيب بالصلع

كان في قديم الزمان رجل قصير القامة تقدمت به السن وكان اسمه موريس وكان له حذاء كبير جداً ومعطف أسود ومظلة طويلة سوداء . وكثيراً ماكان يخرج إلى النزهه بهذه الأشياء .

وجاء الشتاء الطويل وكان أطول شتاء مر على مدينة برلين . عدئذ حنق الناس شيئاً فشيئاً .

سبّ سائقو السيارات لأن الطرق كانت زلقة جداً فانزلقت السيارات وسبّ شرطة المرور لأنه كان عليهم أن يلزموا أماكنهم أبداً في الطرقات الباردة . وسبت البائعات لأن البرودة في حوانيتهن كانت شديدة جداً . وسبّ عمال نقل القمامة لأن الثلج لم يذب برمته . وسبّ

(*) فولف بيرمان Wolf Biermann ولد في مدينة هامبورغ عام ١٩٣٦ ويعيش في ألمانيا الديمقراطية . ومن الشعراء البارزين الذين جددوا أغنية الطفل والجنود .

بائع الحليب لأن الحليب تجمد في الأسقية والأواني وسبّ الأطفال لأن آذانهم إزرقت من البرد . وتوقفت الكلاب عن النباح لأن البرد غاظها فارتعشت من البرد واصطكت اسنانها فبدا هذا أيضاً بغيضاً ومغيظاً جداً.

وفي يوم من الأيام المثلجة الباردة خرج السيد موريس إلى النزهة لابساً قبعته الزرقاء . وقال في ذات نفسه : « بئس هؤلاء الناس كلهم . آن للصيف أن يأتي وللزهور أن تتفتح » .

ومر بين الناس الشاتمين ودخل صالة البيع . وفي أقل من لمح البصر نبتت زهور كثيرة من مثل الزعفران والزنبق والخزامى والمضعف والورد والقرنفل . ولكنه لم يفطن إلى ذلك في بادىء الأمر . على أن قبعته كانت قد ارتفعت عن رأسه لأن الأزهار كانت تكثر وتطول . وفجأة وقفت أمامه إمرأة وقالت : « ياسبحان الله . ماأجمل هذا الزهر الذي في رأسك ! »

وقال السيد موريس : « ماذا ؟ زهور في رأسي ! هذا محال ! »

— نعم ! انظر في واجهة الحانوت الزجاجية . يمكنك أن ترى صورتك فيها . هل تسمح لي أن أقطف زهرة واحدة ؟

ونظر السيد موريس إلى الصورة التي عكستها واجهة الحانوت فرأى أن زهوراً قد نبتت حقاً في رأسه وكانت متعددة الألوان والأشكال.

وقال : « تفضلي واقطفي زهرة واحدة إن شئت » .

قالت السيدة : « أريد وردة صغيرة » . ثم قطفت وردة واحدة .

وقالت فتاة صغيرة : « أما أنا فأريد قرنفلة لأمي » . وانحنى السيد موريس لكي تستطيع أن تصل بيدها إلى أعلى الرأس .

ولكن لم يكن ضرورياً الإنحناء كثيراً لأنه كان أقصر من الرجال الآخرين بقليل . وجاء ناس كثيرون وقطفوا زهوراً من على رأس السيد موريس . لم يكن هذا ليؤلمه . على أن الزهور سرعان ماكانت تنمو من جديد . وكان يشعر بحكة في الرأس كما لو أن شخصاً ما يدغدغه بلطف . وكان السيد موريس سعيداً إذ أنه استطاع أن يهب الناس وروداً في قلب الشتاء . وتقاطر إليه الناس وتجمعوا وضحكوا وأخذهم العجب وقطفوا الزهور من على رأس السيد موريس الصغير . ومامن أحد كان حصل زهرة وتفوه في ذلك اليوم بكلمة نابية بغيضة .

ثم جاء الشرطي ما كس هونكل فجأة . كان يعمل منذ عشر سنوات شرطياً في صالة البيع . لكنه لم يشهد قط شيئاً من هذا القبيل ! رجل على رأسه زهور ! وشق الصفوف وسط الجموع الغفيرة الصاخبة . وحين وقف وجهاً لوجه أمام السيد موريس القصير صرخ قائلا : « أرني ، من فضلك . بطاقتك الشخصية ! »

وبحث السيد موريس القصير القامة وجدّ في البحث ثم قال يائساً : « الحق أني أحملها دائماً في جيبي . ولقد كانت في جيبي منذ قليل !

وكلما جدّ في البحث نقصت الزهور من على رأسه .

وقال الشرطي : آها ، عندك زهور في الرأس . ولكن ليس معك بطاقة شخصية في الجيب !

وبحث السيد موريس القصير بمزيد من القلق عن بطاقته الشخصية واحمر وجهه من الحيرة والإرتباك .

وبحث عنها في حشوة السترة . وفي أثناء ذلك كانت الزهور تتساقط

حتى استقرت القبعة على الرأس . وفي غمرة يأسه رفع السيد موريس قبعته. فابصر ماذا كان هناك ! كانت البطاقة الشخصية تحت القبعة ضمن غلاف مطاطي مهترىء . ولكن ماذا بعد هذا ؟ كان الشعر زال كله . لم يكن هناك أي أثر لأية شعرة في رأس السيد موريس القصير . ومسح موريس رأسه في حيرة ثم وضع القبعة في عجل .

وقال الشرطي ماكس هونكل في لطف : « حسن . هاهي ذي البطاقة . أما الزهور فلم يعد لها وجود في الرأس فكيف ؟ »

قال السيد موريس : « كلا . . . » ودس بطاقته في جيبه على عجل ومضى إلى البيت في أسرع مايستطيع المرء أن يمشي على طرق زلقة . ووقف في البيت أمام المرآة وقال في ذات نفسه : « الآن صرت ذا صلعة ياسيد موريس ! »

* * *

بيتربيكسيل (*)

المنضدة منضدة

سأحكي لكم عن رجل عجوز لم يعد يتفوه بكلمة . وللرجل وجه متعب . هو متعب جداً حتى يبتسم ومتعب جدا حتى يحنق . ويسكن في مدينة صغيرة ، في نهاية الطريق ، وعند مفترق الطرق . ولا طائل في وصفه ، إذ يكاد لايميزه شيء من الآخرين . فهو يضع قبعة رمادية على الرأس ويلبس سروالا رمادياً وسترة رمادية اللون . وفي الشتاء يلبس المطعف الرمادي اللون الطويل . وهو دقيق الرقبة . وبشرة الرقبة يابسة متغضنة وياقات القمصان البيضاء جدّ واسعة عليه .

وتقع غرفته في أعلى طابق من المنزل . وربما كان متزوجاً وكان له أطفال ، وربما سكن ، فيما مضى ، في مدينة أخرى . ومن المؤكد أنه كان يوماً ما طفلا . لكن هذا كان في زمن كان الأطفال يلبسون فيه مثل الناس البالغين . وهذا مايراه المرء في مجموعة صور جدته .

(*) بيتربيكسيل Peter Bichsel قاص وشاعر (سويسري) ولد عام ١٩٣٥ وحاز على جوائز أدبية عديدة فمجموزعته « قصص الأطفال » (١٩٦٥) انجاز كبير بلغة كبير بلغة شعرية سهلة تصف الأشياء البسيطة في الحياة .

وتحتوي غرفته على كرسيين ومنضدة وسجادة وسرير وخزانة . وكان هناك منبه على منضدة صغيرة ، وإلى جانبه جرائد قديمة ومجموعة الصور ، وكان على الحائط مرآة وصورة .

كان الرجل العجوز يتنزّه في الصباح وفي العصر ويتبادل بضع كلمات مع جاره . وفي المساء كان يجلس إلى منضدته .

لم يتغير أي شيء أبداً . وفي أيام الآحاد أيضاً كان كل شيء يجري على وتيرة واحدة .

وحين كان الرجل يجلس إلى منضدته كان يسمع دقات المنبه ، وليس غير دقات المنبه الدائمة .

وحدث أن جاء يوم لم يكن كبقية الأيام . يوم مشمس دافيء لم يخل من زقزقات العصافير ومن الناس اللطفاء والأطفال الذين كانوا يلعبون . والغرابة في الأمر أن هذا كله حاز فجأة على إعجاب الرجل وابتسم .

وخطر بباله : « سيتبدل كل شيء » .

وفتح زر القميص العلوي وأمسك بالقبعة وحث الخطى وكان يثني ركبتيه قليلا في أثناء المشيء وكان مسروراً . وبلغ شارعه وحيا الأطفال ومر من أمام المنزل الذي تقع حجرته فيه وصعد السلم وتناول المفاتيح من جيبه وأطربه صوت خشخشتها ثم فتح باب غرفته .

ولكنه وجد الغرفه . كعهده بها . لم يتغير فيها شيء : هناك المنضدة والكرسيان والسرير . وحين قعد على السرير لم يسمع إلا دقات الساعة الكبيرة . فتلاشى كل السرور . إذ لم يتغير أي شيء على الإطلاق .

وتملك الرجل غضب شديد .

ونظر في المرآة . كان محتقن الوجه . ورأى كيف كان يزرّ عينيه . ثم تكورت يداه إلى قبضات رفعها وهوى بها على صفحة المنضدة . ضرب الضربة الأولى ثم ثناها وأخذ يضرب وهويضرب مؤكداً أن « كل شيء يجب أن يتغير . يجب أن يتبدل كل شيء . »

وتعالت ضربات كفيه على دقات الساعة .

ثم بدأ يشعر بالألم في يديه واختفى صوته . ثم صارت دقات الساعة مسموعة من جديد . لم يتغير أيّ شيء .

قال الرجل : « إنها دائماً المنضدة نفسها والكراسي نفسها والسرير والصورة . وأقول للمنضدة منضدة وللصورة صورة ، ويدعى السرير سريراً ، ويسمي الناس الكرسي كرسياً . فلماذا إذاً ؟ » ويسمي الفرنسيون السرير « li » ويقولون للمنضدة « tabl » ويسمون الصورة « tablo » والكرسي « schas » ويفهمون بعضهم . كما أن الصينيين يفهمون بعضهم أيضاً . . .

وقال الرجل في ذات نفسه : « لماذا لايسمى السرير صورة » .

وابتسم ثم ضحك بعدئذ وضحك حتى أخذ الجيران ينقرون على الحائط ويطالبون بالهدوء .

وصاح الرجل : « الآن سيتغيّر كل شيء »، ومنذ تلك اللحظة قال عن السرير إنه « صورة » .

وقال : « إني تعب وأريد أن آوي إلى الصورة » . وفي الصباح ظل مستلقياً في الصورة إلى وقت طويل وفكر بالإسم الذي أراد أن يسمي به الكرسي ،وسمّى الكرسي «منبها » .

وعلى هذا نهض وارتدى ثيابه وجلس على المنبه واسند ذراعيه إلى المنضدة . ولكن إسم المنضدة لم يلبث أن تغير فاصبح الآن سجادة . وفي الصباح غادر الرجل الصورة ولبس ثيابه وجلس إلى السجادة على المنبه وفكر بمن يستطيع أن يقول له إنه سمى :

السرير صورة
والمنضدة سجادة
والكرسي منبهاً
والجريدة سريراً
والمرآة كرسياً
والمنبه مجموعة صور
والخزانة جريدة
والسجادة خزانة
والصورة منضدة
ومجموعة الصور مرآة

إذاً : في الصباح بقي الرجل طويلا في الصورة .وفي التاسعة رن البوم الصور . ونهض الرجل ووقف على الخزانة لكي لاتنتقل البرودة إلى قدميه وتناول ثيابه من الجريدة وارتداها ونظر في الكرسي على الحائط ثم جلس فوق المنبه على السجادة وتصفح المرآة حتى وجد منضدة أمه .

لعلكم تجدون هذا شيئاً مسلياً ومضحكاً . حتى إن الرجل وجد الأمر

جدّ مسلٍّ ومضحك . فأخذ يتمرن طوال اليوم على حفظ الكلمات الجديدة .

لقد تغيرت الأسماء كلها : فلم يعد الرجل الآن رجلا ، بل صار قدماً وصارت القدم صباحاً والصباح رجلا .

وإذا ماسركم هذا ففي إمكانكم أن تستمروا في كتابة الحكاية . وتستطيعون بعد ذلك أن تستبدلوا الكلمات الأخرى كما فعل الرجل وأن تسموا :

الرنين وضعاً
والتجمد رؤية
والإستلقاء رنيناً
والوضع تقليباً .

بحيث يقال إن القدم العجوز ظلت ترن عند الرجل في الصورة وقتاً طويلا . وفي التاسعة وضعت القدم مجموعة الصور وتجمدت وتقلبت على الخزانة لكي لاترى الصباح .

واشترى الرجل العجوز دفاتر زرقاء وملأها بالكلمات الجديدة فشغله ذلك طوال الوقت ولم يره الناس في الشارع إلا نادراً . ثم تعلم الأسماء الجديدة للأشياء كلها ونسي في أثناء ذلك التسميات الصحيحه أكثر وأكثر . لقد أصبح له الآن لغة جديدة لايشاركه فيها أحد . وكان يحلم من حين إلى حين باللغة الجديدة . ثم ترجم أغانيه من أيام المدرسة إلى لغته الجديدة وكان يدندن بها بصوت خافت . وسرعان ماوجد صعوبة في الترجمة . لقد كاد أن ينسى لغته القديمة . وكان عليه أن يبحث

عن الكلمات الصحيحة في دفاتره الزرقاء . وخاف أن يتحدث مع الناس لقد كان عليه أن يفكّر طويلا بالأسماء التي يطلقونها على الأشياء . فالناس يسمون :

صورته سريراً

وسجادته منضدة

وساعته الكبيرة كرسياً

وسريره جريدة

وكرسيه مرآة

ومجموعه صورة منبهاً

وجريدته خزانة

وخزانته سجادة

ومنضدته صورة

ومرآته مجموعة صور

وبلغت به الحال أنه لم يملك الآن إلا أن يضحك حين كان يسمع الناس يتكلمون .

كان عليه أن يضحك حين كان يسمع متحدثاً يقول : « هل ستذهب غداً إلى مباراة كرة القدم ؟ » أو حين كان أحدهم يقول : « مازال المطر يهطل منذ شهرين كاملين » . أو حين كان يقول : « لي عم في أمريكا » .

كان لايملك إلا الضحك لأنه لم يفهم شيئاً من هذا كله .

لكن القصة ليست قصة مسلية وليست نادرة من النوادر . بدأت بدايه محزنه . وهاهي تنتهي نهاية محزنة .

لم يستطع الرجل العجوز ذو المطعف الرمادي أن يفهم الناس أبداً . ولم يكن هذا بذي قيمة .

والأسوأ من هذا هو أن الناس لم يستطيعوا أن يفهموه أبداً . وعلى هذا لم ينطق بكلمة .

لقد صمت ، ولم يتكلم إلا بينه وبين نفسه .

حتّى التحية اختفت من عالم الرجل العجوز .

* * *

غونتر زويرين (*)

هيا بنا إلى اليكس جرولا

كان (جرولا) منقبض النفس . فالطقس في أيار لما يدفأ بعد . وعلى هذا لم يستطع أن يمشي مرفوع الرأس . فلو أن ريحاً منعشة هبت لأثلجت صدرد .

وقال في ذات نفسه : إن نسيماً ناعماً لشاربي حق لي .

وكان اجتاز الشتاء بنجاح . ففي ذات مرة كان رقيب الشرطة أطلق سراح كلبه البوليسي في الحديقة إالعامة إلى وقت قصير . فما كان من جرولا إلا أن رمى له عوداً في الهواء فالتقطه الكلب البوليسي وأحضره إليه .

(*) غونتر زويرين Gunter Seuren ولد في مدينة فيكرات بالراين الأسفل عام ١٩٣٢ . وبعد حصوله على الثانوية عمل في الصحف ولا يزال يعمل إلى الآن محرراً في صحيفة « المجلة الألمانية – دويتشه شايتونغ » . يكتب في الرواية والقصة والشعر وله مسرحيات إذاعية مسموعة ومرئية من مؤلفاته : « عيد أكلة اللحوم مجموعة قصصية » (١٩٦٨) « ومعزف شتائي لكلاب » – مجموعة شعرية » (١٩٦١) .

لقد دس أنفه في المرج الذي كساه الثلج بطبقة رقيقة . وحين عاد جرياً استطاع جرولا أن يسمع طقطقة العود بين فكيه .

ولم يكن لدى جرولا متسع من الوقت لكي يرمي عوداً آخر . كان قد رفع العود عالياً وهم بأن يرميه إلى أبعد مما رمى في المرة الأولى ،

عندها قال رقيب الشرطة : « هيا بنا » ! وترك الكلب العود الأول وألقى جرولا العود الثاني أرضاً . وعلى هذا ، وبعد صدور هذا الأمر الرسمي ، واصل جرولا سيره في الإتجاه المعاكس . وقال في ذات نفسه : على أية حال فهو كلب لطيف .

وفي أيام أخرى وقف جرولا على التلة وأصلح الزلاقتين المخربتين . لقد تعثر بهما للمرة الثانية مما جعله يعرج على قدمين باردتين . وكان لا بد له من القول فيما بعد إن الشتاء ليثير . كان يشعر بالضجر كلما سار ووجد أنه لم يحدث أي شيء بين الشتاء والصيف . عندها لم يكن يعجبه آذار ولا نيسان ولا أيار .

وقال في ذات نفسه : في الشتاء يخرج جرولا إلى الهواء الطلق فهو في كل مكان . ويظهر هنا وهناك وفي شتى أحياء المدينة رجلا على ساقين قصيرتين . فهو لم يعد أسرع آل جرولا ولم يعد أسعدهم ولا أفضلهم . وحين يكون في الطريق فإنه يفعل مايخطر بباله في اللحظة نفسها : كأن يقرأ الأسماء على لوحات الأبواب الغريبة من تحت إلى فوق ومن فوق إلى تحت ، كما يخطر ببال أليكس جرولا أو كأن يتفقد واجهات حوانيت الخزف وينعم النظر في النسر الخزفي الكبير والفتاة الخزفية الطويلة الشعر الواقفة على الكرة الذهبية والتي تذكره بإيفلين الفارسة البهلوانية المشهورة التي ماتت منذ زمن طويل .

وفي الشتاء يقف على ضفاف النهر العريض ويصغي إلى سمك الموس وإلى خشخشته وطقطقته . وحين كان ينسى نفسه كان السمك يستحيل إلى جبال جليدية وحيدة مهيبة ذات قمم وذرى رائعة فكان يرغب في أن يقف على إحدى القطع الجليدية الكبيرة ويمر بالمدينة . ويتخيل الناس وقد خرجوا يتنزهون على الضفاف وينحنون فوق الدرابزين الحجري ويشيرون بسباباتهم إلى جرولا الذي يقف على الجبل الجليدي مرفوع الرأس ثابت القدم . ويتصور أن الصحف ستكتب عنه في اليوم التالي بأن رجلا تكتفه الأسرار يسير على جبل جليدي في عرض النهر ؛ وهذا شيء لم يحدث قط على نهرنا . ولقد شوهد بالمناظير وهو يبتسم فرحاً مسروراً . ولم تتمكن الشرطة من أن تتبعه بسبب حركة الجليد الشديد مع التيار .

وحين يفكر جرولا في مثل هذه الأفكار يشعر بالسعادة وسط الأشياء والكائنات . ويعتقد عندئذ أن هذه الأشياء وهذه الكائنات لم توجد إلا من أجله . ويستطيع أن يتوقف فجأة عند غطاء أحد المجاري وأن يبعث بإحدى أفكاره من خلال إحدى الفتحات إلى عالم المدينةالسفلي .

ويتصور جرولا أن مثل هذه اللحظة بضع أوراق بنكنوت سابحة تحت في هذا العالم السفلي. ويجب أن يحدث مثل هذا . كما تكتب الصحف

ويخال جرولا أن الأوراق النقدية هذه قد سقطت من أحد سارقي المصارف وكان أراد أن يخبئها في شبكة المجاري . فترة طويلة من الزمن .

فما هو موجود تحت غطاء المجاري يرعب جرولا رعباً شديداً .

ويقول في ذات نفسه :على أية حال فالمال عاد ، وإنه لمجرى كريم . . .

ويمضي جرولا في حال سبيله تحت سماء أيار الغائمة ويقف عند أحد أعمدة الإعلانات ويتصفح إعلانات دور السينما ويقرأ : « مصاص الدماء يأتي كل ليلة » .

ويتساءل جرولا : ترى من يكون مصاص الدماء هذا ؟ فإذا جاء كل ليلة فلن يكون في إمكانه الرقاد أبداً . وإذا لم يتمكن من الإخلاد إلى النوم فستكون حياته شاقة ، ولا ريب .

وإذا ما كانت حياته شاقة فإنه يهيم على وجهه قلقاً جزعاً . ويظن أليكس جرولا أن مصاص الدماء يمشي مثله على الجانب الآخر من الطريق بوجه شاحب . كما يتمنى أيضاً أن ترتفع درجة الحرارة في القريب العاجل . ويقول جرولا في ذات نفسه إن الصيف أيضاً هو فصل مثير كل الإثارة . وما يسر جرولا وفامبير و (مصاص الدماء) في فصل الصيف هو الحياة العامرة ، فالنسيم اللطيف يداعب رأسيهما والكلاب تلتقط الذباب في الهواء وساعي البريد لايبرد ، وفي المهرجان الشعبي لابد من إصابة القلب الأحمر ثلاث مرات إصابة تامة حتى يحصل المرء على مصباح زيتي مصنوع في هونغ كونغ ، فضلا عن الضوضاء في حجرة الملاكمة وضربات المطرقة في لعبة اختبار القوة ، ثم الطنين الذي يصيب الأذن من الطلقات النارية وصواريخ القمر وأزيز آلات الجليد والتأوه والأنين على درب الأشباح .

ويخال جرولا أن هذا كله شيء مناسب لفامبيرو (مصاص الدماء) ويغفل عن السطر السفلي المطبوع بحروف دقيقة على الإعلان السينمائي الذي يبين من هو فامبير و هذا وأنه « ملك الهولة » .

ويمر جرولا بالحديقة العامة ويرى أنه لابد من حدوث شيء ما .

هل ينبغي أن يغني ؟ وماذا يغني ؟ وكيف يجب أن يكون صوته في أثناء الغناء ؟

لمّا هجم الغاب
راح يحفر . . .
حفر في أعماق الجبل
عن كنز من دون كلل

واصل يا جرولا ! إياك والمراوحة في مكانك ! هل نسيت كل شيء ؟ ويضرب جرولا على رأسه بقبضة يده . ذلك لأن الطقس الذي لم يكن بارداً ولا حاراً جعله يتعب وينسى .

وقال في ذات نفسه وهو ينظر إلى رأس حذائه إنه لم يوفق اليوم إلا إلى الأغاني الناقصة .

ازداد غيظاً وهو يحفر
وينقب في الأعماق !
« ستكون لي وحدي أنا ،
ستكون لي وحدي أنـا ! »
فإذا الصخر والحجر
ينهار فوق الأحمق
فلتضحك في سخرية واستهزاء . . .

واصل ياجرولا ! فالأغنية لم تنته بعد .

ويقول جرولا بصوت عال وهو في الحديقة العامة إن الأغنية انتهت

بالنسبة لي حتى لو كان لايزال هناك ثلاثة أو أربعة أسطر .لقد نسيتها ولا أريد أن أعرف شيئاً بعد ذلك . حجارة وانقاض سقطت وطمرت تحتها المنقّب عن الكنز ، وبهذا تكون نهاية الأغنية . ويسود سكون مطلق بعد عملية التصدع والإنهيار . هدوء مطبق .

لكن الهزء ، يا جرولا ، لا بد أنه آت . إنها أغنية بغيضة سيئة . ويقول جرولا في ذات نفسه : كلا ، إنها أغنية جميلة . لقد انهار الجبل على الرجل البائس المسكين . إنها أغنية جميلة محزنة .

لقد كان شهر أيار المكفهر السبب في أن جرولا كان مضطراً إلى أن يغني مثل هذه الأغاني ويرددها في أعماقه ، إذ أنه لم يكن يغنيها بصوت عالٍ : كان ثمة ناس في الطريق ولربما ارتابوا في سلامة عقله لو أنه غنى أغنية أيارية كهذه .

ويمر بالتمثال المنتصب في الحديقة العامة . وبجانب الأسد الرابض يضطجع المحارب الذي يحتضر . لقد أصابته الرصاصة في الصدر . وكما يقول الناس حين يلقون خطبهم عن المجد والموت فإن البطل ينظر في اللحظة الأخيرة نظرة شزر إلى ورق الشجر . ويمقت جرولا مثل هذه النظرات التي تصدر عن أبطال مصنوعين من حجر . ويكره المقاتلين المصنوعين من الحجر ، لاسيما حين يسقطون فوق حزمة من الرايات والأعلام وحين ينبغي لأسد من حجر أن يسندهم من ظهورهم . ولا شيء يعجب جرولا إلا الأسد . فهو ينظر إلى الأمام وما يكترث بالبطل الممدد إلى جانبه .

ويحدث جرولا نفسه قائلا : هيا انزل إلى تحت ، هيا اهبط إلى

تحت لكي يحدث شيئاً ما هذا اليوم . أو هل ينبغي لي أن أجلس متهالكاً على المقعد المجاور وتأخذني سنة من النوم كرجل شريد لابيت له ؟

ويقف مغمض العينين أمام الأسد الحجري ويتخيل الأسد وهو يترك البطل يسقط ويثب من على قاعدة التمثال وثبة لاعناء فيها ولامشقة . ويخطر ببال جرولا أن من حقه أن يتمشى على رجليه قليلا . ويقول لنفسه : ها أنت الآن تجثم في مكانك مثل أسد الدعاية التجارية . ولقد آن لك أن تغادر مكانك وتتجول قليلا في الحديقة العامة . ليت شعري ، أية نظرات سينظرها الناس لو وقفت تحت وتثاءبت وتمطيت ! ترى أية حياة ستحملها إلى هذه الحديقة في شهر أيار المتجهم حين تذهب إلى السد وترى رأسك الذي صور كثيراً وتنفض الغبار عن البراثن فتكتسب لوناً جميلا برونزياً . كم سيكون اللون العسلي مناسباً لعيني . فالنظرة إلى الأسد تبعث الدفء في القلب .

وهنا ، وعند هذه النقطة ، دار رأسه بعض الشيء من التأمل والتفكير وسارع إلى القول : تعال وأرني أن مكانك ليس ساحات القتال . هيا أقدم على شيء ما بهذا الرأس المضطرب المعذب لكي أستطيع أن أصدق أن الأمور تسير قدماً وأن الأيام المثيرة سرعان ماستأتي وتقوي عزيمة جرولا وتوقظ فضوله لكل يوم جديد . وستلطف بي عظامي القاسية الظالمة مرة ثانية ، عندها سيكون جرولا إنساناً لاعيب فيه ولانقص فيه ويستطيع أن يقول : سيقبل الصيف ، ثم إني رأيت أسداً يطرف بصره طرفاً صيفياً .

ويصيخ جرولا السمع وهو مغمض العينين ولايسمع أية طفرة ولا يسمع أي لمس لبراثن على الطريق الرملي ولا يحس بأي تيار يندفع اندفاعاً

قوياً ويضع عندئذ يده على جبهته ويلوم نفسه بأنه فكر اليوم كثيراً جداً : هاإن رأسك المجنون عاد إليك مرة ثانية ياجرولا . فتوجه إلى البيت واعد لنفسك كأساً من عصير الليمون واجلس إلى النافذة واقرأ كتاباً. كن عاقلا.

ويرى أنه من الحكمة أن يلزم حدود العقل حين يكون الرأس مثقلا من الأيام المرة . ويفكر جرولا ويحلم أبداً أحلاماً كبيرة لاسيما حين يشعر بالوحدة ويشعر أنه شخص لايؤبه له . أما اليوم فلن يتاح له أن يحلم . ويمسح جبينه ويدس يده في جيب سرواله ويفتح عينيه .

ولم يصدق جرولا في باديء الأمر مارأى . كان ثمة أسد على أرض الحديقة المعشبة . كان يقف هناك ويحرك طرف ذنبه . كانت لبدته كبيرة جداً فلم تستطع الريح أن تحركها . ويحس جرولا بالريح . على أن الأسد يقف هناك وكأنه في هدأة الريح بلا حراك مثله مثل الأسد الحجري . ورأى جرولا نفسه مضطراً إلى أن يرفع بصره إلى الأسد الحجري وينظر إليه نظرة سريعة . ويشتد إضطراب جرولا بين اللحظة والأخرى ولم يعد يرى أي أسد حجري . لم يعد يرى إلا الأعلام المرتفعة إرتفاعاً مائلا والبطل الذي يسند إلى ذراعه اليمنى .

ويقول جرولا : أحسنت ! إنك أسد يمكن الحديث معه . والأرض المعشوشبة تناسبك على نحو ممتاز . فالعشب يرضي بنية جسمك وكل قصلة تؤكد عظمتك . فلو كنت يابانياً لأنشأت لك أغنية على فوري . ولا شك في أن اليابانيين سيقولون أشياء جميلة عن براثنك في العشب وعن طرف ذنبك المحلق في الهواء . ولكني لست إلا ألیكس جرولا وإني لأرضى بالنظر إليك .

ويضع جرولا اليد الأخرى في جيب السروال أيضاً . وفجأة لم يعد يشعر بأنه ضعيف ولا يؤبه له .

ويقول جرولا لنفسه : إنه ينظر إلي ،إنه يبعد أكثر من ثلاثين متراً ؛ ولكني أعرف من وقفته أنه يرقبني ويفكر فيما إذا كان سيدنو مني أكثر لانريد أن نبالغ ، خطر ببال جرولا ، ولا أطلب بأن يأتي ويحك رأسه على ساقي . فالأسد أسد . فله إرادته ورأيه مثله مثل أليكس جرولا الذي يفضل مراقبة الشيء من بعيد . فلا يصح أن يقف منه عن كثب . ومن الحكمة أن تفصل بيننا بضعة أمتار . كما يرى جرولا . فالأسد يبص . ويحلو له أن يرى الأشياء تبص وتترقرق .

ولا يشعر جرولا إطلاقاً بانه هو اليوم ليس الأقوى . ويبتسم لأنه شعر بدوار . ويميل رأسه لأن صوتاً خالط أفكاره : إنه صوت أبواق الإطفائية التي تقترب . وتنعطف السيارات الحمراء إلى الحديقة العامة ويتحرك اشخاص بين الشجيرات والأشجار ويأتون من كل الجهات ويجرون وراءهم خرطوم الماء ، لابل يحملون مسدسات وبنادق . وآخرون فتحوا شباكاً .

ويصيح جرولا : لا ،لا ! لاتطلقوا النار !

ويتوجه الأسد صوب جرولا .

ويخطر ببال جرولا أن شيئاً ما حدث الآن ، ويبقى في مكانه . إني لأحس بالإنتعاش والتجدد . وكل شيء سيتحسن . شيء ما يحدث لي، فغداً ستنقشع السحب ، ومن بعد غد ستسطع الشمس في سماء صحو . وإن أسداً طليقاً لعلامة طيبة على الدوام .

ويقول جرولا : ولم الهرب ؟ إننا لنعرف بعضنا . إنه لايريد إلا العودة إلى مكانه على قاعدة التمثال .

وينظر الأسد مبتسماً .

ويقول : رائع ، رائع وأنت تبص .

ويجد جرولا نفسه مضطراً إلى أن يغمض عينيه نصف إغماضة كما لو بهره البريق . ويرى على نحو غير واضح شبكة تسقط على الرأس .

وبعدئذ يجرونه من المرج . لابأس ، يقول جرولا في نفسه ، إني أعرف مامعنى هذا . ماهذا الأسد إلا حيوان فار من قفصه . على أن هذا من شأن رجال الإطفاء ، ولاعلاقة لي بذلك . فلي أنا أسدي . ولن أسمح لرجال الإطفاء بأن يأخذوه مني .

وإذا بالرجال في الزي الأزرق يقفون بجانبه . ويقولون : ماذا دهاك ؟ هل ترى كل يوم أسداً يخطر حراً طليقاً .

ويبتسم جرولا : لا ، ليس كل يوم ، كلا ، ليس كل يوم

ويتوجه إلى التمثال وينقر الأسد الحجري على كفه الأمامية . يضع أذنه على براثنه ، ذلك لأن صدر الأسد عال بالنسبة لجرولا .

ويقول لرجال الإطفائية : أتسمعون ؟ قلبه يدق .

ثم يتوجه إلى البطل الحجري ويضع أذنه على أحد الأعلام التي تغطي البطل .

ويقول جرولا : لاأسمع أي شيء عند هذا .

ويسكت رجال الإطفاء لأنهم لايعرفون مايعرفه جرولا ويعتقدون أنه في هذه اللحظة ليس حاضر العقل . وأن عقله ليس معه بسبب الأسد الفار من القفص .

لكن أليكس جرولا يسير في الحديقة والمدينة وهو فرح مسرور .

توماس بيرنهارد (*)

فيكتور هالبنار ،
حكاية شتائية (**)

ينبغي لكم أن تتصوروا رجلا إسمه فيكتور هالبنار ، رجلا لم تعد له رجلان وكنت صادفته ليلة أمس وأنا في طريقي عبر غابه (هوخفالد) وبالإضافة إلى ذلك كنت أمس مستعجلا جداً إذ أنني طبيب مع أن لي ميلا إلى العطلة وولعاً بالفراغ إلى جانب هذا .وكان استدعاني رجل سايم في (ترابش) على الطرف الأول من غابة هوخفالد إلى قريب له مريض في (فودينغ) على الجانب الآخر من الغابة . إذ أن هذا القريب أصيب فجأة بمرض في الرأس . ومع أن عواقب هذا المرض الخطيرة مذكورة في كتب الطب ، إلا أن الحكماء لم يستطيعوا أن يتبينوا أو يشرحوا

(*) توماس بيرنهارد Thomas Bernhard كاتب نمساوي من مواليد عام ١٩٣١ درس في المعهد العالي للموسيقا في مدينتي سالزبورج وفيينا . شاعر وقاص وكاتب مسرحي . نال جوائز أدبية عديدة . من قصصه « راعي الخنازير » (١٩٥٦) وساعي البريد » (١٩٦٣) فضلا على رواياته ودواوينه الشعرية العديدة . ويذكرنا اسلوبه في الكتابة بكافكا وعالم رموزه .

(**) إن للاسم الذي خلعه الكاتب على « بطل » قصته مدلوله العميق ، إذ أنه يتمشى مع أحداث قصتنا هذه . وقد عمد الكاتب إلى تركيب الأسم من كلمتين هما : (Halb) وتعني « نصف » و (Narr) وتعني أحمق . فصار اسم البطل فيكتورها لبنار « رأي : نصف الأحمق » فالبطل ، إذاً يجمع بين الحماقة والحكمه وبين التهور والاقدام . —

أسباب هذا المرض . وخلاصة القول هي أني قررت أن أسير إلى المريض عبر الغابة وفي الثلج المتراكم . وطبيعي أنني حاولت استخدام أفضل ما لدي من فنون الخوض في الثلج لكي ألقى فيكتور هالبنار فجأة في قلب الغابة ، ولكم أن تتصوروا مدى الذعر الذي أصابني عندئذ .

أما هذا الذي كنت صادفته ولم أره قط في حياتي فقد عرف بنفسه قائلا : « فيكتور هالبنار » .

وحين تبين لي أن الرجل لم يعد له رجلان صرخ عندئذ وكأن المنكوب خلف المصيبة وراءه للتو : « لقد فصلهما القطار عن الجسد » . وخطر ببالي أن ليس هناك قطار يمر بغابة هوخفالد . وليس ثمة قضبان حديدية في الغابة . ثم إني لم اسمع أي صراخ ، أو أي شيء من عالم البشر .

وقال فيكتور هالبنار : الحق أنه مضت ثماني سنوات على المصيبة !» كان مطروحاً في وسط غابة هوخفالد على الطريق لأن كلتا رجليه الخشبيتين تحطمتا فجاة ، ذلك لأنه حاول مرة أن يسرع في سيره ، على حد قوله .

— « لقد نسيت في الوقت نفسه أن لي رجلين من خشب وأنهما ليستا مني ، ولقد ظننت أنني استعدت رجلي من جديد ! » .

لقد سره أن إنساناً ما ظهر له وأن هذا الإنسان هو أنا . وفضلا عن ذلك فأنا أبدو في نظره ، وحتى في الظلام ، خفيف الظل لطيف المعشر كما توحي خطواتي وصوتي .

وقال لي فكتور هالبنار : « لو لم تأت لكنت في عداد الأموات ، ولمت موتاً شنيعاً . وإنك لتعرف حق المعرفة أن الموت الشنيع هو ذلك الذي يقع حين يتجمد المرء » .

وحين قلت له إني طبيب غمرته سعادة لاتفوقها سعادة لكأني قلت له إنني سمكري أو عامل تمديدات صحية أو خباز أوفلاح . ويجب أن أعترف أن الشيء الذي شغلني لم يكن مصيبته أو حالته الراهنة ، بل إن الشيء الذي شغلني أكثر من شيء آخر هو إسمه . إذ أن علينا ألا ننسى أن اسمه هالبنار (نصف أحمق) ! . وحين سألته كيف بلغ هذا المكان المميت حتى للأصحاء في ظروف معينة ، لاسيما في مثل هذا الوقت المتأخر من الليل ، أي بين الحادية عشرة والثانية عشرة . أجاب بأنه تراهن قبل نصف ساعة مع طحان من مدينة (ترايش) على الجانب الأول من غابة هوخفالد ، ولم يكن يعرف هذا الطحان ، بل كان يسمع به منذ سنوات . ولقد راهنه الطحان على ثمانمائة شيلينغ ، (أي مايعادل ثمن أجود حذاء مصنوع من الجلد الفاخر الرقيق كان هالبنار تمناه منذ عشر سنوات) وراهنه على أنه لن يبلغ الناحية الأخرى من الغابة ولن يكون في مدينة (فودينغ) عند الساعة الثانية عشرة إذا مابدأ السير من الناحية الأولى في الساعة الحادية عشرة ، كما أن هالبنار لن يجتاز الغابة في ساعة واحدة على رجلين خشبيتين وفي شتاء كهذا الشتاء وليلة باردة كهذه الليلة . وهالبنار نفسه لم يعتقد أنه سيكون في (فودينغ) عند الساعة الثانية عشرة ، إلا أنه ، مع هذا ، ومع أنه « غبي » ، بدأ سيره ، حسب الإتفاق ، في الحادية عشرة ، ذلك لأن المرء يجب أن لايقف مكتوف اليدين فيترك الفرصة تمر دون أن يفيد منها أو ينتهزها ليحسن أحواله . ولقد تنبأ له مالك الطاحونة بموت شنيع ، أي بالموت متجمداً . (والحق أن الطحان كان على صواب ! » . ومع أنه ، كما يرى هالبنار ، خسر الرهان إلا أنه لن يتجمد ، والفضل في ذلك يعود إلي أنا . وإلى جانب هذا فهو محظوظ بأن ينقذه طبيب ، هو « طبيب بحق وحقيقة » وهو « ممثل الطب العظيم » .

فينتشله من وضعه الرهيب الذي له جانبه المضحك أيضاً ، مثله مثل الأشياء الأخرى في هذا الوجود ، على حد تعبيره هو .

وأنهضته من على الأرض ونفضت عنه ماعلق به من ثلج وتبين لي أن رجليه الخشبيتين كلتيهما قد كسرتا كما تنكسر أية رجل خشبية . وقررت أن أحمل الرجل على كتفي فحملته على الفور إذ أنني كنت مضطراً إلى أن أكون عند مريضي في أسرع وقت .

ولو أني استطعت حمله من دون الرجلين الخشبيتين لكان خيراً لي ، لكننا لم نستطع أن نفك معاً الأبازيم المتجمدة .

فالرجلان الخشبيتان المكسورتان كانتا متجمدتين عند الفخذ . وقلت في نفسي لاشك في أن هذا يؤلم الرجل كثيراً وأن الرعب من الموت المقترب أوهاه . ولما كان مثل هذا الإنسان قد تعود على آلام شديدة (وهذه الآلام يعتاد عليها المرء حين لم يعد له رجلان من عظم ولحم ودم ، بل رجلان اصطناعيتان) فإنه لم ينح ولم يولول ولم يبك ولم يصرخ ولم يشك أبداً . بل على الضد من ذلك فقد كان سعيداً لأنه نجا وأني حملته على كتفي وأمسكت بكلتا رجليه الخشبيتين المحطمتين وجرؤت على أن أشدهما إلى قفص صدري وأن أشق طريقي إلى الأمام في الغابة متوجهاً إلى الناحية الأخرى باقصى ما أستطيع من سرعة وأنا أحمل ، كمابدا لي ، وزناً ليس مضاعفاً فحسب ، بل هو ثلاثة أضعاف ، وقل خمسة أو عشرة أضعاف الوزن العادي .

ولم يخطر ببال هالنبار بأنه سيكون في المكان والموعد المحددين أو أن يكسب الرهان مع صاحب الطاحونة الذي كان هالنبار ينتظر في مدينة فودينغ في سيارته . حتى إن هالنبار لم يجرؤ على أن يفكر بمثل هذه الأشياء . أما أنا فقد نظرت إلى الساعة ، كانت تشير إلى الحادية عشرة والنصف . كان هالنبار لايزال على ظهري ، وخامرني شعور بأن كلينا

يستطيع أن يبلغ الهدف ، وعلى هذا شرعت أركض أنا الذي كنت ركضت ركضاً سريعاً في الغابة لأن مريضي كان ولا يزال ينتظر وصولي ؛ وركضت ثم ركضت بأسرع مالدي من طاقة وعلى ظهري الرجل الذي كان بديناً ورهلا مثله مثل كل هؤلاء الذين لاأرجل لهم ؛ وإلى ذلك كانت رجلاه الخشبيتان المحطمتان تئنان تارة وتطقطقان وتصران تارة أخرى ؛ أما هو فقد أخافته سرعتي فانعقد لسانه ولم يتفوه بكلمة . ولكن لما خلفنا الغابة هوخفالد وراءنا وبانت لنا أضواء المدينة فودينغ بادرني قائلا : « أليست هذه مدينة فودينغ ؟ » .

وأجبته قائلا : نعم ، إنها فودينغ ، نعم ، إنها فودينغ ! » .

ثم سألني عما إذا الساعة قد أشارت إلى الثانية عشرة ، فأجبته بالنفي وأن الساعة لم تعلن الثانية عشرة . كنت أسرع في السير كأنما كنت فاقد الوعي . وفي أثناء ذلك قال لي إنه كان إتفق مع الطحان على أن يكون اللقاء ليس في مدينة فودينغ فحسب ، بل أمام باب الكنيسة في فودينغ بالذات .

قلت : « أمام باب الكنيسة ؟ إن هذا لمن محاسن الصدف ، إذ أن المريض الذي ينتظرني يقيم على مقربة من الكنيسة » ! .

وفي أثناء الركض وقبل وصولنا إلى ميدان الكنيسة أضفت قائلا : « لم تبلغ الساعة بعد الثانية عشرة » . واندفعت مسرعاً صوب باب الكنيسة ؛ وفي الحقيقة كان هناك رجل طويل متشح بالسواد . وخطر ببالي : هذا هو الذي سترمي أمام قدميه فيكتور هالبنار بحيث لايتألم حين يقع أرضاً . وقمت بذلك، ودقت الأجراس معلنة الثانية عشرة، عندها كان هالبنار عند قدمي الطحان ويداه ممدودتان إلى المال .

ودهش الطحان الطويل المتشح بالسواد من هذا كله ؛ وبعد أن

قدمت له نفسي وأغلظت له القول تناول على الفور محفظته السوداء الكبيرة وعد ثماني ورقات من فئة المائة شيليغ وسلمها لفكتور هالبنار المطروح على الأرض . لم يفعل ذلك لأنه أدرك أنه خسر الرهان، بل لأنه كان خائفاً .

وقال الطحان : « الشرط شرط والرهان رهان » ، لكنه لم يكن يتوقع أن يأتي شخص ليلتقط فيكتور هالبنار من وسط الغابة ويهرول به إلى مدينة فودينغ . وقال الطحان إنه صار لايحفل بحياة هالبنار وادهشه أن شخصاً ما يستطيع أن يشارط مثل هذا الشرط .

وقال الطحان : « الحق ان هالبنار تمثل لي ميتاً ؛ آه منكم أيها الأطباء الحق أنكم تفسدون بعملكم السقيم الأخرق كل شيء ! » ثم اختفى عن الأنظار .

حملت هالبنار على كتفي وأخذته معي إلى المريض لأعوده في الوقت المحدد . وبعدئذ حجزت له سريراً في فندق قريب ليقضي بقية ليلته ودفعت له الاجرة مسبقاً .

واتفقنا على ألا ينشغل أحدنا بالآخر . ومن العجب أن هالبنار انتهز فرصة وداعنا لكي يشكرني . ولمَ الشكر ؟ تساءلت وخطر ببالي وأنا عائد إلى البيت متناسياً متجاهلا اتصالنا ، بأنه ربح الرهان على ثمانمائة شيلينغ ، أي مايعادل ثمن أجود حذاء صنعه أفضل اسكافي ؛ لكنه خسر ، مقابل ذلك ، رجليه الخشبيتين اللتين ستكلفانه ألفين وخمسمائة شيلينغ . وقلت في نفسي وأنا في غابة هوخفالد : « أي إنسان هو هذا الذي ألح علي في طريق العودة هذه فخلت أنني هالك لامحالة ، فهل هو نصف أحمق ؟ وهل هو مجنون ؟ .

* * *

اليزابيت بورشيرز(*)

حين جاءت الحرب

حين جاءت الحرب كنت فخورة جداً بها . فقد صار أبي بين ليلة وضحاها نقيباً . فسترة لباسه العسكري تهدلت ثقيلة ناعمة ، وحذاؤه ذو العنق الطويل تثنّى واكتسب طيات ناعمة دقيقة . وعلى المنضدة الفضية لمعت الفضيات وبرقت . ووددت لو أمشي إلى جانبه . لقد صارت كل خطوة من خطواته سريعة ومهمة . وكان الوقت مساءً وفي يوم من أيام شهر آب .

كانت المدينة سكنت فجأة . وكانت المصابيح والفوانيس المموهة المعتمة ترسل نوراً عاتماً . وكان خصاص النوافذ العمودي يسبح بنور خافت . ولا ريب في أنه آخفى وراءه ناساً كانوا اجتمعوا ليتهامسوا ويتشاوروا في أشياء رهيبة ، في حيلة ماكرة أوفي سرور كبير جداً .

لكن البعض من الناس كانوا في الطريق عند المساء حين رافقت أبي إلى محطة نقل البضائع . كانوا يسيرون مسرعين من دون أن يلاحظ

(*) اليزابيت بورشيرز Elisabeth Borchers ولدت في مدينة هومبيرغ بالراين عام ١٩٢٦ . شاعرة وكاتبة قصصية ومترجمة (تترجم من الانجليزية والفرنسية والتشيكية) وتكتب التمثيليات الاذاعية وتؤلف الكتب الخاصة بالأطفال . من مؤلفاتها : « السيارة العتيقة » (١٩٦٥) من كتب الأطفال ، « أنا أعرف مالا تعرفه أنت » ١٩٦٩ ، فضلا على مؤلفاتها الشعرية .

أحدهم الآخر لكأن أمراً ما من الأوامر كان يعتمل في نفوسهم فحملهم على متابعة السير على غير هدى . ولم يكن سهلا تمييز الوجوه . إذ أن الغضن الذي خرج من قاعدة الأنف صعوداً إلى الأعلى وقسم الجبين إلى قسمين كان برز من كل وجه كحركة عصبية مضطربة فتولد في الجو هرج ومرج ، مع أنه لم يكن ثمة أثر لأية ريح .

ولم ينطق أبي بكلمة . وكان في الإمكان أن نسمع من بعد أصواتاً ناشئة عن تجمعات خيالة كثر . ولم يتفوه أبي بكلمة ، مع أنه كان يريني دائماً كل ماكانت عيناه تقعان عليه سواءٌ أكان هذا نجماً أم ظلا غريباً أم نبتة بين صخرتين أم زخرفاً على مدخل رئيسي . لابد أن صوته اختفى خوفاً من الخواطر الكثيرة التي أثارت في نفسه صخباً وضجيجاً . ورأيت وجهه الشاحب في محطة نقل البضائع . وكان تقوس أنفه صار أكثر صرامة مما كان عليه وجعل وجهه جامداً كل الجمود . وامتنع أحد الخيول أن يسير على الرصيف وشاكس فرس آخر . ووقف الكثيرون صامتين ومرى أحياناً عن عدة اللجام ضوء خافت . كان في جيب معطفي منديل وردي اللون محوط بشريط من زهور صغيرة : فأمسكت به وودت لو أمسح به هذا الجلد مرة أخرى فلايبقى على هذا السرج اللماع موضع واحد باهت .

لم أفهم لماذا لم يحيي أبي الفرسان كما تملي العادة ، حتى أنه لم يعرهم انتباهاً ، بل أشاح ببصره عنهم ونظر في الظلام الدامس الذي كان غمر عربات النقل ذات الأبواب المفتوحة على مصاريعها . وحرك يده حركة خفيفة ، ثم عدنا أدراجنا .

إني لأخجل من جدائلي التي حالت بيني وبين كوني بالغة . ولربما كانت هي السبب في أن أبي لم يتكلم ولم يحادثني . لكنه قال بعد ذلك : يجب أن نكون سعداء . . . .

لم يكمل جملته بعد لما التقى به جندي رفع يده للتحية ، ورد أبي بالمثل . ولما غاب وقع أقدام الجندي هنا قال أبي : ينبغي لنا أن نفر ح . » .

لكنه لم يقل أكثر من ذلك إذ أن جندياً آخر استدار نحوه بانضباط وحيا ثم انتظر رد التحية .

وظلت الجملة « ينبغي لنا أن نسعد » ناقصة ؛ وحين لفظ كلمة « نفرح » قلت في نفسي إن أبي لم يتعلم بعد كيف يحيي ويواصل حديثه في آن واحد . وفجأة خطر ببالي أن الجملة منتهية وأن أبي لايكررها إلا لأنها جميلة .

ورأيت كلمة « الفرح » تخرج من فم أبي رقيقة، ورأيتها تتدحرج أمامنا في الهواء وتنتظم لكأنه كان علينا أن نلحق بها . لقد تموجت في العتمة جذلى بطرة براقة مثلها مثل كلمة « أحمر » .

وكلما انفرط حرف من احرفها ارتبط بالحرف السابق له . وبهذا ازداد حجمها واشتد لمعانها ، ثم رأيت إطاراً أحمر ، وكأن على الدنيا كلها أن تمر من خلاله ، كما كان على أبي أيضاً وعلى الخيول وقطارات النقل أن تفعل ذلك .

ولما وصلنا إلى المنزل حيث كان الضباط كلهم ينتظرون أمراً ما دخلنا حجرة أبي الذي أحكم إغلاق الباب من ورائنا .

وقال بعدها : ينبغي لنا أن نكون سعداء ، ذلك أن القبو لايزال باقياً عندنا .

لاالفم وحده ، بل الوجه كله نطق بهذه الكلمات . ثم بذل جهداً كبيراً لكي يبتسم قليلا لحظة الوداع .

وفيما بعد،ولما كان لابد علينا من ان نغادر القبو لأنة احترقأيضاً، كان أبي لايزال غائباً ، ولم نتمكن من العثور عليه في أي مكان .

* * *

كارل ألفريد فولكن (*)

شتاء شديد

كنت آنذاك صغير السن حين ظننت فجأة أنني أعرف أن البرد لم يكن واحداً في الدنيا ، بل كان في شدته على شاكلتين مختلفتين حين كان الشتاء يقبل . فالناس لم يبردوا فحسب ، بل كانوا ميالين أيضاً نتيجة هذا البرد القارس إلى الإساءة أو الإقدام على أعمال ربما لم تخطر قط ببال إنسان آخر . وخطر هذا ببالي حين قذفت بالحجارة ، لغير ما سبب ، زجاج النوافذ في مستنبت ناس لم أعبأ بهم قط ولم يسيؤا إلي بأية إساءة ، إلا أنهم وضعوا أمامي وعلى نحو مغر مستنبتهم بصف من زجاج النوافذ . وكان هذا اكتشافاً مهماً لي ؛ إذ أنه اتضح الآن أن حال الجرذان أيضاً ستسود أكثر مما كانت عليه في الصيف . وعلى هذا فإنه لمن الظلم أن اواصل أطلاق النار عليها بالبندقية حتى تسقط ميتة أو تقفز في الهواء

(*) كارل الفريد فولكن Karl Alfred Wolkenn من مواليد عام ١٩٢٩ في السادسة عشرة دعي إلى جبهة القتال ووقع في الأسر فترة قصيرة . وبعدها نال الثانوية ثم زاول مهنة التجارة لمدة عشر سنوات . وهو شاعر وقاص ويعيش منذ عام ١٩٥٩ في مدينة شتوتغارت .

صارخة . وأصلحت نفسي على نحو جدي وكففت منذ تلك اللحظة عن طلاق البارود على الجرذان وراقبتها في هدوء وسلام وهي تقضم طعام الأرانب من الوعاء .

على أنني كثيراً ماكنت أخرج في نزهة لكي لاأعاني على الدوام من تحفظي هذا . وبرد الجو أكثر فأكثر ، وسرعان ماأخذت السماء تثلج وشممت رائحة الثلج في الهواء . ونظرت إلى السماء باهتمام وانتباه كبيرين لأنني قلت في ذات نفسي إنني لن أراها مدة من الزمن إذا مانزل الثلج .

كان لنا جار ، وكثيراً ماكان هذا الجار يخرج للنزهة عل السد . وكان الناس ينعتونه بالجنون ، إذ أنه ، رغم كونه رجلا كهلا ، كان حسن اللباس وكان يحلو له أن يصب الماء من علبة صفيح في أجحار الفئران وينتظر بعد ذلك حتى تخرج الفئران المسكينة كما كنا نفعل نحن حين كنا صغاراً في السن .

إلتقيت به عند السد ورأيت كيف كان يفرغ الماء في أجحار الفئران ويضرب بعد ذلك بهراوة ضرباً عنيفاً ورأيت أيضاً كيف هرب منه فأر صغير فركض وراءه واصطفق معطفه الأزرق حول ساقيه . ولما كان غير مستطيع الضرب بهراوته في أثناء الركض أو الإصابة بها فقد داس عليها بكعبه وهو غاضب متلاحق الأنفاس . كنت أجري إلى جانبه . فسألته لماذا فعل ذلك .

عجباً ، قال هو وسحب الفأر الميت من ذنبه من الحفرة التي صنعها بكعبه حين داس على الفأر بقوة ، وبعدئذ رفعه من ذنبه ونظر إليه وقال :

أنت نفسك تعرف أن الطقس سيبرد . وحين تصبح الأرض قاسية يتعـّذر هذا عندئذ .

ولم يمض وقت طويل حتى راحت السماء تثلج . كانت السماء تندف ببطء ثلجاً ناعماً وكثيفاً . ثم ارتفعت درجة الحرارة بعض الشيء . وكان أبي شرح لي السبب عند تساقط الثلج ، كما استطعت أن أدرك ذلك أيضاً ، مع أنه آلمني أن الثلج لم يبق متراكماً ، بل إنه لم يلبث أن ذاب . ورفع العشب الشتوي الهش رأسه . كانت الشمس بادية للعيان على حين كانت تنسحب وراء سحائب الثلج قرصاً دائرياً شاحباً .

تركتقاتل الفئران الكهل حيث كان يقف واحتقرته في تلك المرحلة ، مرحلة الطيبة والوداعة والرفق التي مررت بها آنذاك . وانصت بعض الوقت إلى صفير الفئران قبل أن يخمد الكهل أنفاسها إلى الأبد . وبعد أيام قليلة أثلجت السماء بلا توقف وعلى نمط واحد . وتراكم الثلج شيئاً فشيئاً هنا وهناك . وأغلقت المدارس أبوابها بسبب الحرب . فاصبح شاغلنا الوحيد صنع رجل الثلج .

أما الآنسه كيكات ، معلمة اللغة الإنجليزية البدينة ، فقد روت لنا عن مزاح انكليزي بدين اسمه فالستاف . وللوهلة الأولى بدا كل رجل ثلج كأنه فالستاف . فعوض من أن يكون له أنف سكير كان له أنف من الجزر . وعوض من أن يكون له زوجا حذاء بصلان إلى ماتحت الركبة فقد كان له زوجا حذاء من اللباد . وماعدا ذلك فقد كان كل رجل ثلج على جانب كبير من الوقار .

ووضعنا على رؤوس الرجال المصنوعين من الثلج قبعات اسطوانية الشكل ، إلا أنهم رفضوا وضعها ورفعوا أذرعتهم الثخينة إلى الرأس .

وعندئذ كان لابد لنا من أن نصرخ ونرفع أصواتنا حتى لاينزعوا قبعاتهم الحريرية عن رؤوسهم . لكنهم اغتاظوا لأننا أجبرناهم على ذلك ونظروا شزراً بحثاً عن مخرج . وفي صباح اليوم التالي وحين عدنا كانت القبعات العالية مرمية على الأرض . لعل الريح فعلت ذلك أثناء هبوبها . وعلى هذا تركنا الرجال الضخام وشأنهم ووضعنا على رؤوسهم القبعات العالية السوداء فقط . مع أن هذا قد أغاظنا بعض الشيء .

وبرز في تلك الأيام شيء كان شبه غضب عام . ومع أن المرء لم ير هذا الغضب ، إلا أنه ظهر بغتة وراح يصرخ على حين لم يكن الناس مستعدين لذلك . فنحن الشباب ، مثلا ، تشاجرنا معاً من أجل رجال الثلج أو لان زلاقاتنا صدمت بعضها البعض في أثناء التزلق ، كما تشاتمنا لأن البعض منا خدش طلاء الآخر . وفي تلك الأثناء جرت أمور بغيضة . كنا نشهد مثل ذلك حين كنا نعود أدراجنا إلى البيت بأحذية مبللة تالفة ذلك لأنه لم يكن يتعين علينا أن نشتري أحذية ، كما كان جرماً أن نستعمل القبعات العالية في غير موضعها كأن نضعها على رؤوس رجال الثلج . ولكن هذا كان أمراً ممكناً لأن لبس القبعات العالية لم يكن آنذاك مسموحاً به ، لذا كان مكان القبعات الخزانات ، ليس غير .

وحدثت أشياء كانت أسوأ بكثير من الأخطاء التي كنا نرتكبها . فقد غرقت سفينة كبيرة في مكان غير بعيد منا . وكانت السفينة مرت من فوق لغم . ووقف الناس كلهم ينتظرون لحظة يقذف الماء بالأشياء الكثيرة العظيمة كما كان يفعل دائماً وأبداً . على أن هذا لم يخطر ببال الماء في هذه المرة ، أو أنه لم يفكر بذلك في حينه .

لقد حمل معه البحارة الموتى قبل كل شيء . أما الناس الذين كانوا يطمعون بالأشياء الكثيرة فقد كان عليهم أن يمسكوا بالبحارة المتجمدين

الأموات مراعاة للأدب وأن يحملوهم إلى صالة الجثث ، وكان لابد من دفنهم أيضاً . وشغل أبي بذلك كثيراً ولقد صعب عليه وأحزنه أنهم كانوا شباباً أكبر مني بقليل . ولما كان لايعرف كيف يتحرر من كربه فقد كان يغضب مني في بعض الأحيان ، ولم يكن في الإمكان أن نسعد بالثلج في أثناء ذلك سعادة حقيقية كما كنا نسعد به في البداية .

وأخيراً ألقى الماء بالأشياء الكثيرة العظيمة على الشاطيء ، وكان بينها السجائر والتبغ في علب من قصدير فضلا عن الموز والبرتقال والليمون والعرق . وكان ثمة خشب كثير من السفينة المحطمة . وجمع الناس هذه الأشياء كلها وسحبوها . فالسجائر والتبغ والعرق والخشب : هذا كله كان سليماً ؛ وما عدا هذا كان كل شيء تالفاً لأنه بقي في الماء زمناً طويلا . ولما كان العرق في زجاجات فإنه لم يفسد مما زاد الحال سوءاً على سوء ؛ إذ أن الناس أخذوا يشربون نخب خيبة الأمل . ووقعت في أثناء ذلك مشاجرات ونزاعات لم تؤد في الحقيقة إلى ضرب متبادل ، بل كانت أقرب إلى أعمال البطش والعنف التي ما كانت لتحدث لولا العرق أو لربما لم يكن حدوثها ممكناً إلا في أوائل الربيع . وحسبما تقول نظريتي : فإن البرد يوقظ الشرور ويثيرها .

وطبيعي أننا شعرنا بذلك . وفي أثناء ذلك ، وعقاباً لنا ، كانت المدارس فتحت أبوابها من جديد ، ذلك لأننا كنا نمضي دائماً إلى البحارة الأموات على الشاطيء . ولم يكن ثمة شيء يصرفنا عن ذلك إلا الدروس ، مع أن الفحم كان مفقوداً . لكنهم أفادوا من الخشب الملفوظ في التدفئة . كنا كلما خرجنا من المدرسة كنا نلقى المضايقة والنكد في البيت . ولم يكن أبي استثناءً جديراً بالثناء والإكبار ، كالمعتاد ، بل كان في بعض الأحيان فظاً غليظ القلب في معاملته لي ، كما أفعل أنا

الآن مع الأطفال حين يكون رأسي مثقلا بالهموم . فأبي لم يعرف أبداً كيف يبدأ بالعمل وأين . وكان أزواج عماتي الأربع كلهم جنوداً ؛ وكان لعماتي بساتين وكروم كبيرة ، فلم يستطعن ، ولم يردن أن يتعهدنها وحدهن في أيام البرد التي تعود على المرء بالملفوف والبصل والفجل والجزر والخضراوات الأخرى المتأخرة التي يجب أن تكون تجمدت تماماً حتى يلذ أكلها . وكان لابد لأبي أن يجني موسم البساتين . هذا ماكان يرهق أبي في بعض الأحيان. كان أبي يحب أن يطالع الكتب حالما كان المصباح يسطع ويتوهج نوره طوال المساء . أما الآن فقد شغلته البساتين وصرفته عن المطالعة . ولقد أدى هذا إلى أنني كنت مضطراً إلى أن أتقن دورسي أكثر من ذي قبل وإلا تحتم علي أن أعيد كتابتها مرة ونسخها مرة أخرى ، هذا إذا ماأخطأت خطأ واحداً . وهذا ماكانت نفسي تأباه وباختصار ، فإنه لم يعد لدي أية رغبة في أن أتصرف وفق أحكامي مع أني كنت قد صممت على ذلك كل التصميم .

وفضلا عن ذلك ، ونكاية بنا ، أخذ الثلج يذوب . وقلما كان الثلج ينزل عندنا . وعلى هذا كان ذوبانه شيئاً صعباً وقاسياً . حتى إن السماء لم تثلجنا أكثر من خمس مرات . ولم يكن الثلج ينزل إلا في عيد الميلاد . كنا كلنا نفرح بعيد الميلاد . اللهم إلا الأرانب لأنها كانت ستذبح بمناسبة هذا العيد : ولنا نقول لأنفسنا إن قيمة عيد الميلاد بدون ثلج لضئيلة جداً . وكان أملنا جميعاً ألا يخف البرد . لكن البرد خف ؛ بل صار يخف يوماً بعد يوم . وتبين قبل ليلة عيد الميدلاد بيوم واحد أن الثلج لن يسقط في عيد الميلاد .

وعند ظهر ذلك اليوم سطعت الشمس وعم دفؤها كل مكان . فصار كل شيء يقطر . ثم صنعت كرات من الثلج الذي استطعت أن أجمعه ، فلم يكن كافيا أن أصنع رجل ثلجي . وكورت كرات الثلج بيدي وضعتها

على ركبتي بقوة وبقدر ماأستطيع . ولكي تكون الكرات أشد صلابة فقد غمستها في ماء الثلج فصارت على شاكلة الكرات الجليدية التي تؤلم أشد الألم حين تصيب أيما شخص . وكنا نتضارب بهذه الكرات طوال العصر إلى أن يكل الذراع فنعجز عن رفعه من الألم .

وكان بقي معي كرة واحدة . لاغير . وكنت ممسكاً بها حين رأيت أبي عائداً من بساتين عماتي . كان يحمل على ظهره حملا من الكرنب . وكان يهم أن يهبط الطريق المنحدر الذي كان يفضي إلى فناء البيت . وكان يريد الوصول قبل الغروب لكي يذبح الأرانب لنا ولعماتي . وكان قد شكا وتذمر من هذا العمل عند الغداء لأنه كان يكره أن يقتل أي شيء لكن عماتي ، وأمي إلى جانبهن ، أصررن على أن يقوم هو نفسه بهذه المهمة .

ولم يكن سعيداً بذلك ،بل أن سروره تناقص لأنني أردت أن أشهد عملية الذبح التي كانت في نظره شيئاً خسيساً ووحشياً ، على حين أوهمت نفسي بأنني لاأريد أن أرى إلا طريقته في القضاء عليها . فقد كان يضربها على رأسها بالحجر فترتمي وتخب بقوائمها ، ثم كان يتناول سكيناً ويطعنها في العنق فكان الدم ينسال أحمر قانياً ، ولم يكن في هذا شيء وحشي .

وقال لي : هذا شيء مستحيل . هيا إذهب والعب ، فأنت مازلت طفلا ، ولو أنا مكانك لانتهزت الفرصة .

أما الآن فقد دخل أبي الفناء ومعه ملفوف عماتي ، ووزنت آخر كرة من كرات الثلج ، وزنت الكرة الجليدية باليد ورميت بها رمية قوية بعد كل المهانات وخيبة الأمل . حتى البحارة الأموات كانوا قد حرمونا من رؤيتهم . وكنت تخليت عن الكثير في تلك الأثناء لكي أكون

صالحاً . كففت يدي عن قتل الجرذان وإغراق الفئران في مياه السد . ولم يكن مسموحاً لنا البتة بأن نحضر أية مناسبة ! وهذا كله زود الكرة بسرعة هائلة فأصابت الهدف أيضاً . أصابته في قفاه فانزلق من الذعر على على المنحدر المبلل وسقط وآلمه هذا السقوط . إذ أنه لم يسقط على الملفوف الطازج الغض . وحين نهض ورأى الرامي عبر الشارع ولطمني على وجهي في غيظ وحدة .

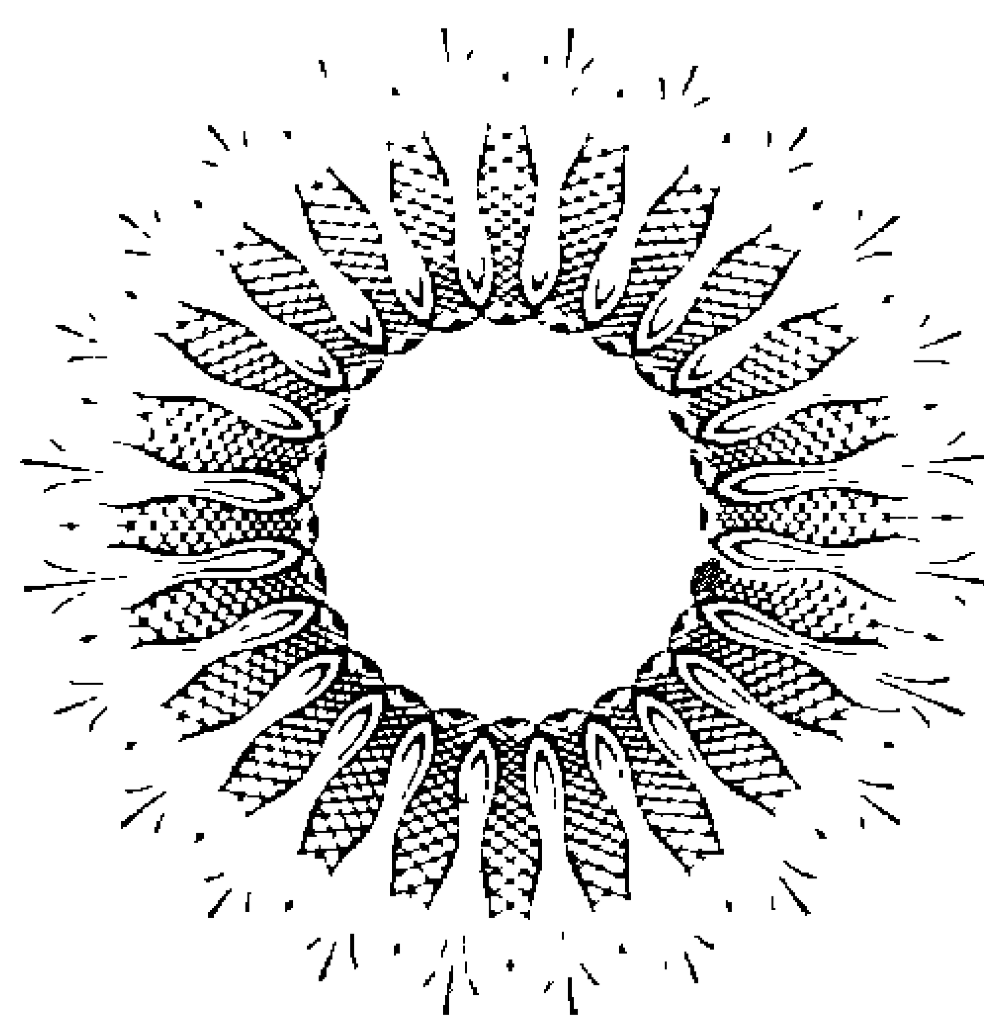
وبعد أن لطمني على وجهي لطمة خاطفة حملقت طويلاً وبعينين حانقتين ؛ لكنه لم يلبث أن ناولني الملفوف وقال لي إن علي أن آخذه إلى عماتي وحذار أن تخطر العودة ببالي قبل السابعة ؛ ومضيت حانقاً ومعي الملفوف. وحين عدت أدراجي إلى البيت كانت الأرانب ذبحت وسلخت وكان الدم أزيل من على الحجارة : كان كل شيء قد تم عمله على نحو ما يفعل المرء من أجل طفل لكي لايرى الشر أو العمل المنكر الذي يريد أن يراه هو أيضاً . واستأت منه بسبب ذلك ، ثم نسيت الموضوع ؛ ولكنه كان يخطر ببالي من حين إلى حين وفيما بعد والآن وفي تلك اللحظة أيضاً ، ولابد لي من أن أقول إني لأعجب من أبي أنه لم يحدثني بين الحين والحين عن شقاوتي الفظيعة .

على أن التغاير والإختلاف لم يكن ليبعث على اللهو والتسلية . ولحسن الحظ فقد بدا في هذا العام وبعد عيد الميلاد مباشرة ربيع من الأربعة المزينة بهواء لطيف . فكان في إمكاننا أن نهيم على وجوهنا كالمعتاد . وسرعان مانسيت كل شيء احتفظ به هو كل الإحتفاظ . وإني لأرى هذا في عينيه حين أنظر إليه الآن ، فإذا الشك المسوغ في ذاتي لايزال قائماً ، ثم إنه يمتزج بالشعور الدافىء الغامض الذي عفا عن كل شيء لم يستطع هو أن يبزه أو يضاهيه .

الفهرس

الموضــــوع	الصفحة

٢٥٠٠ ط١ /٤/١٩٩٤



الطبع وفرز الألوان في مطابع وزارة الثقافة

دمشق ١٩٩٤

سعر النسخة داخل القطر ٧٥ ل.س

في الأقطار العربية ما يعادل ١٥٠ ل.س

